

مجلة الفكر والفن المعاصر

لقلعة

العدد (١٤٨) مارس ١٩٩٥



اكتشاف ثقافي

تكفير التكفير

نص مجهول لشقيق الإمام الفزالي

لقلقة

مجلة الفكر والفن المعاصر

شهرية تصدر يوم ١٥ من كل شهر. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب



دوريات إهداء



العدد (١٤٨) مارس ١٩٩٥
الثمن في مصر: جنيهاً

العراق - ١٥٠٠ فلس - الكويت ١,٢٥٠ دينار - قطر ١٥ ريالاً - البحرين ١,٥٠٠ دينار - سوريا ٧٥ ليرة - لبنان ٣٠٠٠ ليرة - الأردن ١,٢٥٠ دينار - السعودية ٢٠ ريالاً - السودان ٤٧٠٠ ق - تونس ٤ دينار - الجزائر ٢٨ ديناراً - المغرب ٤٠ درهماً - اليمن ١٠٠ ريال - ليبيا ١٦٠ ديناراً - الإمارات ١٥ درهماً - سلطنة عمان ١,٥٠٠ ريال - غزة والضفة والقدس ٢٥٠ سنتاً - لندن ٤٠٠ بنس - الولايات المتحدة دولاران.

العدد ١٤٨

الاشتراكات في مصر :

عن سنة (١٢ عدداً) ٢٤ جنيهاً مصرياً شاملاً البريد.

الاشتراكات من الخارج [عن سنة ١٢ عدداً] :

- البلاد العربية: أفراد ٣٠ دولاراً، مؤسسات ٥٢ دولاراً شاملة مصاريف البريد.
- أمريكا وأوروبا: أفراد ٤٨ دولاراً، مؤسسات ٧٠ دولاراً شاملة مصاريف البريد.

العنوان: مجلة القاهرة - جمهورية مصر العربية - القاهرة -

١١١٧ كورنيش النيل - فاكس ٧٥٤٢١٣ ت/ ٥٧٨٩٤٥٥

المادة المنشورة مكتوبة خصيصاً للمجلة، وتعتبر عن آراء أصحابها ولا ترد في حالة عدم النشر. المراسلات باسم رئيس التحرير.

رئيس مجلس الإدارة

سمير سرحان

رئيس التحرير

غالى شكرى

مدير التحرير

عبد جبير

المستشار الفني

حلمى التونى

السكرتارية الفنية

التحرير

مهدى محمد مصطفى

التنفيذ

صبرى عبد الواحد

مادلين أيوب فرج

المصمم

فتحى عبد الله

السماح عبد الله

المراجعات	٥
الفصول والغايات	٧٩
المراجعات	١٥٥
الإيفاعات والرؤى	١٩٥
المحاورات	٢٢٥
الاشارات والتنبیحات	٢٤٧

من المحرر

ليس دفاعاً عن [أدونيس]

فا تبرهن اتصالات الكتاب العرب في معظم أقطارنا على أنها ليست من المنظمات الديمقراطية التي يمكن لها أن تسهم في بناء المجتمع المدني. ذلك أنها سواء أكانت من الملاحق الأمنية للسلطة القائمة أو لم تكن، فإنها قد شريت من كاس السلطة حتى الثمالة: أي حتى انتشت فتوهمت أنها سلطة قائمة بذاتها، فأضحت في صميم كيانها سطوية أكثر من السلطة السياسية.

إن المقصود من قيام أي تجمع يوجد جهود المثقفين، هو الدفاع عن حقوقهم المادية أينما كانت: لدى الناشئين أو أجهزة الإعلام، والدفاع عن حقوقهم الديمقراطية في الإبداع الحر بوجه السلطة، أية سلطة: سياسية أو اجتماعية أو دينية. فالكاتب أو الفنان لا يحتاج من حيث المبدأ إلى «اتحاد» لأن التفكير أو الإبداع الثقافي والفني عمل فردي مستقل. ولكنه يحتاج إلى «المنس» حين يكون اتحاداً أو رابطة أو منتدى، لتحوار مع غيره في هذا الإبداع وسبل حمايته من العدوان سواء أكان مقبلاً من الدولة أو المجتمع.

أما أن يصبح المثقف هدفاً لهذا الاتحاد أو ذاك، بمعنى أن يصبح من وظائف التجمع الثقافي أن يصدر بحق الكاتب أو الفنان قرارات إدارية كآية سلطة بيروقراطية، فهذا ما لم نسمع عنه أو به إلا هذه الأيام. حتى الأحزاب التي كان من تقاليدھا الضبط والربط والفصل والوصل لم تعد كذلك بعد المتغيرات العظمى الزاحفة، والتي جعلت من الديمقراطية قيمة معيارية عليا، يختلف في ظلها العضو مع الخط السياسي للحزب وقيادته. وأية لوائح تنظيمية أو ميثاقية تتعارض مع هذا المبدأ الرئيسي تتنازل على الفور عن شرعيتها. ولا عبرة في هذه الحال على اتفاق الجماعة أية جماعة على «أهداف» تخاصم الحرية.

من هنا فحماية أدونيس مع اتحاد الكتاب العرب في دمشق ليست أكثر من زوعية في فنان، لأن الاتحاد المذكور هو الذي تنازل طواعية عن شرعيته يوم جرؤ على مخاصمة الحرية واتخذ قراراً إدارياً - مهما كانت الأغلبية العددية التي وافقت عليه - بحق أحد أعضائه.

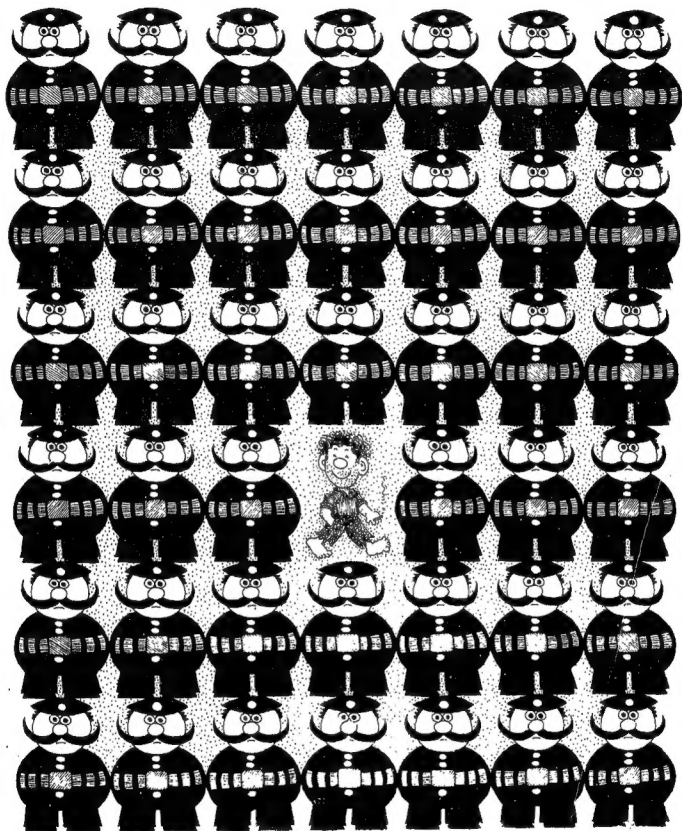
إننا لم نسمع عن قرارات «الفصل» هذه إلا في اتصالات الكتاب؛ بالأنظمة الشمولية التي

طردت وطاردت خيرة المثقفين وألغى المبدعين، المنشقين، كما كانوا يسمونهم. ولكن الذي حدث أن هذه الاتصالات أغلقت أبوابها وتهاوت أبنيتها عند أول ريح هبت عليها فلم تستطع الدفاع عن نفسها منذ فقدت القدرة على الدفاع عن أعضائها المنشقين وأعمالهم وحيثيتهم. أما هؤلاء الأعضاء، فقد غدوا عنواناً مضيئاً في التاريخ للإبداع الكبير والحرية، وبقيت أسماؤهم وأعمالهم في ضمير أوطانهم، أما اتصالاتهم فقدت أنقاضها في مزينة التاريخ.

إن اتحاد الكتاب العرب في دمشق لم يرفع الصوت يوماً لتحرير مثقف سجين أو في المنفى، شأنه في ذلك شأن جميع الاتصالات في الأقطار العربية (التقدمية)، وشأنه أيضاً كشأن اتحاد الكتاب المصريين وشأن الاتحاد الأكبر للكتاب والأدباء العرب في عمان.

أما أدونيس وغيره من المطرودين والمطاردين، فإنهم بصوابهم وأخطائهم شموع الحرية في ظلام الظهيرة. ■

محمد طه



رسم
من كتاب حجازي وفنان العارة المصرية:
إعداد : محمد بغدادى

المواجحات

بشر فارس.. المجـهـول

إعداد: عبد العزيز موافى

- ٧ بشر فارس: بطاقة ٨ بشر فارس سيرة حياة: عبد العزيز موافى ٢ من آراء النقاد
فى بشر فارس. ٩ بشر فارس ونظرة شاملة للفن: عبد العزيز السباعى ١٨ رجل، قصة
لبشر فارس. ٢٢ سوء تفاهم وفن الأسلوب: محمد مندور. ٢٦ نظرية القص والسماط
الأسلوبية: ع. م. ٢٠ إلى زائرة - قصيدة رمزية لبشر فارس. ٢١ البحر السابع عشر - قصيدة
لبشر فارس. ٢٢ مكتبة المقتطف: مراجعة ونقد، بشر فارس ٢٦ خزائن الكتب العربية
فى الخافقين: لفيكت فيليب دى طرازي: بشر فارس. ٢٧ مفرق الطرق، مسرحية بشر
فارس: تقديم لوى ماسينيون. ترجمة: احمد عثمان. ٢٨ مفرق الطرق. التحليل
السيكولوجى للشخصيات: بشر فارس. ٢٩ مسرحية جبهة الغيب لبشر فارس: محمد
غيمى هلال. ٣٠ مسرح بشر فارس بين الحيرة واليقين: يوسف مراد.
٧٠ فكرة التمرد بين بشر فارس وألبير كامى: ع. م. ٧٣ التفسير
الميتافيزيقي للتاريخ بين بشر فارس ورفاعة الطهطاوى: ع. م.





بشر فارس: المجهول

بطاقة :

- ولد بشر فارس عام ١٩٠٦ لأبوين من أصل لبناني وتوفي في ٢١ فبراير ١٩٦٣. مارس النقد والشعر وكتابة المسرح، يكتب بالعربية والفرنسية.
- أتم دراسته الثانوية بمدرسة الآباء اليسوعيين.. وحصل على شهادة البكالوريا ١٩٢٤.
- سافر إلى فرنسا وحصل على ليسانس الآداب عام ١٩٢٨، وحصل على الدكتوراه عام ١٩٣٢ من السوربون عن أطروحته المعنونة: «الشرف عند العرب قبل الإسلام، التي صدرت بالفرنسية في طبعة أنيقة عن دار «میزون نوف» (Maisonneuve)، في (٢٣٢) صفحة.
- تتلمذ في فرنسا على يد المستشرق الفرنسي الشهير وليم مارسيه.
- تأثر كثيراً بعلاقته بأحمد زكي باشا (شيخ العروبة)، الذي اقترح موضوع رسالة الدكتوراه، وأمدّه بالوثائق والمراجع، مما أنه هو الذي اقترح عليه أن يغير اسمه الأصلي (إدوار) واختار له اسم (بشر).
- راح منذ عاد من فرنسا يبشر بالرمزية الجديدة، وقد تنامت رؤاه بالروح الشرقية المباشرة.



بشر فارس: سيرة حياة

عبدالعزیز موافی

قا في تاريخ الأدب، يوجد للكثير من الشخصيات التي تراكمت فوقها طبقات من التجاهل أو اللسيان، إلى أمد تاريخي قد يطول أو يقصر، طبقاً لمصادقة سعيدة أو لتصاريف قدر ما، لكن من المستغرب، أن نجد شخصية مثل بشر فارس لها مثل هذا الإنجاز والحقق، كما أنها كانت تعيش بينما حتى وقت قريب، ثم يكتشفها مزيج من التجاهل واللسيانه، على مستوى السيرة الذاتية، أو حتى على مستوى الإنجاز نفسه، على أن تلك الغرابة تزداد، حين نعلم أن الكثير من الشهود ما يزالون أحياء.

تتجلى أولى إشكاليات السيرة، في هذا التصارب الذي يكتنف تاريخ الميلاد، وكذا محل الميلاد، فأثور كامل - بداية - يقرر أن بشر فارس قد ولد في لبنان عام ١٩٠٦^(١)، وعلى حين يتفق معه وديع فلسطين على أنه ولد في لبنان، إلا أنه يسجل أنه ولد في (بكفيا) بلبنان عام ١٩٠٧^(٢)، وعلى جانب آخر، يتفق عدنان روف مع وديع فلسطين على أن الميلاد كان بلبنان ١٩٠٧، لكنه يقرر أن محل الميلاد كان بلدة (مجر صاف)، وليس (بكفيا)، أما الدكتور يوسف مراد، وهو صديق شخصي لبشر فارس، فيرى أنه ولد بمصر، ولكن عام ١٩٠٦^(٣)، متفقاً مع أنور كامل على تاريخ الميلاد، ومختلفاً مع الجميع على محل الميلاد.

وهكذا، نجد أن هناك تاريخين للميلاد داخل ذاكرة الشهود الأربعة، إثنان منهم صديقان لبشر فارس (أنور كامل ويوسف مراد)، وهما يتفقان على أن زمن الميلاد هو عام ١٩٠٦، ونحن نميل إلى هذا الرأي، بينما الشاهدان الآخران يتفقان على أن تاريخ الميلاد هو عام ١٩٠٧. وعلى حين يتفق ثلاثة من الشهود الأربعة، على أنه ولد في لبنان، وهذا - أيضاً - ما نميل إليه، فإن يوسف مراد يختلف معهم في ذلك.

موضوعين آخرين، تم نشرهما في «المقتطف»، ولم يتم ذكرهما من قبل، وهما:

١ - عرض لكتاب «العقد الفريد، لابن عبدبريه، تحت إشارة «مراجعة ونقد». وقد نشر في الجزء الأول من المجلد الثامن والتسعين بتاريخ أول يناير ١٩٤١. وقد عثرت عليه ووافقتا به السيدة/ رابعة عفيف، ضمن مكتبتها الخاصة.

٢ - عرض لكتاب «خزانة الكتب العربية في الخافقين، للتفكرنت فيليب دى طرازى، فى عدد أول مايو ١٩٤٢ من مجلة «المقتطف». وقد أمدتنا به السيدة/ ماجدة جلال كامل. وقد نشر هذا العرض تحت عنوان (كتاب فريد جامع).

حكاية المتأنق الأكبر

يرى الأستاذ كامل زهيرى أن مسرحية (مفرق الطرق)، قد عرضت فى باريس عام ١٩٥٠ فى مسرح الجيب (تيئاترودى لا بوش) القائم فى مونتبارناس، حيث مكهى «الدوم»، وحركات التجديد، وتكرى موليانى ورودان.

كان المسرح فى زقاق صغير، تعبيراً عن رفض فكرة المسرح البرجوازى فى ذلك الوقت وكانت تعرض مسرحية (مفرق الطريق)، فى حفلة واحدة مع مسرحية بريخت (القاعدة والاستثناء). وم كانت دهشة الفرنسيين كبيرة لفكرة المسرحية، التى تفترض أن هناك كلباً يمكن أن يعض قصباً، لكن دهشتهم لأنانة المؤلف، كانت أكبر من دهشتهم لفكرة المسرحية.

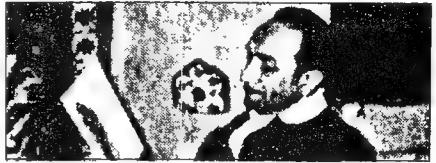
يقول الأستاذ كامل زهيرى إن الظروف الاقتصادية، التى خلفتها الحرب العالمية الثانية، قد أصابت أوروبا بالأزمات الخائفة، وخلقت ظواهر استهلاكية تكسب بالقشوف. وفى المقابل، هبط عليهم بشر فارس من الجانب الآخر للمتوسط، مرتدياً قمصاناً حريرية، ذات ألوان: أزرق وأحمر ويرتاللى (١١).

ومن المؤكد أن بعض مظاهر الفرية الشكلية، التى يتسم بها الفنانين عموماً، قد تتخذ شكلاً سليماً (مثل إطلاق اللحية)، أو شكلاً إيجابياً (مثل الإفراط فى التأنق). وتلك ظواهر لا يمكن أن تكون مجانية، لكنها عادة ما تشير إلى تجسد بعض الصراعات الداخلية، عبر شكل مادى محسوس. لذا، فقد أعاد بشر فارس إلى أذهان الفرنسيين، ذكرى بودلير (المتأنق الأكبر) فى القرن التاسع عشر.

فهل كانت استعارة الجوانب الشكلية لبرجوازية القرن التاسع عشر عند بشر فارس، هى تحد للوحي الشكلية لدى البرجوازية الشرقية التى ينتمى إليها لاجتماعياً؟ أم أنها كانت رفضاً لحالة التفسخ والانحلال، التى اجتاحت البرجوازية الغربية، التى ينتمى إليها ثقافياً؟ ■

هوامش:

- (١) الفصيلة رقم (٦٤) - بطوان (شاعر الرمية المسمى) - بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٩٠ - بقلم وليد منير.
- (٢) مقالة بجريدة (الحياة) بتاريخ ٧ سبتمبر ١٩٩٤ - بطوان (رائد الرمية المجهول) - وديع فلسطين.
- (٣) مقالة بطوان «المستشرق» مجلة «الداقد»، عدنان ريف.
- (٤) مجلة «المجلة» - العدد ٧٦ - أبريل ١٩٦٣ - مقال بطوان (بشر فارس) - ص ٢٠ - يوسف مراد.
- (٥) نفسه.
- (٦) نفسه.
- (٧) وديع فلسطين - رائد الرمية المجهول.
- (٨) فصيلة ألور كامل (٦٤).
- (٩) وديع فلسطين.
- (١٠) «المقتطف» - أول ما يور ١٩٤٢ - (كتاب فريد جامع) - بشر فارس.



الرقيقة، والتعبير الفني في لطافة، من غير تهويل مسرحي ولا استكراه. ورمزية المسرحية تلبس لباساً جديداً تحت قلم المؤلف، فهي بين التأثيرية والتعبيرية، هي أشبه بصوفية أدبية. والحق أن أداتها الدفينة هي البصيرة، ولكنها محض شرقية، وبها تتميز المسرحية من سواها مما يخرجها الأوروبيون. وهي أيضاً طريفة كل الطرافة عندنا، لأنها لا مثيل لها ولا أنموذج في الأدب العربي.

جلاد إدجار Le journal d

Egypte القاهرة ١٩/٤/١٩٣٨.

«عرف المؤلف بشاعريته الرمزية العميقة أن يصور بها أحاسيسه تصويراً ليس فيه جمود الواقع فتحس أن وراء ألفاظه عوالم شتى بها أشباح متلاحقة... وقد يجد القارئ العادي صعوبة في فهم المسرحية، بل قد تتعب القارئ الذي لا يهبط إلى حساسه كله عند المطالعة والمشاهدة فتمت للفرصة السعيدة بالمكتاوم المتكامل.»

حسن كامل الصيرفي، «المتكفل»

أبريل ١٩٣٨.

«الحادث في المسرحية عادي جداً. ولكن قلم الدكتور بشر وتفكيره العالي وفلسفته المبينة على التأثيرات والتجارب وشاعريته التي تتجلى في رقة اللفظ ولطف التصوير، كل ذلك يجعل هذه المسرحية مقالاً عالياً من أدب التفكير ونوعاً لسان ندرى هل قدر له أن يزهو في مصر، ولكننا نستطيع أن نقول في ثقة وإطمئنان إنه لازم لإقناع الغربيين بأن اللغة العربية لا تنضج عن أي ضرب من ضروب الأدب. وإنا نود أن يكتب له البقاء حتى يثق أن القارئ العربي لا يستعذب إلا ما كان قريب المثال.»

زكي حسن، الأهرام، ٢٥/٤/٣٨.

«وجملة القول أن «مفرق الطريق» حدث جديد في تأليف المسرحية المصرية، جدير بالناية، حري بالثناء،

من أراء النقاد في بشر فارس

● عن مفرق الطريق

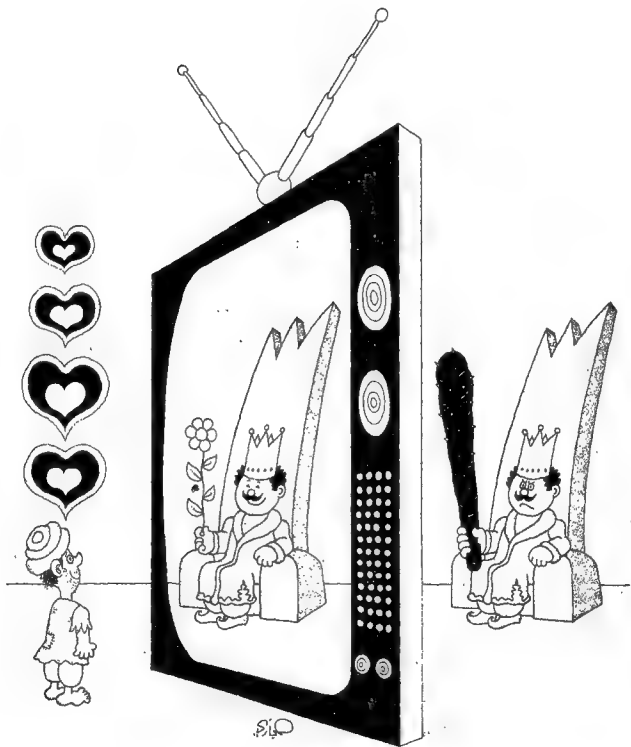
«هكذا ينشأ نوع المسرحية للحقيق بالقرأة والذي يمرض لنا الشعر في قالب جديد. نحن عند استهلال تطور يستطيع أن يحدث نهدينا في الحياة الأدبية، أو قل يجلب ثروة إليها، ولا يكون هذا الجلب وذلك للتجديد إلا بعد نضال عذيق.»

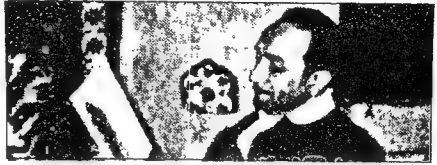
بروكلمان Brockelmann، في كتابه «كلمة تاريخ الآداب للعربية، الجزء ٣، ص ١٦٩، لندن ١٩٣٩.

«هذه المسرحية ستحير أنهان الجمهور بلا شك. قوامها الشاعرية

«تصفت الرواية أولاً بشيء من الاستغراب والدهش. ثم قرأتها لأفهمها ففهمتها. أظن - واستغربتها على صغرهما. ثم أعدت قرأتها للمرة الثالثة مثلاً بماحسانها الفريدة الجمّة، برقاقتها الصوفية، وحقائقها المادية، وفظاتها الفلسفية، وروائعها الفنية...»

أمين الريحاني، الرسالة، ٢٥/٤/١٩٣٨
ص ٧١٣.





بشر فارس ونظرة شاملة للفن

عبد العزيز السباعي

ورغم أن كتابة بشر فارس، تراوحت فيما بين الخصوصية والفرد وبين الكتابة للجمهور، إلا أنه استطاع ببراعة تجسيد العلاقة بين الكاتب والمثقف، ناسقاً خرافة الكاتب المنعزل والجمهور المستعرب، محطماً الخط الفاصل بين هومو الخاصة ومن دونهم من الجمهور، فتغلباً المقم الثقافي والفكري الذي يغشى الحياة العقلية والوجدانية.

ولقد ظل بشر فارس في بحثه وإبداعه، نموذجاً للباحث والمبدع معاً، فنجاً من طوابي وثكنات المثقفين الذين يؤثرون السلامة وينشدون الأمان. فاستغفرت كل مظاهر الضحالة والندري الثقافي والفني، وظل متحازكاً للأصالة والعراقة لأن مجد الأمم في ظنه «لا يرتجل ولا يبني على بنيان هش، وهزيل، فلم يفتن نكل ما بثه الغرب عن ظهر قلب. ولم يستعرب على نحو مطلق. وهو الذي قال:

«من الصف أن تعد كل شيء يحصل في أوروبا على جانب من جلاله الخطر وعظم الشأن».

بل ظل في كتابته باحثاً عن الأداء والتعبير، ما بعد مداه ودق مرماه، دافعه إلى الكتابة... عطشى إلى صناعة الكتابة ميل دفين إلى قول الشعر وصياغة القصص، ومعالجة اللقد ثم إنه اتفق لي ذات يوم أن فطنت إلى خفة بضاعتي إذ وجدت شعري لا يسفر عن طريق ونسري لا يكاد يرجع إلى معسول فاعزمت الاجتهاد وابتهيت اللزول إلى مضطرب الحياة قبل التأليف...».

هكذا تحدثت بشر فارس في كتابه «مباحث عربية، ليبرح بجسارة العقل والقلب معاً.

والكاتب المبدع عند فارس هو «سجل عصره»، يدون الظواهر الاجتماعية، وإن فتر الحركة الأدبية والثقافية مرده إلى «انتشار أدب التسلية، والإنشاء التعليمي وجناية منهج تنلوب وأعرانه على النشاط الذهني».

ويدعو الكتاب إلى التآزر والتكامل لمواجهة الأخطار التي تتهدد أسالة المعمار الأدبي والفني، وينبه إلى الطرفان

«مانيفستو، يقضج زماننا الثقافي، ويهري زماننا ببؤسه وعهره.

امتلك كتابة بشر فارس حضوراً ثقافياً واجتماعياً بارزاً وطرحت كتابته مشروعاً ثقافياً جديداً، كشف عن نص نقدي إبداعى يستقرئ الواقع الاجتماعى والثقافى، نص ينتهج التحديث والمعاصرة، ويتجاوز التسجيلية، نحو تغير الواقع وتصويره فى سياق مشروع إلقند الإنسانى والاجتماعى.

«لقد تميزت أدبيات بشر فارس بتلوع فذ، وخصوصية نابضة، فكانت بمثابة كتابة نوعية متعددة الأبعاد، عامرة بمعايشته للوقائع الثقافية والظواهر الاجتماعية. متفجرة بمخاض عصره، مصطبغة بهوموم. فجلت كتاباته بخصوصية راقية ومبارزات نبيلة آنذاك.

استمتعت جلته بالكاملية والشمول، وحملت رؤاه روحاً متأججة تشظت عن



وتبحث فى السارراء، وتلذه فكرة
الآلوهية، وبين العقلية الغربية، التى تمد
الإنسان، ولا تنفع بالمجهول أو القبيح،
وفرثت بالإنسان إلى درجة الآلوهية، أو
تهبط بالآلهة إلى مرتبة البشر.

وقد نشرت القصة - لأول مرة - على
صفحات مجلة «المقتطف»، فى عدد
فبراير ١٩٤٢، بتصدير من المحرر،
وتعليق من الأستاذ/ زكى طليمات.

ع م

تصدير لقصة «رجل»

- ١ -

يسر المقتطف أن تقدم إلى قرائها هذه
التحفة الأدبية الخالصة. وهى قصة من
قلم الدكتور بشر فارس صاحب مسرحية
«مفرق الطريق»، وهذه القصة من
مجموعة قصص تخرج بعد أيام قليلة
فى مصر بعنوان «سوء تفاهم» (مطبعة
المعارف ومكتبتها)، وقد رغبت إلى
المؤلف أن يخص المقتطف بباكورة من
المجموعة.

وهذه القصة وأخوانها قد تثير القارئ
أحيانا كما حيرته «مفرق الطريق»،
وذلك لطرافة الموضوعات وجدة
المعالجة. ولهذا يحسن بنا أن نقل إلى
القراء زبدة حديث سمع به المؤلف إلى
زميلنا «المكشوف» البيروتية (العدد ٣٣٢
- ٢٤ أكتوبر ١٩٤١) قال الدكتور بشر
فيما قال:

«القصة عدوى حلية تنتزع من صدر
الحياة لا قطعة من الحياة كما يرى
القصاصون غالباً. يجب أن تكون كبرق
يلتوى فى سماء مغبرة. السماء المغبرة
هى الحياة الجياشة وهى ملئ من حيث
دفانها ومن حيث أسرارها. فالقصص
هو الذى يستطيع أن يطلع فى لفحة على
سر من هذه الأسرار أو دفينة من هذه
الدفائن فيدونها. ويجب أن تنطوى القصة

رجل قصة لبشر فارس

تقديم

تجمع ما بين الحس الملحى الذى هو
أساس الحكى، والحس الدرامى الذى
يأسس على التناقض والصراع. وهى -
وإن كانت قصة - إلا إنها فيما بعد
متحول إلى مسرحية، ويكون اسمها
«جبهة الغيب»، والقصة، على مستوى
المكونات الثقافية، تعبر عن سمة أساسية
لدى بشر فارس، ألا وهى المزج بين
العقلية الشرقية، التى تعشق المطلق،

إن اختيارنا لهذه القصة ليس
بريئا، فهى ليست مجرد عينة
انتقائية دالة، فيما يتعلق بكتابات بشر
فارس، لكنها قصة محورية عبر فكره،
بل إنها المركز الذى تدور من حوله كل
إدعاءاته فى الشعر والمسرح والقصة.
فهى، على مستوى الأجناس الأدبية،

أنت تغارين منها لأنك تحسّين ما تكون
هبتها لى. ستهب لى سرها، ويشق عليك
أن ينافس سرك الذائع فى صدرى سرّ
داخل، ثم تحسّين أن الأبدية شيء
يمثلك، شيء يملح السعادة.

ثم جعل الرجل يقطّر كلامه:

«لا تغارى يا حبيبتي. سأجعل الأبدية
سلماً إليك. فأجلس إزاءك نذاً إلى نذاً. أنت
امرأة تبسط الدنيا لحبيبتها فيوسع الأشياء
كلها ولا يسعه شيء، وأنا رجل قد نزع
قدمه من ورطة الأرض... كفى عن
ملعى».

مهممت الفتاة:

«يا حبيبى، لا تذهب إلى البيت
المنقور».

ونلت يوم لم يسقط حجر. فنذد القوم
بالرجل ثم سبّوه... لم يحارل الفوق
عليهم ثم يكيو؟

وفى الليل حلم المكشوف أنه رسّام
والكسيع أنه رفاص... الضمّة فنانة!

ثم مرصنت فتاة.

ونلت صباح هبط الرجل على القوم
سائماً. فالتف القوم حوله:

— «أنت؟ حسى؟ هل أكلت من
العشب؟»

— «عسى! الطريق!»

— «ولم أمسكت عن إلقاء الحجر؟»

— «إلى من ألقى بالحجر؟ لا ترقبوا
الشيء من عل؛ نقّبوا فى جوف
الأرض، يا بشر! عنى! الطريق!»

دخل الرجل بيت الفتاة التى برزت
من بين الصفوف ثم مرصنت.

والفتاة لم تكن فى البيت؛ قتلها الحجر
الذى لم يسقط.

خرج الرجل إلى الجبل، ورقي فيه
يقصد إلى البيت المنقور يحاسبه.

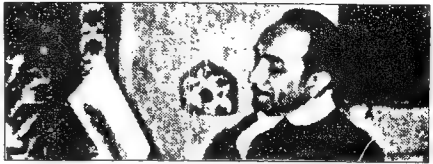
ولما كان صباح سقط الرجل من
الجبل ميتاً... قتل الرب نفسه والذى قتله
بشر. ■

شتورة (لبنان)، أكتوبر ١٩٤١

وهذه حقيقة مهمة يجب أن تستقر في نفوسنا حتى لا يذهب جهد أدبائنا فيما لأدب فيه ولا ضمان معه للخلود. الأدب صياغة.

والناظر في أدبنا الحديث يجد عدة أنواع من الأساليب: فثمة أسلوب مله حسين الذي يعرفه الجميع، أسلوب سمح تسلم الصفحة منه عدد أول قراءة كل ما تلك، فلا تشعر بالحاجة إلى أن تعود لتسويحيها جديدا، وكذلك رغم ذلك تحمد للكاتب يسره. أسلوب واضح الموسيقى، يكشف في سهولة من أصالته، فيقلده كثيرون بوعي منهم أو بغير وعي. ولكنه مع ذلك موسيقى نفس، أسلوب عذب.

إن السعادة لخير ما يحقق مذهب (أيششتاين) في النسبية فكل شيء في الحياة من لذة وألم تسمى. وليست اللذة والألم يعتمدان على الشيء الخارجي فحسب، بل هما نتيجة تفاعل بين الشيء الخارجي والنفس، ويختلف هذا التفاعل اختلافا كبيرا باختلاف النفوس. فليس الألم من الحر والبرد يعتمد على درجة الحرارة وحدهما بل إن صبح أن يكون للترمومتر مقياسا لحرارة الجو فلا يصح أن يكون مقياسا للألم النفس من الحر، وليس لهذه الحال ترمومتر مشترك يتساوى فيه الناس، إنما لكل إنسان في الألم من الحر والبرد ترمومتره الخاص، ولذلك ترى من يموت من الحر ومن يموت من الضحك، (فرض الخاطر جـ١ ص ٣٤٢ - ٣٤٣). تقرأ هذه الأسطر لأحمد أمين فخرج منها بفكرة (أن الألم واللذة أمران نسبيان وأنهما نتيجة لتفاعل بين النفس وما يحيط بها) ثم تنظر فإذا الكاتب يعرض لك الفكرة نفسها بعدة طرق ويحتمل على نقلها إليك بكافة أوجهها ففهم بأن تصيح: وما عملي أنا إذن؟ ولم لا يترك لي حظ تنمية فكرته فأشاركه عمله وأجد من لذة الجهد



سوء تفاهم وفن الأسلوب

محمد مندور

خصائص صياغتها - صوراً خيالية أو انفعالات شعورية أو إحساسات فنية، فهو إذن غير التفكير الفلسفي. وهو غير التاريخ وغير النظريات الأخلاقية أو الاجتماعية أو السياسية. وإذا كان النقاد يجمعون على محاورات أفلاطون مثلاً أو كتب برجسون أو تاريخ فرنسا لستليه تدخل في الأدب - فلذلك لأن في «صياغتها ما يثير صوراً خيالية أو انفعالات شعورية أو إحساسات فنية،

فاللقد تخلفاً في أدبنا الحديث. ولعل تأثرنا بالأدب الأوربي كان أصعب في هذا الاتجاه من تأثرنا بالتفكير الأوربي. والذي يبدو لي هو أن هذه الظاهرة كانت من أكبر الأسباب التي عصمت معنى الأدب عندنا وأُنزلت الاضطراب بمنهجهم. وذلك لأن الأدب، كما قال لانسون: «هو المؤلفات التي تكتب لكافة المثقفين، وتثير اندماجهم بفنل



بطل القصة «يركز أوتاد نهاره في المطعم ويصبب خيمة الليل في القهوة، أى أنه (بلغتنا) ينق نهاره في المطعم وليله في القهوة، ولقد تكون الليل خيمة وإن كنت أظنها أكبر من أن تحويها قهوة وأرفع من أن تطمئن إلى الصخب، وأما «أوتاد النهار، فذلك مالا علم لى به وإن كنت أعلم أن الخيمة هي التي تحتاج إلى أوتاد.

ومؤلفنا لا يكفى بالإسراف والتكلف، والجمع بين ما لاصلة بيته، وزج الملاحظات الاجتماعية أو الأخلاقية أو السياسية حيث لاحت لها. بل يأبى إلا أن يعقب على معظم فقراته، مستخرجاً العبر النادرة. فبطلة «طبق فول» تلبس «محطفاً منزعاً على كنفها وحذاء له كعب، طوله طول أنفها.. التناصب من شرائط الفتنة! وهكذا ندرك فن الكاتب حرصه على التفاصيل وإقامة الدسب بين طول كعب الحذاء وطول أنف امرأته المسكينة ونحس بسخريته اللطيفة الفاتنة طاعنا من ثانياً تعقيبهِ الرابع «المزعج»: «التناصب من شرائط الفتنة، ١٢ ونظر لطيف أفندى إلى المرأة (طبعاً ١٢) «يمرخر عليه يلومها على عكس وجهه وقد تلبس أن الماء لم يحبه بعد، ومعنى الجملة الأخيرة فيما أظن «أنه لم يكن قد غسل وجهه»!

وفي القصة الثالثة «السفينة» يصف المؤلف أثاث حجرة لإذا بها «طنافس، لو قصدت بها إلى أمريكا الشمالية فبعثها لرجعت وفي قبضتك ما يجذب فريفاً من نواب أمة راقية، فانظر إلى المرور من الوصف إلى هذه الحقائق السياسية الدفينة، ثم تصور قيمة هذه الطناني، أليست غالية جداً؟! وأميّة، بطلة القصة تستد إلى «شطء» الليل: أمنيّة دنيل آخر، ويودى أن لوجعها «جدولا، ليستريح الكاتب فلا يعود يدesh عندما يرى سفينة تصير في الليل ويتمان: «هل تستأذن الماء في الجريان أو تستدّر إليه عن

هي «حنية من صدر الحياة لتلتزم، كما يقول الكاتب نفسه في أحد أحاديثه الذي حرص على أن يصدر كتابه ببعض فقراته بعد أن نشرته مجلة المكشوف البيروتية، العدد ٢٣٢ - ١١/١٤، ١٩٤١ ونقلت صفوته «المقطف» عدد فبراير سنة ١٩٤٢، والثقافة، للعدد ١٦٢، ٣/٣، ١٩٤٢. وفي الفرنسية Journal. D'Egypte القاهرة ١٤/٢ / ١٩٤٢.

ما هذا القلب الذي يهبط ثم يجرى ألا يعود فيوصد؟ والمؤلف يستطيع بلا ريب أن يحمل بطله على أن يطلب إلى المرأة أن تكون «برقا يلترى في سماء مغبرة»، وأما أن يلعب بالقلب كرة القدم فهذا ليس أدبا ولا أسلوب أدب.

والقصة الثانية «طبق فول» تنبذى أيضاً بالمرأة. هكذا «كانت المرأة لا يعرفها سوى الصغاف، وفي الأشياء ما يحوره الأهم. فيعجب كيف يكون؟.. إني أعرف برامانا يفقر المين بعد الحين إلى ثقة الأمة. وأنت تعجب لهذه السهارة المسرقة التي تجمع بين صفاء المرأة وثقة الأمة بغير رابطة إلا أن تكون هذه اللقط الدقيقة التي وضعها المؤلف بين جمليته! والمرأة العاشقة توحى إلى المؤلف «بأن الإحساس الضخى ولد في زرقه سماء لم يرد وصفها في كتاب، ثم هبط على جناح التدفئة حتى سمرة الأرض، فصاع خوره في الأزقة القائمة والسهول البائرة بين برائن الجشع وقهقهات الاستخفاف.

وهذا لأرب بؤس بشري يدعو إلى الحزن، إذ فيه أكبر «استخفاف» بالضعويات، فقد كنا نقول: «السماء الزرقاء، والأرض السمراء» فأصبحنا اليوم نسمع «زرقه سماء» و«سمرة الأرض». ولم لا؟ أليس في ذلك تجديد؟ أليس فيه تجريد للصفة وإضافة للموصوف؟ ألم تر له شبيها عند الفحول؟ أليس هو «الأسلوب الفني» المعزيز للعنان؟ ومع ذلك يمجّه كل ذوق سليم! ثم إن

قدما: أكتاف مضانة ورقية فرعاء، أخذت تلصت في رفق ويلها شروء، حتى لكانه لا يئست منها غير ابتسامه وجهها إلى ذلك الحديث المهضم الذي كانت تتبادلته تلك الحلقة الضيقة التي جلست على مقاعد كستها طنافس صورت عليها فضائل الدين».

لننظر في القصة الأولى من المجموعة، وعنوانها (قصة ستكمل) على نحو ما كتب شويرت (سمفونية ناقصة ١٩٢٩). وهي قصة رجل تافه متسكع مغرور. نحس أن الكاتب يسلّم له بأنه ملك مسيطر على قلوب النساء وأنه يستطيع بتسلع البرود والقسوة والسفاسة أن يسمى الحسان! ثم امرأة يشعرنا بأنها شخص ضع لهذا الرجل رغم أنفها، لأنه واسع الحيلة خبير بالفتنات! الرجل في عقلية ما يسمونه بالفرنسية «بالجيولوجو». والمرأة «عاهرة». والقصة تنبذى بالمرأة تنظر فيها المرأة، وكم في المجموعة كلها من مرايا ١٩٢٩! وعدد بطل القصة «أن روح الرجل مصباح كهري ٥١٠٠ تحت ضغط أصبح المرأة، والمصباح الكهري، والزر، أشياء حديثة رأيناها جميعا. ولكن ماذا نقول في «البطلة» التي أرسلت خادمها إلى صندوق البريد بأسفل السلم ليظهر لها جاءها خطاب من صاحبها العزيز أم لا؟ وهبط الخادم ومعه قلب هبط ثم صعد الخادم وأجما ظم يصعد القلب. أين ذهب؟ ذلك ما لم يحدثنا عنه المؤلف! أهذا هو أسلوب للقصة التي

شقة ٢٤، وهذه أشياء ما أشك في أنها قد فانت السفينة، وأملى أن تفوت السفن كلها إلى يوم الدين وألا يلاحظ ذلك أحد!

وقد يظن الكاتب شعوره الإنساني فيشارك القارئ معه: «أيها القارئ الجوعان مع رقة حال، أنت أدري بفضل الخبز الكثير، فأى رقة وأية إنسانية وأى فهم لحقائق النفوس! والوبرش، الذى هى شربة خضار روسية - حصاء، تلتقى فيه ألوان البقول بعد تبخرها فى العقل - تلتقى هالكة فى لحد واحد، وللحد هو القدر، أو الصحن، الذى تقدم إليك فيه، ولكن الصحن البائس أصبح لحد، يشعر بك ببرؤس صاحبه وينشر فى الجو تلك الرومانتيكية النادرة المؤثرة!!

والمؤلف يرى رجلا جالسا إلى جواره على مقعد بأحد شوارع باريس أمام مسرح فيخيل إليه، أن يحمله إلى داخل الأوبرا لأن يكون أخف محملا على سمعه وضربانا فى قلبه، من أن يشغل على الرجل فيقص عليه مأساته، ثم يرى فى الأفق بائع عقود، «فى عيونه سلم أنواء من الأبيض حتى الأرجوانى، فكانما طول تحديقته إلى عقوده وهو يزولها للناس ترك فى مقلتيه بريق الأحجار، إلا أنه بريق كاذب». فهل رأى أحد بصرًا أحد من هذا البصر الذى يرى سلم أنواء فى عيني هذا البائع النصاب؟ وهل نفذ أحد إلى نفسية هؤلاء الباعة نفاذ مؤلفنا الذى ترجم لنا نفاقهم وكنبهم وخداعهم بألوان أعينهم، وفسر وجود كل تلك الألوان بهذا التفسير الرائع!!

وأخيرا، كم جلس مؤلفنا مع صديقته زكى فى قهورة - تعدت على استقلال

الشارع وليس فيها امرأة، وذلك لأنه قد وضعت بعض كراسيها على رصيف، وهذا طبعاً اعتداء على «استقلال الشارع»! وما نسمع نحن باعتداء على الاستقلال حتى نخضب وتثور عزبتنا القومية، خصوصاً وأنه ليس لهذه القهورة المعينة ما يشفع لها وقد خلت من اللصاء.

ويعد فقد قال الأديب الصادق الذوق المرحوم طه إبراهيم فى كتابه القيم «تاريخ النقد عند العرب» فى معرض الحديث عن مذهب أصحاب البديع كأبى تمام ومن نحا نحوه: «إن صاحب البديع يفكر مرتين: مرة للفكرة ومرة لتحويرها والتلفظ بها حتى تسكن للبديع، ومن المعلوم أن الصباغة حركة ذهنية عند الكاتب والشاعر، فإن تعددت هذه الحركة لم يكن لذا أن ننتظر إلا عبارات معقدة ولا نفساً فاتراً، كلما هم باطراد رقف به الحرص على الزخرف، وحال بينه وبين الجيشان والاسترسال تلمس المحسنات، ولذلك فإن التكلف أول ظاهرة فى مثل هذا الشعر». وهذا الحكم دين ما يستحق أسلوب بشر فارس وأدبه؛ وذلك لأنه لا يفكر مرتين فقط بل عشر مرات والأصالة ليست فى الإغراب ولا فى تسمية الأشياء بغير أسمائها ولا فى تضخيم التواضع. ولا فى التكلف الثقيل المعيوب. وإنما الأصالة فى النفس وموسيقاها، الأصالة فى الطبع واسترساله. فهل ترانا نؤذى خدمة إلى بشر فارس، عندما نقول له هذه الحقائق التى يجب أن يسمعا من رجل مختص كان يود أن يستمتع بما فى قصصه أمثال «خريف» و«مبروك» من واقعية مؤثرة،

وما فى «قيثارة مقترب» من جو شعري نافذ، وأخيرا بما فى «رجل» من رمزية مرجحية. وموضوع هذه القصة جدير بالنظر لما نحصه جميعاً من أن اللطاع إلى الما قبل لنا به خلق بأن يقتل فينا العصر الإنسانى نعم كنت أود أن أستمع بكل ذلك وحاولت أن أستمع، ولكن التكلف أنف على متحى، التكلف للبادى فى كل شئ حتى فى عناوين القصص وطريقة كتابتها «بخط المؤلف» ووضع «المشتمل» أى الفهرست، وحتى فى استشهدات الكاتب بنفسه وتقويته عنوان الكتاب بجملة من روايته «مشرق الطريق» وكتابة عنوان المجموعة باللغتين العربية والفرنسية. ثم فى الإهداء إلى «من هذيلتى فشمريت» وأخيرا فى شرح مذهبه فى اللصة نقلا عن حديث له أوردنا أسانيده فى أمارة كما أوردنا المؤلف نفسه. وهذه توافه يجب أن يسفوقها الأدب. وأنا لن أمل تكرار ما سبق أن قلته عن وجوب التواصل والإخلاص وسدور الأديب عن طبعه وترك الطنطنة إلى الهمس الصادق، كما أنى على ثقة من أنه ستظهر عندئذ فى أسلوب بشر فارس تلك الموسيقى التى حطمها التكلف واحتباس النفس والانتقال من المحسوس إلى المعنوى انتقالاتاً مصطنعا، كما ستظهر وحدة النسيج ويختفى ما نراه عنده اليوم من تنافر بين الألفاظ المهجورة القوية الخفمة، والألفاظ التافهة البهتلة التى تنبئه العامية. ■

ها مش

● نشرت هذه المقالة فى كتاب «فى الميزان الجديد» الصادر عن دار نهضة مصر.

لطبيعة الشعر، في مقال بعنوان (كلمة الشاعر) (١). كما قدم لمسرحيته: (مفرق الطريق) و (وجهة الغيب). إضافة إلى تقديمه لمجموعة (سوء تفاهم). فما هي طبيعة تصوراتنا عن فن القصة؟

نظرية القصة وطبيعة العصر

يرى بشر فارس أن القصة «حنية من صدر للحياة تنكزع، لا صورة من صفحتها الواضحة» (٢). ويجب أن تكون القصة برقاً اماماً طي سحب سود، والسحب السود هي الحياة الجياشة، (٣) وهو يشترط أن تنطوي القصة على «شاعرية في الأداء، وفي التصوير خاصة، حتى تفلت من جفوة الواقع» (٤). كما أنه كان أول من التفت إلى مفهوم وحدة التجربة بين الكاتب والقارئ، باعتبار أن «مدار الإنشاء الرفيع أن يجعل المنشي القارئ وشاطره نفسه: يلاش المنشي تجرية ترجف حسه، فيقتلها». وجرّما الخفى - إلى القارئ، (٥). كما يرى - أخيراً - أن القصة «ليست للنعلة، إذ عليها أن تثير القارئ، وأن تشغل باله» (٦).

على أننا لا يمكن أن نتلمس إطاراً نظرياً متكاملًا، إلا إذا أعدنا صياغة تلك التصورات مرة أخرى، بعد أن نخلص الأسلوب من بعض التراكيب المجانية، التي تعطل الفهم أكثر من أن تقره، ولذا يمكن لنا أن نعيد إنتاج الإطار السابق، طبقاً للتصور الآتي:

- رفض نظرية الانعكاس
- التأكيد على الطبيعة الرمزية للنن
- وحدة التجربة بين الكاتب والقارئ
- فعالية الكتابة

تلك هي مجمل عناصر رؤيته النظرية لفن القصة، التي ما إن تتم إعادة صياغتها أسلوبياً، حتى نجد أننا أمام رؤية



مجموعة «سوء تفاهم»

نظرية القص والسمات الأسلوبية

٤٠٣

على أنه من النادر أن يقوم الكاتب بالإدلاء بشهادته الأدبية أمام التاريخ، فضلاً عن أن يضمناها عملاً من أعماله، لتكون مدخلاً لفهم هذا العمل، ويشرف فارس واحد من أولئك الكتاب للتقليين، الذين امتكروا شجاعة الشهادة الأدبية، وسجلوا وجهة نظرهم فيما يكتبون، وكيف يكتبون. ولقد قام بالفعل بتقديم رؤيته الفنية، في مختلف مجالات الكتابة. ففي الشعر، تحدث عن مفهومه

فإن طبيعة الإبداع ما هي إلا صدق لتصويرنا عن الإبداع ذاته، فالقصة هي التجسيد للتصميم الفكري للكاتب. وعلى الرغم من أنها قد تختلف عن هذا التصميم، بعد أن نتحقق بالفعل، فإن ذلك لا يعنى سوى اختلاف في الترتيب، لا في التركيب. لذلك، فإن شهادة الكاتب تعد جزءاً من طبيعة كتابته، كما تصبح تصوراتنا النظرية عن موضوع الكتابة، هي الكتابة ذاتها.

أمة، والمرأة والفنان. ونحن نرى أن ترتيبهما، بحيث تدرجان في نهاية المجموعة، كان مقصوداً لذلك، فكانهما هامش عقل للمجموعة.

السمات الفنية للمجموعة

يمكننا أن نلاحظ عدة سمات فنية داخل مجموعة (سوء تفاهم)، تشكل العالم الداخلي بها، وتصفى عليها بصمة خاصة، هي مزيج من طبيعة العصر وتميز الكاتب. فالعلاقة بين الرجل والمرأة تظل محصورة داخل إطار رومانسي، حيث يصبح الجانب الروحي، لا الجسدي، هو الذي يؤسس تلك العلاقة، ويؤطرها. حتى طبيعة السقوط لدى المرأة، يتم النظر إليها عبر المنظور الرومانسي لمقوّم الجسد.

كما يمكن أن نلاحظ سيادة النص الدرامي على النص الروائي، داخل ذاكرة بشر فارس القصصية. ففي أحيان كثيرة، يصبح الحوار - أساس الدراما - هو السمة السائدة، داخل مساحات كبيرة من النص، مثل قصة (السفينة). وهذا ما يؤيد - بالضرورة - إلى تراجع مساحة السرد، الذي هو أساس النص.

على أننا لا يمكن أن نجبر ملمح السخرية عند بشر فارس، الذي لا يعتمد على المفارقة، بقدر ما يعتمد على الرسم الكاريكاتيري للشخصيات، وربما كان لطبيعة العصر الأثر الأكبر في ذلك:

«في الحجرة أثاث لو مسمته لطار... وفيها تمثال عزيز من أهل الصين، دفن ثلاثة نصّاتين، ص ٢٣. وأيضاً: أزد الإبتسام، فجعل من فمه شق صدوق بريد. وتذكر فجأة أن الفول ينتظره، فأغلق النافذة - في وجه المرأة التي يجيها - ولم يحترق.. أكل الفول فوق الاعتذار، ص ٢٤.

شبه متكاملة، في هذا الفن المستحدث آنذاك. ومن اللطيف يسمي أن نذكر أن صياغة بشر فارس لتلك الرؤية، لا تمثل قصوراً لديه، بقدر ما تعبر عن طبيعة العصر، حيث لا توجد حركة نقدية متكاملة لفن القصة، كما لا يوجد مصطلح نقدي يزيل اليل عن الصياغات النظرية. وهذا - نفسه - هو ما يصفى على تصورات بشر فارس، أهميتها التاريخية. وهنا، يصبح من الضروري أن نتساءل: هل استطاع بشر فارس أن يترجم تلك الرؤية النظرية بالفعل؟.

لقد أدت ثقافة بشر فارس الفرانكفونية، إلى أن يكون على دراية بمختلف الاتجاهات والتيارات الأدبية، وأن يتأثر بها. على أن أنحيازه للاتجاه الرمزي في الأدب، رغم أن الاتجاه السائد - والمساعد - كان الاتجاه الرومانسي، إنما يعبر عن مدى تأثير الثقافة الخاصة لبشر فارس وعقفا، ربما بدرجة أكبر من طبيعة العصر. إلا أن هذا الانحياز لم يكن خالصاً، فلقد أدى الصراع بين طبيعة العصر وطبيعة الثقافة الخاصة، إلى ظهور مزيج من التيارات المتنافسة داخل نسيج المجموعة، والتي عبرت بشكل عملي عن الصراع بين الطبيعيين، حيث نلاحظ أنه يمكن تقسيم قصص المجموعة، طبقاً للاتجاهات الأدبية، كالآتي:

قصص كلاسيكية: قصة ستكمل - ناس
قصص رومانسية: خريف - قيثارة مغرب
قصص رمزية: رجل - امرأة
قصص واقعية: السفينة - مبروك - هلك
للنهار - يقال قصة
قصص ساخرة: طبق فول

وتتبقى من المجموعة قصتان، لا تندرجان تحت أي من الاتجاهات السابقة، وهما القصتان الأخيرتان: قصة

هناك أيضاً طبيعة الثقافة الخامسة، والتي نتجت عن تماسع مع الأدب الفرنسي مباشرة، ومحاكاة آخر منجزاته. وقد أدى ذلك إلى إيمانه الشديد بالنهايات المفتوحة للنقص. وفيما عدا القصص الكلاسيكية، التي تؤكد على اللامع الأعلى الاجتماعي، وبالتالي فإنها تنتهي نهايات أخلاقية صارمة، مثل: «قصة ستكمل، و«ناس»، فإن كل القصص الأخرى تتميز بالانفتاح الدلالي للنهايات. وهذا - تحديداً - ما يصفى على تلك القصص قيمة مستقبلية، قياساً إلى القيم الأدبية السائدة في تلك الوقت.

إلا أن اللغة، تظل أهم السمات الفنية داخل المجموعة. ورغم الكثير من تحفظاتنا على تلك اللغة، فإننا نرى أنه يمكن ردها إلى اللقاء تيارات عدة داخل ذاكرة بشر فارس الأدبية، أمثلها الثقافة الخامسة من ناحية، ثم الصراع بين الكلاسيكية نتيجة لمبعية العصر من ناحية أخرى.

وقد أدى ذلك إلى أن تكون تلك اللغة شديدة التكلف، وشديدة التعقيد في آن، نتيجة لمحاكاة «الثقافة اللغوية».

التناقض اللغوي

إذا كانت اللغة الخاصة هي أهم سمات مجموعة «سوء تفاهم» لفظية، فإن إشكالية التناقض الأسلوبية، هي أهم سمات تلك اللغة.

ومن البديهي أن لكل تيار أو اتجاه أدبي، سياقه اللغوي الخاص، والذي يتحدد عبر معجم خاص، وطريقة خاصة في تركيب الجملة، على المستويين للنحوي والصرفي، وكذا مستوى تركيب للصورة. وحين تتناقض عدة تيارات أدبية داخل عمل واحد، مثلما حدث في مجموعة (سوء تفاهم)، فإنه من الطبيعي أن يتولد عن ذلك عدة مستويات لغوية. وهذه المستويات المختلفة، بل



والمناقضة، قد تؤدي إلى أن يعجز الكاتب عن السيطرة عليها. وهذا بالتحديد ما جعل محمد مندور في كتابه (في الميزان الجديد)، يهاجم أسلوب بشر فارس في الكتابة، باعتباره أنه «يسم» بالإسراف والتكلف الأسلوبى، وهو يستشهد بأن «صاحب البديع يفكر مرتين: مرة للفكرة، ومرة للحويهرها حتى تسكن للبديع. ومن المعلوم أن الصياغة حركة ذهنية عند الكاتب والشاعر، فإن تعقدت تلك الحركة، لم يكن لنا أن ننظر إلا عبارات معقدة، وإلا نصاً فائراً، كلعالم- باطراد- وقف به الحرس على الزخرف، وحال بينه وبين الجيشان والإسترسال تلمس المحسسات» (٧). على أن مندور يغالى في رفضه لأسلوب بشر فارس، فيقرر أنه إذا كان صاحب البديع يفكر مرتين، فإن بشر فارس «كان يفكر عشر مرات» (٨).

إن تعقد وتكلف الأسلوب داخل المجموعة، لا يمكن رده إلى الحرس على البديع وحده، لكن يمكن رده، إلى جانب ذلك، إلى تداخل أساليب تعجير متعددة، داخل سياق واحد: كلاسيكية رومانسية ورمزية وواقعية مما يؤدي بالذاكرة المتلقية إلى التشتت، لا إلى التركيز.

وهذا يؤدي بدوره - إلى بذل مجهود أكبر في عملية التلقى، مما يجعلنا نتفق مع مندور في النتائج، لكننا نختلف معه في التوصيف.

والأسلوب الغنى - بشكل عام - لدى أى كاتب، هو مزيج من التجريد

والتجسيد، طبقاً لقررات الكاتب وطبيعة الموضوع وطبيعة الاتجاه الأدبى، الذى ينتمى إليه الكاتب. وهذا ما يسم النص الأدبى، بأنه مزيج - بدرجة ما - من التفكير بواسطة التصورات، والتفكير بواسطة الصور. وما يميز الأسلوب الأدبى عند بشر فارس، أنه حين يتجلى مستوى التفكير بواسطة التصورات، فإن لغة التعبير - عنده - تصبح لغة كلاسيكية، على مستوى المفردة ومستوى تركيب الجملة، إضافة إلى المستوى البلاغى. أما حين يتعلق الأمر بالتفكير بواسطة الصور، أى فى حالات التجسيد فإن لغة التعبير تتبنى إما الاتجاه الرومانسى فى أغلب الأحوال، أو الاتجاه الرمضى. وفى حالات نادرة، حين تقترب شيئاً من الواقع، فإنها تصبح واقعية، وخاصة تتماشى مع لغة الشارع: «أحسن من عينه، من ١٥، «سلم على سلكه، من ١٥».

على أن الإشكالية الأساسية فى أسلوب بشر-فارس، تكمن فى تداخل مستويات التعبير داخل النص الواحد، خصوصاً حين يتم التعبير عن أفكار كلاسيكية بأسلوب رومانسى، أو العكس. فها هى امرأة غانية. تتحدث عن حياتها الخاطلة من خلال قيم اجتماعية كلاسيكية، بينما تطفى على أسلوب التعبير سمات أسلوبية رومانسية: «أنا أمتوعة فى عينه؟ له؟ لأن فى مجيبن ومجيبن. أنا أنهية فى عينه؟ له؟ لأنى أعين للرجال بأنسى وهزنى، على تفريق حياتهم الزوجية، وعلى قطع مفاوز الليل؟ أمخبولة أنا إن صررت برقاً فى سماء مغيرة؟» (٩).

كما أن الفكرة الرومانسية، أحياناً ما يتم التعبير عنها بأسلوب كلاسيكي: «إنها أممية لا يغمرها شيء، هى نفسها تنمر. إنها خلقت لتفيض وتبسط» (١٠). وفى موضع آخر: «كان أكبر شاغلها أن تكبين بماذا تستهوى المحبين، هذا يتصل

سير تفكيرها، وفى التمثل جمود، ووراء الجسمود حق... عين المولعين بها قبيحة، لأنها تستجدى، وفى تبذلها خبث الفتك» (١١).

ولعل هذا التداخل/ التناقض الأسلوبى، بين الكلاسيكية والرومانسية، هو امتداد أكثر تطوراً لتلك اللغة الزخرف، التى حفر مجراها المنطوقى، حيث كان يعبر عن أفكاره الكلاسيكية - فى بعض الأحيان - بلغة رقيقة، كما كان يعبر - أحياناً عن الأفكار الرقيقة بلغة فخمة.

إلا أنه كثيراً ما كانت تتمكن إحدى اللغتين من التخلص من غريمتها، ليصبح النص بأكمله كلاسيكياً «إنما الجلاء بعد الجلاء (اتصاح الأمر)» (١٢). «إنما عزالم الحاضر نهى لحرق الماضي» (١٣) «الشيء للملوك كل الملك، دليل على أنك مصاحب سلطان ثابت» (١٤). «انطلق مبورك، ثم عاد إلى بيته مساءً، معافى يعود إلى مرضه» (١٥). «المطعون أعرف الخلق بموارد القتل» (١٦). «إنما القيمة الرفيعة ذنب» (١٧). «جبل اشدد اشتداد شهر الصوم على المتكلفين» (١٨).

من خلال النماذج الأسلوبية السابقة، نجد أن الصورة الفنية هى فى النهاية محض صورة بلاغية، تتأسس على المحسسات البديعية وحدها. لذلك، تستحيل الصورة بانهاج ملهى كلاسيكى.

كما أن الحكمة، إضافة إلى نشدان المثل الأعلى الاجتماعى، تصبح هدفاً فى حد ذاتها، يتم الوصول إليها عبر الوسائط اللغوية الأسلوبية. كذلك، فإن الألفاظ - واشتقاقاتها - تظل ذات معنى كلاسيكى بدورها.

وفى المقابل، فإن الرومانسية - بدورها - قد تتخلص من إسر الكلاسيكية،

لتصبح مهيمنة داخل النص، على المستوى الأسلوبى: هل يقرر الزائل اعتدال الدائم؟ (١٩) - فبات كأن لهم أنامل، خلقت لمسح الوحدة، ونسج الغراء، وحل القسوة، (٢٠) - «انتبذت الفتيات بالرجل، والتفنن عليه أزهير ليل، (٢١) - «قد أن لعينك أن تكهظ من النور، ولكن قلبك يمتنع بالظلمة، (٢٢) - «أتعرف أن الهند أبعد الناس حكمة، لأنهم يشتهون الذى لا نهاية له، فلا يصبرعهم المال؟ (٢٣) - «فى القصر، الطنافس نسجت من أنفاس العشاق، والمصابيح انسلت من القمر، وإذا أطرافك كالمنبلة، تطلطمها السموم فيغيثها الببال» (٢٤).

ومن الواضح أن طبيعة التعبير فى النماذج السابقة، يغلب عليها الحس الرومانسى، حيث تتأسس الصورة على الخيال الرومانسى، أكثر مما تنتج عن البلاغة الكلاسيكية. كما أن قيم الذات الفردية، تطفى على قيم العام، حيث تصبح الذات مركز العالم داخل النص. إضافة إلى التخلى عن الحكمة ونشدان المثل الأعلى بالمعنى الأخلاقى. لذلك، فإن الصورة الفنية تنتج عن التفرّد للشخصى للكاتب، مثل صورة الفتيات اللائى يلتفنن حول الرجل (أزهير ليل).

أما على مستوى المفردة، فإن دور الألفاظ الضخمة، يتراجع فى

النماذج السابقة، حيث تحل بدلا عنها مفردات أخرى، تنشئ بالروح الرومانسية (الرقيقة)، تلك التى سادت فى حقبة الثلاثينيات، مثل: الأنامل، الظلمة، المال، أنفاس المشاق، القمر، الليل... الخ.

وكما تتداخل الرومانسية والكلاسيكية، يحدث - أحيانا - أن تتداخل معهما بعض الأفكار، التى تنتمى إلى الاتجاهات الواقعية النقدية أو الطبيعية، قد يتم التعبير عنها بأساليب رومانسية أو كلاسيكية، مثل: «نتشبه من حصوره، كأنه شوكة تززع أنملة حسناء» (٢٥) - «الأنثاء المرأة من عشوق خشن، بتعذيب زوج رخو» (٢٦).

وفيما يتعلق بالإتجاه الرمزي داخل المجموعة، فإنه يظل دون تأثير على مستوى الأسلوب، لكنه يمارس تأثيراً قوياً على مستوى الأفكار. ولعل أوضح مثال على ذلك، رمزا التكيف والكسب فى قصة (رجل)، المنشورة ضمن هذا الملف. ■

الهوامش

- (١) (كلمة الشاعر) - بشر فارس - المتخلف - أبريل ١٩٤٥.
(٢) مقدمة مجموعة (سوء نظام) - لتأليف بشر فارس - الطبعة الأولى ١٩٤٧ - مكتبة المعارف.

- (٣) نفسه.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه.
(٦) نفسه.

(٧) (فى الميزان الجديد) - د. محمد مندر - دار نهضة مصر - ص ٢٧.

- (٨) نفسه - ص ٢٣.
(٩) مجموعة (سوء نظام) - ص ٢١.
(١٠) نفسه - ص ٣٥.
(١١) نفسه - ص ١٤، ١٥.
(١٢) نفسه - ص ٤٤.
(١٣) نفسه - ص ٤٩.
(١٤) نفسه - ص ٥١.
(١٥) نفسه - ص ٥١.
(١٦) نفسه - ص ٦٤.
(١٧) نفسه - ص ٧٢.
(١٨) نفسه - ص ٩١.
(١٩) نفسه - ص ٩٢.
(٢٠) نفسه - ص ٤٣.
(٢١) نفسه - ص ٤٥.
(٢٢) نفسه - ص ٦٥.
(٢٣) نفسه - ص ٧٦.
(٢٤) نفسه - ص ٨٣.
(٢٥) نفسه - ص ٥٠.
(٢٦) نفسه - ص ٧٩.



إلى زائرة

قصيدة رمزية

بشر فارس

قا يذكر وديع فلسطين أن بشر فارس قد أثار معركة أدبية واسعة، بقصيدته «إلى زائرة». وقد نشرت هذه القصيدة في عدد مايو ١٩٤٤ من مجلة المقتطف. وقد تبارى في تفسير تلك القصيدة، أدباء من مصر وسوريا ولبنان، فالمسجوبين بالشعر الرمزي، مثل صلاح الأسير، قالوا إنها من أجود قصائد بشر فارس. وفسرها عدنان الذهبي بأنها قصة لقاء بين حبيبين افترقا سنوات طويلاً. فلما جاءت الصبية تزور حبيبها، كانت قد أصبحت عجوزاً مخطمة. ومع ذلك اكتمل اللقاء، رغم الوساوس والهواجس، وفي المقابل، فإن زكي طليمات - وهو صديق شخصي لبشر

فارس - يقول: «أثر الشاعر نهج الدلّيج والإيماء، لا نهج الإفصاح والتبيين، فهو يوحي ويقتل الكلام، فلا يذهب بالتعبير إلى أقصى مداه، وغرضه أن يمنح القارئ لذة تلبه الفكر، وترهف الحس لأجل استخراج المعنى، فيصبح القارئ شريكاً للشاعر في النظم». كما يذكر وديع فلسطين أن الشيخ عبد الله العلايلي قد تناول للقصيدة لغرض أنبل قصداً وأكبر غاية. ثم يقوم بتفسير ألفاظ القصيدة ومعانيها، فيختم كلامه بقوله: «هذه هي القطعة في معناها كله، وهو كما ترى حلو أنيق وبارع شيق ومبتكر»:

لو كنت ناصعة الجبين..

هيهات تنفضني الزياره

ما روعة اللفظ المبين؟

السحر من وهي العبارة

ظل على وَجْهِ الحنين

رسمته معجزة الإشارة

خط تساقط كالحزين

أرعى على العزم انكساره

ماذا بوجد المحصنين؟

صوت يشج خلف الستاره

غيبته في العجب الدفين

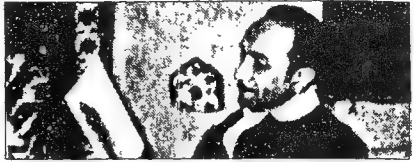
معنى براعته البكاره

درا يغسوت الناظمين

ونهضت تهديني بحاره

خطوات وسواس رزين

وهب تعميمه الطهاره ■



البشر السابع عشر

بشر فارس

رقصت في دُجى الحقبِ

جُنَّ من جسٍ مذكِرٍ

وترقَّ للحمَرِ

وانصبابِ الهوى اللجِبِ

فى شرايينٍ ملتهبِ

نوحُ فيثار مغتربِ

القاهرة، يناير ١٩٤٠

نفّضُ نوياتٍ منجذبِ

شغلَّ العجزَ بالسفرِ

علقَ القلبَ بالخطرِ

هامش:

(١) هذه القصيدة تجرى على بحر ومضمعه

المؤلف. أجزأه فاصلتان، مفاعلتان،

مرتتين.

خرجتُ وفي صدرى صوت

يحرز^(١):

نوحُ فيثار مغتربِ

سلسلُ الوجدِ بالطربِ

حبسُ الأملِ فى وترِ

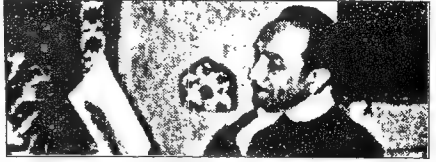
جُنَّ من جسٍ مذكِرِ

حبسُ الأملِ فى وترِ

واردٌ هبَّ كالشريرِ

من أساطيرِ كالشهبِ

سلسلُ الوجدِ بالطربِ



مكتبة العقد الفردي

العقد الفردي لابن عبد ربه

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الجزء الأول، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته
ورتب فهرسه الأستاذة أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإياري
٤٧٧ ص، ٢٨ × ٢٠ سنتيمتر، مصر ١٩٤٠

مراجعة ونقد بشیر فارس

كله تدبر واستقراء، ومراجعة واستقصاء،
فاستقمت من الأستاذة، بعد استشارة
المستشرق الألماني Ritter، نسخة
مخطوطة مأخوذة بالتصوير الشمسي
عن أصح نسخ الأستاذة، وهي تعد أقرب
النسخ إلى الصحة وفيها زيادات كثيرة.
ثم ضمت إلى تلك المخطوطة مخطوطة
أخرى محفوظة في دار الكتب المصرية
كنت قد اطلعت عليها، وهي موفورة
التحريف والنقص. وذلك فضلاً عن
النسخ المطبوعة. ومما عوّل عليه
الناشران أيضاً جزءان كبيران من العقد
للفرد أخرجهما الأستاذ محمد شفيق أستاذ
العربية في جامعة بنجاب بالهند.

وقد استوفى إخراج هذا الجزء شرائط
تحرير النصوص، فمن معارضة الأصول
بعضها ببعض ومضاهاة الأصول
بشوايف أخرى مثل عيون الأخبار
والكامل وشرح ديوان الحماسة ثم من
شرح للغامض وضبط للفظ المشكل
وتكميل للنقص وتوفيق للنخب الواحد، ثم
من تغليب رواية على رواية.

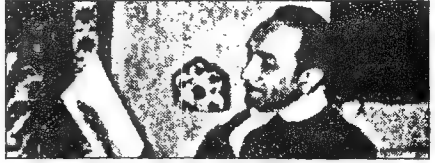
وقد عني الناشران - فرق هذا - ببذل
الفوائد. فكتب الأستاذ أحمد أمين عميد
كلية الآداب مقدمة مسهبة عرّف فيها
بابن عبد ربه، وقدم عقده، وذكر عناية
العلماء بهما أمثال الأستاذ جبرائيل
سليمان جبورو الأستاذ فؤاد أفزام الليستاني
في لبنان والأستاذ محمد شفيق بالهند.
وهذا فات الأستاذ أن يذكر رسالة
للمستشرق الألماني Richter في صلة العقد
ببحوث الأخبار^(١).

ثم إن في آخر الجزء مسارد وافية
(ويسمونها الفاشرون «فهارس» لرجال
السند، والشعراء، والأعلام، والقبائل
وأسماء الأماكن، وأسماء الكتب والقوافي،
وأنصاف الأبيات، والأيام، والأمثال ثم
الموضوعات.

لكتاب العقد الفردي طبعات شتى،
أشهرها وأكثرها تجاذباً طبعه بولاق
(مصر ١٢٩٣). وما يورث الأسف أن
جميع الطبعات على جانب عظيم من
التحريف والتصحيف، في حين العقد
الفردي على ذلك وتلك المنزلة بين دواوين
العرب وأمّهات التصانيف، ولا حاجة بي
إلى التنويه والاسترسال في التنبيه.
رأت اللجنة - وأصابني فيما رأيت - أن
تعيد طبع العقد الفردي على أسلوب علمي،

تلك يد جديدة تصديها لجنة
التأليف والترجمة والنشر إلى
قراء العربية، في عهد أصبح الطبع فيه
متعذراً، والنشر كلفة. وكأن اللجنة يشق
عليها أن يردّها راءً عن الانضلاع بما
حبست عليه همها العالية، ومقصدها بث
الثقافة على ألوانها وأنواعها ورفع شأن
الأدب وتعزيز قدر العلم. ويحلو لهذه
المجلة أن تحييها.





وكنت أعلم أينما أنه من
الإشراف على شئون الدار بين تدبير
وتسيير لم يترك التأليف ولا التصنيف.
وكان كتابه الوافي «تاريخ الصحافة
العربية» قد طفر بالرحيب والتقدير ونزل
منزلة السفر المعتمد في بابهِ (١).

ومما كان يزيد في قدر هذا العالم
عندى أنه لما عصفت الحرب الماضية
بجبل لبنان فتسالت المعن وتداعت
الأنفس، لم يدع ستارا في بيته إلا خاطه
وألبسة المحتاجين - وهو قد جعل دينه
صباح مساء أن يوزع الخبز والطحين
على معسرى بلدته، (٢). ثم إنه الرجل
الذي انخرط في سلك «الجمعية
الإصلاحية» ببيروت في عهد السلطنة
العثمانية، وكانت هذه الجمعية كالخطوة
الأولى نحو المؤتمر العربي الأول الذي
انعقد في باريس سنة ١٩١٣ برئاسة
الشيخ عبد الحميد الزهراوى

هذا الشيخ الجليل الزاخر علمه الوافر
فضله لم أجد بدا من قصده في الخريف
الفائت يوم هبطت بيروت لأيام زرته
في داره. وما كنتا نفيض في أحاديث
الأدب والطلم حتى أنبأني بأمر كتاب فرغ
من تصنيفه، وقد أكتب على وضعه نحو
عشر سنين. قلت: ماعوانه. قال:
«خزائن الكتب العربية في الخافقين».
قلت: هل لي أن أنتظر فيه؟ فنهض ثم
عاد فإذا هو كتاب لا أعرف له أختا في
لغتنا: طريف المسحى، عزيز الماده،
موفور الفائدة. ثم إنه مرتب أحسن
ترتيب، متناسق الترويب، مشيع النصول.
وأما أسلوبه فجاءع للوضوح والإحكام
والسهولة والذقة. وأعجب ما فيه أن أبوابه
تشق لشجيت الفوائد، وأنت غافل عن
ذلك؛ وأن أغراضه تتشعب في غير
استكراه، فتنتشر المسائل وتنتشر النودار،
كأنه دار تلجها من باب مستدق فتقضى
فيها بعض يوم تتنقل بين حجر غرائب
بعضها إلى بعض يقتف بك. ويقع

خزائن الكتب

العربية في الخافقين

للشيخ فلييب دي طرازى

بشر فارس

كنت أعلم في ذلك العهد أن
الفيكنت أنشأ «دار الكتب اللبنانية» في
بيروت، وأنه صرف إليها المال من
هسته وخصها بالغالى من ثروته، ولا
أعلى ثروته المادية وإن رضى منها للدار
في سبيل التأسيس والتأثيث وترتيب
بعض المكافآت، ولكنى أعلى ثروته
الثقافية، فقد زود الدار بخمسة آلاف مجلد
بين مطبوع ومخطوط انتزعها من
مجموعة كتبه الخاصة، ثم أنصفها
بأنطاف وأثار جمع بعضها إلى بعض
فانتظمت في شكل معرض فن.

قال إن في الناس من يحولون إلى
أنهم بين يديه والإجلال على
نفسى غالب. ولا يهدأ خاطر حتى
يغضب للتقدير اللسانى أو يدفع القلم.
واليوم يشغل صدرى أمر رجل من
رجال الشرق العربى، أمر عالم عامل
ورام قاضل.

عرفت الفيكنت فلييب دي
طرازى في «دار العربية» لواحد زمانه
أحمد زكى باشا رحمة الله ثم اجتمعت به
تارة عندى وأخرى عند أحمد زكى.



التي أثارها الكاتب في المجلة
الميتافيزيقية وسط الشباب الذين
شاهدوها.

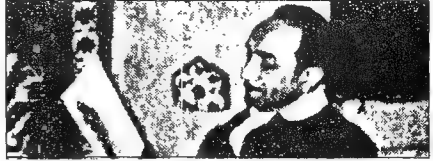
ليس هذا لأن الجمهور المثقف في
القاهرة وافق على تحليل الأحداث في
تآن وصبر، تآن وصبر فرنسيين في
مقابل اللغة العربية، إذا استدعينا، منذ
البدائية، صرب من البراعة في التلميح
للخاطف السلس، وتكثيف الأفكار داخل
الأشكال البراقة، شبه المولمة، التي
تومض هنا وهناك.

نراها في الشكل: «مضى» - معتم،
حيث يشق بشر فارس تغيير ترتيب
الكلمات، والمفارقة في هذا البلد إذ لا
يوجد ظل آخر تحت الشمس سوى الممثل
الخفيف المبتلي من طمي النيل. وأيضاً،
في العمق، حيث يكمن التلميح للزوج
غير المعلن من العبث، وهذا عندما
تحدثت عن كامي أو القلق عندما نتحدث
عن القلق عند كافكا: تحدثاً قبل المناظرة
الجدلية التي وقعت بين أندريه جيد و
حسين، في العام ١٩٤٦، التي فُقد فيها
الأول الفكر العربي القروسي للمعري.
بالطبع لم تهتم بتصوير موضوع القلق.

من النادر مقابلة كاتب مثله، لأجل
مصالحة بين الفرنسية والعربية، دون أن
يترجم النص العربي للنص الفرنسي، كما
في هذه الحالة مع بشر فارس، مع توتر
حب القوس، حيث نرى جيداً مايرش.

(مفروق الطريق)

تكشف خلفية خشبة المسرح عن
الضزن. على اليسار، لوحة لمسكن
منخفضة الطوكانلي نراها في الأحياء
القديمة للمدينة. نافذة تشبه المشربية،
تزين جداراً عالياً، على اليمين.
القدمة طريق تقطع الخشبة من اليمين
إلى اليسار. في النصف، يشكل «مفروق
الطريق» زاوية متفرجة. على الأرض،
كومة قصب سكر. مصباح كمامابيح



مفروق الطريق

مسرحية

بشر فارس

تقديم

لوي ماسينيون

ترجمة

أحمد عثمان

قا في القاهرة، اختار بشر فارس
المرور من البحث النقدي الثقافي
إلى المسرح، إلى حد ما يتشابه مع
مانعيشه، هنا، في باريس كما هو حال
الفيلسوف جابرييل مارسيل GA-
PRIELLE MARCEL الذي نبغ عندما
كتب للنجاحات الدرامية بكل صراحة.
وظهر مسرحيته: «مفروق الطريق»، في
العام ١٩٣٨، لم تنشر، مع مراعاة
الفارق. تفاعلات العقد النفسانية نفسها

كان للنجاحات العديدة التي
رافقت عروض مسرحية: «مفروق
الطريق، لبشر فارس في فرنسا،
التمسا، ألمانيا، وقبلها في مصر:
صيف ١٩٣٨، الدافع وراء إصدار
الطبعة الفرنسية منها، في العام
١٩٥٤، لتصدرها مقدمة قصيرة
بقلم المستشرق الفرنسي الشهير/
لوي ماسينيون، هذا نصها:

بشر فارس



الأرقى دالماً... (إلى منصور
والفقير، كل واحد منهما - الآن -
يقف بجانب الآخر). لن أنتلج، من
الآن فصاعداً، (في صوت تائه) إذا
توصلت إليه (تمشى إلى آخر
الناحية اليمنى).

منصور: هكذا، مرة واحدة،
تركيبن.

سميرة (دون حزن): التجربة
الروحانية لا تريد سوانا، دون شك، كنا
مستعدين والأعين مفتوحة، وما هو ذا
رجوع مفاجئ، حيث تسكن الدموع،

ترتسم على هذا الأفق الفقير، أنا، يجب
أن أُنشئها... المرارة تشدّ الجراة (وقفّة
طويلة، إلى منصور، بلا حقد).
ولماذا تتبعه؟ تتعلق به، وتدحر به إرادة
القهر - خرق المحارم! نشرة صريحة
تشفق على... يا للراء، وأنت، يا من تقف
بالقرب مني، حاذِ موج الكمال (في
حدة) الآن، استدعيت سر المعبد، حاشية
الحجاب تلتفض أمام نظرتك المرتجفة،
استدعِ الومضة. (مختلفة) بالنسبة لي...
قَسِم لي الاضطراب العظيم (إلى
منصور والفقير في هدوء).

خذنا هذا الطريق المعتم... هذا
المنحدر.

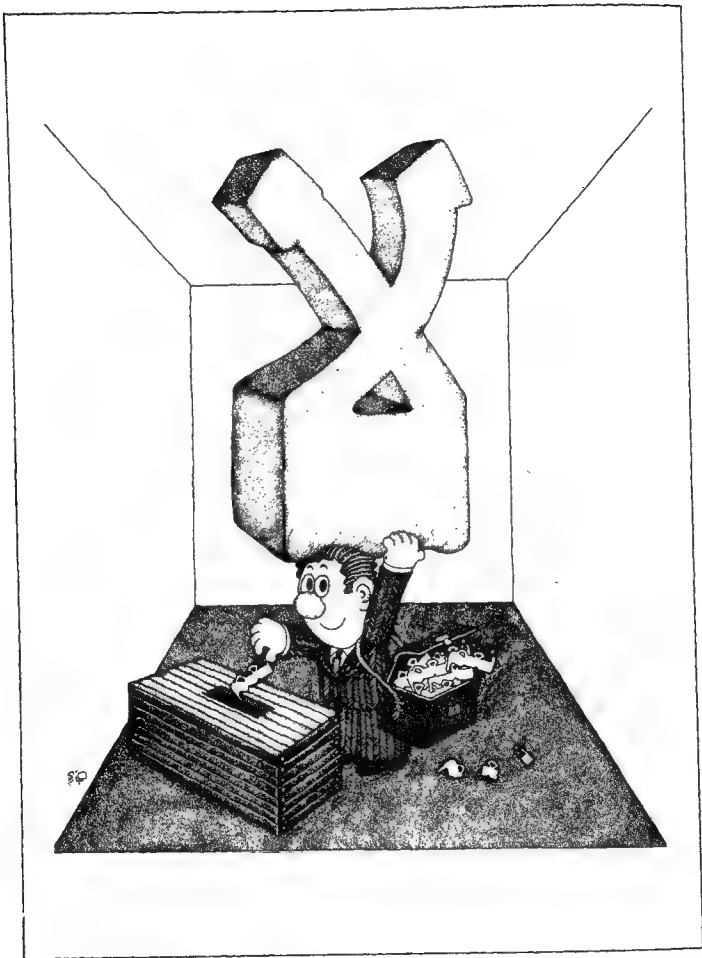
(تحت هذه النظرة الغائبة
لسميرة، منصور، رأسه منخفض،
يصحب الفقير من يده. يتحنى
ناحيتهما، ويجرّج قدميه خلف
منصور. يختفيان في الناحية
المعتمّة، وسميرة تأخذ «المطلع».
وحيذاً يصدح الناي بلحنه الأخير:

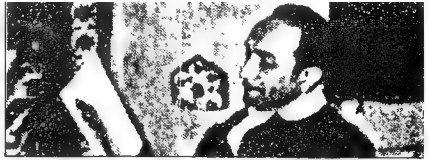
ترثي الشخصيات الثلاث، وقد
تصاعد اللحن نحو منطقة صراع -
بصوتين متقابلين - المعرفة
الباطنية للإنسان (اللحن
المسايي) ■

ستار

هامش:

قامت هذه المسرحية لأول مرة بالعربية في
العام ١٩٣٨، وعرضت في عديد من دول أوروبا:
فرنسا، النمسا، ألمانيا محققة نجاحات عديدة...
وقد ظلت أبحاث طولة عامين فيما تسمى مكثات
«بلدية، بالعاصمة والإسكندرية، وأذكر أيضاً:
المطونة: دار الكتب، وللأسف لم أجد لا النسخة
العربية إذا كانت قد صدرت أصلاً ولا الفرنسية
التي تمصت عليها، مصادفة من قاع مكتبة
فقيرة... وقد صدر من المسرحية، مطبق
الطريق، Divergence، وفي العام ١٩٥٤،
تسمانة نسخة مرقمة (١ - ٩٠٠)، عن مطبعة
«مصر»... وتحمل النسخة المودعة لدى الرقم
(٤١٧) .. مزود بها ورقة عما ما كتبه الصحافة
الأوروبية من نقد في حقها... المترجم.





ما صالِح لأن يحل مشكلتها. فى الحوار الأول تنشبت سمية بمنطقها وهى لاتزال كأنها هائمة على وجهها، فتتمرد على الموضوعات الاجتماعية التى تحبس جريان الحياة الوجدانية. ويفضل هذه الحياة الزاخرة فى جنبها بلع حديثها بالإشراقات. وذلك حتى يطق منصور بكلمة كفى له فتوقظها الكلمة وتشغلا على الفور. وأذ هى نقص قصتها فى مناجاة أولها: «وما تكون غرابته؟» تنقلب إلى أرجاعها الماضية فتمتلئ بها لساعتها. ثم تتماسك بعد سرد القصة، وتبص كأنها نجت فتقول: «إن شلون القلب لا تقضى إلا بالخلق». ثم تعود إلى اللجو المثلج الذى تسلمه من عشرة الأبله، ويحيى تجيب منصوراً فى جفاء وهى تأتى بالهجم القاطعة، ذلك أن الألم البالغ الذى أرمض جوانمها بالأمس علمها كيف تتاضل اليوم. غير أن بعض جواباتها ترتش فيها بيرة اضطراب تارة، وتارة يساب فيها التلوزع: التوزع جلى فى ردما هذا: «(تقر فى استسلام) تفالبنى فحهو، (تتماسك)... وأما اضطرابها فيزيد ابتداء من رد منصور: «الدفء... الدفء...» ويبلغ غايته حين تسرد سمية مناجاتها الثانية، أولها: «ولما أنه بعد».

أما شدو الناي فيوقع سمية فى ذهول: يأخذها الوجد فتبسب حزنها الدفين فى مناجاة أولها. «ذلك أنفاسى ترتقى مدارج الهواء النقى...» ثم تخرج منها وقد أوهنها الضجر ورج بها عطش الفؤاد. فزراها بعد هذه المناجاة تعدل عن التهمج والتصب، لأن الناي أعاد إلى صدرها النفس الرائق. وبعد قليل يكشف لها منصور أن الأبله حين يتمم يعن عداءه للناي، فزراها بعد تردد يسير توتر الضحك على الشدو، فتصرف عن الناي

مفرق الطريق*

التحليل السيكولوجى للشخصيات

بشر فارس

قاسمية

فى المشهد الأول تتكشف سمية حالها وهى تكبر مشكلتها الباطنة: تقبل على الشعور أم تحيد عن طريقه؟ من هنا تنازع بين الرعى واللاوعى، ينشأ عنه أسى تنبسه صلاية مستكرهة. فى انعطافها إلى الأبله مثل إشفاق أم. تصوغ

* العنوان الأصلى للمقال: «الهج التافى»

لعقلها منطقاً خاصاً يبلبل عقول غيرها. ليس فى هذا المشهد لاضطراب ملموس، بل غاية المشهد أن ينجأ وأن يشغل وقد اشبك فيه عالمان: عالم سمية، الأول محدود والدانى مختل، أما قصة «قصب السكر» بمصم الكلاب، فسطوان الأمر المفارق الذى يجاوز طور المعقول.

فى المشهد الثانى يقدم منصور. وما قدمه فى نظر سمية سوى إقبال شخص

بشر فارس



أحبك.. يدفع به إلى التأثر، ولكنه
تأثر فعال لا منفعل. فتراه يحاول في
صدق وانكسار أن يجتذب المرأة حتى
يكفر عما فرط منه. فيقيم حججاً
شلى هي من وحى الساعة: الحاجة
إلى الدفء: مطالب القلب، امتناع
الأمر المطلق. وإذا يرى حججه
تتداعى الواحدة بعد الواحدة ينقلب
إلى سيرة الدفء يبحث بها وقد
عزّزها بضرورة السراب.

٣ - ملهم: تتداعى حججه كلها. ولكنه لا
يرضى بالانهزام لأن تأثره صادق
ويمكن، وهكذا يبلغ مرتبة الإلهام
يرفقه شدو الناي. فتكاد ألفاظه
تجاري ألفاظ سميرة في تجرد الفكر،
فتصممه بقول رغبة في إقناعها:
«الشعور عكاز المرأة، ثم يقول، بعد
الشدو الرابع: خفة للعقل، الوهم،
الغور: ثلاثة أحوال من مازلة بشرية
واحدة. وفي النهاية يكاد يستوضح
مطى الألم، مما يجعل سميرة تسر
إليه في آخر المسرحية: «خلق ذيل
الستر (ستر المجدد) وأوشك أن يرتفع
لبصرك المشدوه».

هذا، وإن في رضا منصور باجتماع
سميرة أكتافاً يصاحب فرحة الفوز.

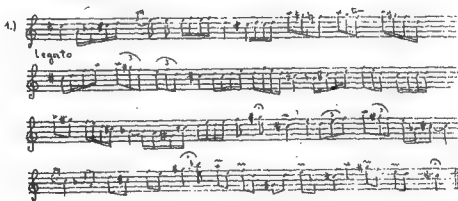
وهذا الرضا المدخول يميل به إلى
حنان يعوزه التعمق والترقب، من هذا
جوابه الأخرى: «شوق يندبث من مرقد
قرب يبنى ويملك...».

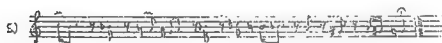
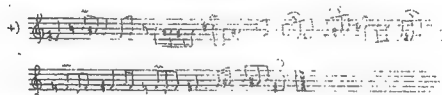
ولت ترى الأمر المطلق الذي أنكره
منصور في أثناء الجدل يطو فيصرعه في
المشهد الأخير. ولكنه أمسى وقد تلقن
دخائل الوجد، فينصرف وإحساسه إلى
الرقى.

الناى

ليس شدو الناي مقصوداً لذاته، فما
للنايف أن يميل إلى الافتتان والإفراط.
إنما الشدو أسلوب من التعبير، يتنوع وفقاً
للإشارات التمثيلية المدونة في أثناء
المسرحية. وقد صنع ملحن نمسوى -
ولفنجج باب - سبعة أحيان مطلقة، ترسم
مواقف الناي بدقة. ورونك الألحان وهي
آلة نفخ أفرنجية Hautbois. فيحسن
الاستكثار بها عدد استعمال الناي، بل
اعتمادها مع تلوين للأداء يقتضيه الذوق
العربي، وأحياناً مع تصرف في بساط
الطبقات أو مجرى الأصابع مما يقطن له
الموسيقار ■

ad libitum







الذى يقود الإرادة فى عروجها إلى مافوق المادة وأوشابها؛ هذه الأوشاب التى تجذب الناس إلى الأندى. ولاشك أن ثم صلة بين نوع الخلق المنشود فى تلك المسرحية والمسرحية الأخرى التى تقصر عليها هذا المقال.

وعلى الرغم من ولوع الأستاذ بشر فارس بطابع رمزى خاص شهر به فى شعره كما حرص عليه كل الحرص فى مسرحياته، قد قصد مع ذلك إلى نوع من الصراع الفكرى - فى إطار المطلق - بين صنف من الخلق الفردى والجماعى. وهو يفحسنى إلينا بذلك فى تقديمه لمسرحيته هذه بقوله:

«الدنيا حقل النضال، النضال اضطراب
جوه اضطراب... فالمسرح الذى يخفق
فيه نضال الأبطال فعلا وقولا إنما هو
مسرح كاذب فاتر إذا أعطى لايقنى».

ولتقديم عمله فى ضوء ما قصد إليه فى قوله، ننظر فى مسرحية «جبهة الفيب»، موقفها وشخصياتها، وهدفها الرمزى، لحلها محلها من الأدب الرمزى، فى صورته الدائجة، كاشفين مع ذلك عن مصدرها من الأدب العالمى.

والمسرحية^(١) تظل من أى تحديد للزمان والمكان سوى الجبل الشاهق - العالىة - والسفح الأخضر دونه. والحدث مهم كذلك حول أسطورة صعود ملحمى حتى نقرة فى أعلى الجبل، فيها البيت المنقول كذلك فى أعلى القمة، وقد نبت فيه عشب أبيض قصير الورق «من أكل منه وهو ندى ظفر بالحياة الأبدية». ويتطلع إلى هذه المغامرة بطل المسرحية: «فدا».

وتفتتح المسرحية بإهابة «فدا»، بتلميذه: «هادى»، أن يرحل معه، ولكن تلميذه، على إيمانه بالمغامرة، مترجس يخاف الموت المتروصد. وتقدم «زينة»، لتعاون فدا فى مشروعه فى هذه

مسرحية جبهة الفيب* لبشر فارس

محمد غنيمى هلال

ومسرحية: «جبهة الفيب» ثانى المسرحيتين اللتين ألفهما الأستاذ بشر فارس، الأولى عنوانها: «مفرق الطريق»، ظهرت طبعها الأولى عام ١٩٣٨م. والمسرحية للثانية ظهرت عام ١٩٦٠م - والأولى فى حوارها الرمزى توحى ببطل الوجود العاطفى حين يترفع عن مجرى التألوف فى العلاقات الحسية الرتيبة، فيسمو عن ملهء الحب العادى للمبتذل، ويحقق به المرء ذاته عن طريق الفكر

قال لم يقل للشئ العربى قولا يرضونا فى مسرحية «جبهة الفيب»، للأستاذ بشر فارس. وفى رأينا أنه لاينبغى أن يترك مثل هذا النتاج الأدبى دون تفهم، بسبب صعوبة أسلوبه وقوة عبارته، بل إن هذه الصعوبة والقوة ينبغى أن يكونا من الحوافز على تعمق ما وراءهما، وبخاصة لدى من يحفلون باللغة العربية ويرونها ضرورية لعالمية مسرحنا.



المغامرة التي يرغب بها براند فيلقى حتفه.

فعلی الرغم من أن براند - في مسرحية إيسن - قميص، يمارس سلطانه باسم شريعة لم يحددها إيسن، نطل أفكاره مدنية علمانية، اجتماعية في جوهرها. ومغزى موقفه فيها هو نفس المغزى في موقف مسرحية بشر فارس. فحين ينهر القوال بالعالية ويقف منها موقف الخاشع القلق، يعقب على قسوله «هادى، ذو الإرادة القاسرة قالوا؛ قرنهما رمح ركزه رب جبار. أى ثار يطلب ياترى؟» ولكن «فداء يجب المغامرة، ويثار من العالية شغفاً بالمشقة، وحباً في تزكية الإرادة: لا... لا... هاهى ذى... ها دعوى تصببت مهلة. فى همس) بالحنن هذا الرب، شق عليه عجز الخلق عن إدراكه. أما من أحد يرهل فيمسخ الريح بقاوة قلبه فيجدلى العار، والعار هنا عار خور العزيمة فى الشعب، وهذا الخور يتطلب رجلاً فرداً فى خلقه، ليكون القدوة. ويتضح هذا الهدف المحدث أكثر من ذلك على قول «فداء، لحبيبته «فداء، وسط خواطر الحب والجمال، محدثاً إياها عن المغامرة بالصعود إلى عشب الخلد: «أتخشين أن تشغلى الأبدية عنك؟ هونى عليك. لا أمواها، لأطأطأى لها. إنما أريد أن أرونها، وليست هذائيه إلى ترويض المصاعب وطلب العشاق سبيلاً لغاية خاصته، ولكن الذى يهمه منها هو الجانب الاجتماعى، جانب الغضب للحق

المنصيع من حوله بسبب وهن نفوس اللغيف المحبوظ به: «ياالله!! لاتقارنى من الأبد، سر ملطه أن يزحم شمس ملطتك حولى. إنما أنت التي ترشدني إلى بابى، حين تقذفين فى همى شعاعاً غصناً جذبتني من براءتك، فيوقد فى رجولى غضباً للحق».

وعلى نحو ما رأينا من معنى الموقف العام فى مسرحية بشر فارس نستطيع أن نفهم سر رموز للمسرحية كلها. وعبثاً نبحث عن جذور اجتماعية معينة تبرر الموقف، أو حدث إنسانى محدد فى المسرحية. فالمسرحية صراع أفكار فى مجال التجريد، وفى ميدان المطلق. ويفترض المؤلف سلفاً أن الموقف مجرد من نفس القارئ، ومن الخيال القادر على وصل هذه الخواطر بعضها ببعض. فالموقف ظليل فى المسرحية، حيث تجد الخطوات الشعرية للموجة مطلقاً يقصد فيه المؤلف إلى التعميم والتهويم. وليس لدينا فى المسرحية ماض من الواقع تفسر به موقف «فداء، وتلميذه، ولا حب «زينة» المستأثر القلق، ولا هيام «فداء، الرقيق الهفاف، ولا تحول «فداء» من عزوف عن زينة إلى وله لا يرويه شيء أمام «فداء. على الرغم من ذلك نجد وراء الخواطر خوباً بنسجها المؤلف فى عالم المنطق المجرد. فمناطق «فداء» ذو مستوى خاص به، يصطدم مع منطق الشخصيات الأخرى المشتركة معه فى بيئته. ومن خلال هذا الصدام تناقض قضائياً عامة تعيش فى رموس مجتمع «فداء» على اختلاف مسجوياته. ويظهر نوع من التطور فى الموقف من ثدايا النقاش والصراع الفكرى التجريدى، ويظل هذا التطور مطلقاً أكثر منه نفسياً، وحركه الفكر أكثر مما يثير الشعور.

ويحرض بشر فارس على ألا يحدد معالم الشخصيات الممثلة للصيف من شعب «فداء» فيذكرها بوظائفها، أو يوردها

تكرات مسرحية: فالشعب طائفان من رجال ونساء ومنهم الأعمى والكسيف، ثم التقونارى والقوال (المقنى). وفيما عدا «هادى، و «زينة» و «فداء، لا يذكر المؤلف أسماء أخرى بجانب «فداء، البطال، وحتى الإمام ممثل الشريعة التي «تقلص وجهها، يذكره المؤلف كذلك بوظيفته لا باسمه، ولالإمام خلقه الرجعى فى وجه الشعب وهو يمثل الطرف الآخر المناقض كل المناقضة لمصلك «فداء».

والدهماء تطلع إلى الأعلى - الرموز إليها بالعالية - فى خشوع وتوجس. ترد فى طموحها لو يفض مستودع سر العالية، ولكنها تعمل لها الإكبار والإجلال، ويظل هم الدهماء فى السفح، ولا ترى فى تطلعها إلا للجانب الحيوانى. فما لأعلى ليس سوى مستودع لذة. وتتعجب الدهماء حين تستمع إلى أن «فداء، سيفارم باكتناه السر. فيصيح أحدهم ذاهلاً: «رجل يصعدنا، وقد رأينا من قبل كيف ينظر «فداء، إلى داه هذا الشعب فى إسفافه وميوعة إرادته وانجذابه إلى الأدنى. ويتميز القوال دون الدهماء بأنه يشعر بقلق غامض، يمانى من أجله. وعدة أن انتهاب الملذات بمثابة مخدر للزلمز، يطفى به الأرقاء، أرقاء المادة. فإزاء انتفاضة الفلاحين نشداً لإشباع نهمهم المادى، يترجم إحساسهم القوال بأن هذه «انتفاضة المبكل، يوم ولا يوم سواء... نحن العبيد هلموا إلى الفرخ نحك بريدة ختم العتاب فى أعناقنا. هذا عيدكم يا عرائس، زفها استهزاء الموت. وهم عبيد الأرض، فيدونها بدمهم نظير مضغة يشرب بها نهمهم. ولهم من الحق الجهد والعمد كى يحيا الوادى، يلقهم بحصنه كأنه كفن، ووثاقهم المشدود إلى الأرض قد أحالهم إلى أسطورة أن يفكروا قيدهم. وهذا مغزى نشيد القوال الذى يصور - تصويراً ظليلاً - نوع الخلق الذى يضيق به «فداء، وسيثور عليه. ينشد القوال فى



وزينة رمز الإنسانية المترجعة تشعر في غموض بطريق الخير، ولكنها تتريد في سلوكه، يعوزها مهماز العزيمة والتضحية. وهي لذلك ليست أهلاً للحب. ويمكن أن يقال إن الحب الذي يعوزها هو حب القسوة عليها كى تنفيق. وهي قسوة تتفق ومبدأ «فداء» في اعتناق التضحية، وفي العزيمة المجردة. ونوع قسوة الحب هو الذى منحه الله أبنة على حب العقيدة المسيحية، فقد أحبه، ولم يرض بسوى دمه قرباناً. وهذا أيضاً يعود إلى «براند» إيسن. تقول «أنيس» - زوجة براند وحبيبته في الفصل الثالث من تلك المسرحية: «ولكن سيهجر كى كثير من النفوس إذ تتطلب: ألا شئ». ويجيب براند: ما يدعوه العالم حباً لا أريده، ولا أعرفه. إنما أعرف حق المعرفة حباً كحب ليس مائتاً ولا رديعاً، بل فاسياً حتى أهوال الاختصار، يريد الله أن تكون لمسات الدلال لطعات. ففي الزيتون، بماذا أحباب الله أبنة المرناع يتوسل إليه قائلاً: أرح عنى هذه الكأس من العذاب؟ هل أزاح عنه الكأس المرة؟ كلا: فكان عليه أن يشربها حتى النهاية، وما أشبه إجابة «زينة» حين طلبت من «فداء» أن يرفعهما إلى مساواته - فيما سبق أن ذكرنا لها من نص - بإجابة أنيس لبراند حين قالت في مسرحية إيسن: «نعم، لكن الأمر كما تقول، أه أرفعنى إلى حيث تصعد، قدنى إلى مساواتك في الأعلى، لدى قوة الصميا، ولكن دون رسالة، أحياناً يعزنى خوف، وأشهر بالدوار، وينقل بي قدمى نحو الأرض». ويحب «براند» على قولها بأن مبدأً في التضحية عام للإنسانية جميعاً: «أى أنيس! هذا أمر لجميع الناس، لآل وسط، أبداً». فالحلول الوسطى جبن. ودين الإنسان عمله إذا وقف به دون النهاية، وفي نطاق الشكل. حكمة «يجب أن نلاحظ لا فى مجرد القول، ولكن فى سلوك الحياة».

بعد أن شعرت بالقلق من أجله. ولذلك نرى «فداء» أصم على ندائهما له. تقول «زينة» فى المرحلة الأولى (الفصل الأول): «حبه لى... هل استطعت أن أثيره تهل للسمعة مجدداً من الرخام؟ فتوح موت عدد عتبة...». وفى «زينة» شطر شعبي يرضوخها إلى اللهو، ورقصها ترضية لمسة للنفث، وشطر آخر تتجاوز أحاسيس النهماء، وتتفرد دونهم بالخلق «فداء» فى مفارقه. وكيف «فداء» ومبدؤه ما ذكرنا - أن يرضى منها بالموقف الوسط؟ عليها أن تكون هى فى أولاً، أى تحقق ذاتها بجهدها، فلا تززع مشاعرهما أو تبطل جهودها حتى تنسق مشاعرهما مع من تحلق به. ولكى تكون هى نفسها عليها أن تحقق مبدأ التضحية، وتسلق طريق المحلة ماضية فى الشوط حتى النهاية. فما هوذا «فداء» بنصيحها: «هى نفسك لنفسك، هى لك أولاً... لاتعظم الهمة ولا تلجج إلا إذا وافقت معدن الذى يتقبلها... هذا ضارب للقيار يقد علينا وقد تلمس الأحاديث من أفق إلى أفق فيقول: هناك إله لم يرض إلا بلم أبنة دماً وقرباناً... الشمس تحترق لتلذر الشعاع». وعلى حسب هذا المبدأ نفهم هذا الحوار بينه وبينها.

«فداء: عجيب أن تهبى نفسك لى أهون من أن تهيبى لنفسك.
زينة: لأجدنى إلا ساعة أهم فى طلبك، أنتعب طفرتك وهذاتك.
فداء: ظلّ يلزمنى، مانفقه؟.. هل أجز مية؟»

زينة: إن الهوس الدائر فى سمانك كفىل بأن يبعثها.

فداء: الحياة لاتأتى من الخارج.

ومبدأ «هى نفسك لنفسك أولاً» يذكرنا بمبدأ «براند» السابق فى مسرحية إيسن، وهو مبدأ يتكرر فى تلك المسرحية، وتعبير إيسن عنه أوضح: «كن أنت نفسك أولاً».

الصفة تتجلى فضائله ونقائصه. وهذا سبب إعجابنا به، وسبب إخفاقه فى النهاية كذلك.

وليست العزيمة أو الولوع بالمغامرة مجرد فكرة عابرة لدى «فداء»، بل هو مبدؤه الذى كرس له وجوده. وهو لا يبدء مبدأ ذاتياً فصعب، ولكن بمثابة شعار اجتماعى يتحقق به وجوده ووجود مجتمعه معاً. فهو المبدأ بمجرد التسليم به أو الإيمان به، بل لا بد من التسليم به عملاً، ولهذا ينتهى إلى وجوب التضحية بالنفس، ولكن النفس ليست أهلاً للتضحية، ولا تجدى تضحياتها، إلا حين يكون وجودها ثرى الجوانب، بحيث تكون فى تضحيها قدوة. فيدون حمية لارسالة للإنسان. وإن يعرف امرؤ ماذا يكون القضاء، ولكن قد كتب بحروف من نار أن على المرء أن يحفظ فى المحنة بصلاية عزمه حتى النهاية. ولا نجاة بالمساومة، وإن يخشى شيئاً عرق للقلق.. إذا لم تستطع فلا عليك، ولكن لا عذر إذا لم ترد. ويأس هذه الأفكار يقد «فداء» موقف العناء من روح الفلاحين الممثلين لدهماء الشعب فى المسرحية، كما سبق أن ذكرنا. وأشد ما يضيق به «فداء» هو الحلول الوسط. فلا شئ دون التضحية بالدم. ومن وقف بإراده دون ذلك لم يحقق ذاته، فليس أهلاً للحب، لأنه ليس حباً، ذلك أن حياته موت. وهذا سبب سخط «فداء» على «زينة»، فهى فوق الدهماء لتحلقها بمن سمت إرادته، ولكن مسئوليتها أكبر، لأنها لم ترد هذا السمو



الأنفُس الزكية، فيعتز عليها كل حين، وفيها يتأصل كل عارض، حتى تفاهة الرمال تتبخّر في تماوج سراب يرققه خاطر متشوق... إنما العدم لنا، نحن البشر، إذا لم نمد حبالنا إلى قبة الخيال.

والذي يحرص عليه «براند» في مسرحية إيسن - من أن حياته كانت بمثابة برق خلّبت أبصار القوم وقتاً قصيراً في بحرى حياتهم الحزينة الوديعه الزتبية كي تتفتح بصائرهم - يحرص مؤلفنا أن يعبّر عنه على لسان «زينة»، وهادى، في المرحلة الخامسة (الفصل الخامس) من المسرحية العربية، «فدها، لدي هادى، «زينة»، مثلاً إعجاب بهزيمة. وهادى هادى، يقول مشيراً إلى فلاح إذا انتهت هذا الفلاح فألى غير نهضة؛ تربة أكل مصت عظامه حتى صبايات الصنى، وهو راض يستمتع ببضغ سدايل... أما هو (يقصد فدا) - هو الذى كتم فى رثيته مثل جلجلة الرعد - فمغضه أن يطرح العدم الذى يحصره، لى يلهض بعبد الكون». ثم يقول «هادى، مبيّناً سبب الإخفاق، ثم طريق البحث عن طريق الإرادة التى وجههم إليها «فدها: «قتل الرب المحدث نفسه، وإن يبعثه إلا بشر. سيأتى يوم أتصلق فيه منارة الأبد، فاسأل بهادى ما يقتضيه للفوزين عروق تنفجر».

وقد أصبح القوم بعد «فدها» يحدقون فى العليا، بعد أن كانوا يهربونها. وهنا يتزعزع الإمام، يمارض الحميا الوليدة فى أذهانهم، لأنه - وهو الرجى فى وجهته - يخاف أن تهيب الحماسة بالمشاعر، ولكن «زينة، تبارك هذه الانتفاضة، وهى كما قلنا رمز الإنسانية التى زازلتها رجفة المغامرة فى طريق البحث، فما هى ذى تشيع «فدها فى صعوده الثانى بهذه العبارات: «مضى نزل به فرقة أخرى؟.. حماك الله نقضة بعد هذه وسرعان ما يهيب به جناح كشاف

فى أن الأعلى والكسبح قد أكلا منه. وقد أوردنا من قبل ما يدل على أن «فدها إنما قصدت إلى فضح السر حتى تزول هذه الرهبة للعالية، وهى الرهبة التى تنزل أعناق القوم. هذا يتكررت إخفاقه أيضاً بإخفاق «براند». فإخفاق كلا البطلين ثمرة القسوة التى اشتطت فيها باسم الحب. فخلا قلبهما من العطف. ويعرض «براند» فى الأعلى للسلا من روح الشيطان ومن قسوة الطبيعة. وأمام الموت وتحت ركام اللجج فى الأعلى يصوح: «خبرنى باللهى، أمام الموت... ألا امت بصلة إلى النجاة أن يريد للمرد مايريد بكل قواه...». وهنا يرتفع صوت من ثانيا جلية ركام اللجج المتهاوى يسبحه: «الله إله السحبة والإحسان». وفى الأصل يعبر إيسن عن السحبة والإحسان بكلمة لاتينية، تتضمن فكرة الحب السماوى والعطف. وكذلك «فدها» فى مسرحيتنا، مثل الطريق لأنه أفرط فى غلوه، فخلت صلعة حياته من العطف، وعلا بمبدئه فوق القدرة المألوفة. وقد بلغ به المرض على تجديد قوى الناس إلى درجة الحقد عليهم. فغشت سحابات الحقد عليه الطريق. فحين يعود «فدها، فيجد «هنا» قد ماتت لأنه لم يلق بالحجر ليخبرها أنه حى، يكون هذا آخر مظهر لقسوته على الناس، فقد نسهم على حين هو يقطر فى مبدئه من أجهلهم، ولكنه يستمر فى الرهان بصعوده ثانية، فيستوقفه «القول»، متسائلاً: «خبرنا أنت الذى يجسر على مطاولة الأبدى: هل وجهه الأرض باطل؟». وهنا يستخلص «فدها» معنى الدرس الذى ألقاه على الشعب بمغامرته حين يقول: «باطل؟» (يقى بإيماة ثم يماسك) قد يكون.. من جراء الدم السخ ببذلوته فى غلة.. آم المثر تقفو غرور الطين. (مهلة) الأرض كمثل السماء، جدير بها أن تكسب، لكنها لا تمنح كنزها حرة إلا إذا استعرت بجمرات

من الإرادة الإنسانية، فإن حساب الإحسان، أيها القسيس، صفحته بوضاه لارسم فيها فى كتابك».

ولاسبول لنا إلى استقصاء الشواهد التى يلتقى فيها «براند» مع «فدها» فى هذه القسوة فى الموقف، وهى القسوة التى يعدها كل من «فدها» و«براند» نوعاً من الحب فى سبيل المبدأ، وكلاهما يجب فى سبيل التضحية وكلمة «الدوار» تكرر كذلك لدى الشخصين.

وقد أشرنا من قبل إلى عداية «فدها» بالنصر، على أن التضحية عنده مقصودة لذاتها لزلزلة الرخاوة فى طباع القوم. ومن ثم كان إخفاق «فدها» نوعاً من للنصر. وكان الريح فى خذلانه لنفسه. يقول هادى متوجهاً إلى القوم، ومتحدثاً عن مغامرة أستاذة التى فى خذلانه لنفسه. يقول هادى متوجهاً إلى القوم، ومتحدثاً عن مغامرة أستاذة التى رجع منها بالإخفاق بعد أن وجد «هنا» قد ماتت فى المرحلة الخامسة (الفصل الخامس): «والرئائى السرا الحمد لله، أزجعت ظلالاً أغفيم عند هدأتها البلهاء... أقول هذا؟، ثم يقول بعد ذلك: «مضى إلى العليا يستطلع، هل وجد؟ ليس المهم أن يجد».

وتستالم الآن لماذا أخفق «فدها؟ بل لماذا غامر؟ وهل بين نوعى الإخفاق فى المسرحيين صلة؟ إنه يعرف أن النبات الذى يخذ فى نقرة الجبل أسطورة وفى المسرحية نفسها ما يدل على الرية

بشر فارس



ذهن بشر فارس إلى تصوير الموقف تصويراً رمزياً ظليلاً كثيف الظلال، يستمر وراءه معنى اجتماعية وسياسية هامة. وربما كان يقوم بشر فارس خارج مصر، في بلدة الأصلية: لبنان، حيث الجبل الذي ألفه في حياته، وصوره بالعالية في المسرحية. ولابد - للقطع برأى في ذلك - من الرجوع إلى تفاصيل حياة بشر فارس في تلك المدة، إذا قدرنا أن عمله لم يكن سوى محاكاة لآراء لم يستغرق فيها بواقعه، ولم يفعل سوى ترديد ما على أصدقائه ومعارفه أن يفطروا.

ومسرحية «إيسن» فيها هضم الواقع، وتمثيل له في أفق نفسي بعيدة كثيرة الانتساع، ولكن معانيها متصلة تقوم بنفسها، ولها من جذورها النفسية ما يجعلها وحدة مستقلة لا يتوقف فهم رموزها على تعرف ملازمات صاحبها، وإن كان الوقوف على هذه الملامسات في فترة كتابتها ما يكشف عن مغزاهما العميق من واقع هو - ولم يفعل ذلك بشر فارس - فمسرحيته غير مستقلة بذاتها، ويفترض فيها أن مجردات الموقف من الواقع معروفة لدى المشاهد سلفاً، مستقرة في ذهن القارئ من قبل بدله القراءة، فلا ينير له المؤلف السبيل من تصوير حادث اجتماعي أو تحديد معالم أو أبعاد. وعلى الرغم من ذلك لا ينبغي أن يمر هذا النتاج الفردي في أدبنا المسرحي دون تقويم له، حتى يكون خطوة لنمو أدبي آخر يجاوزه باستيفاء أسس التشخيص التي التي به يرضى أدبنا في مجال جديد قد تحقق نظيره في الآداب العالمية. ■

بضعف من كان يدعوهم شعوب الشمال، وفيها وطنه، كما أن فيها الدنمارك. وبفيض كذلك بغمناً وحقدًا لا يعرفان اعتدالا على البروسيين والألمان. وقد ذكرنا أنه كان يقيم في روما آنذاك، ومن رسائله فيها رسالة يسخط فيها على جماعة من الدانماركيين ذهبوا إلى كنيسة كان قد مدح فيها أحد القسوس الشعب الألماني، ودعا لاتتصار بروسيا. فقرأى إيسن أن مجرد الذهاب إلى ذلك المكان الذي مدح فيه الألمان كخبران بالوطن. يقول في تلك الرسالة لصديق له إذ يذكر سخطه على أولئك الدانماركيين: «يمكن أن تصور إلى أي مدى عراني الغضب عندما كنت أجد نفسي وسط قطع هزيل، وحين كنت أشعر بالانتماء الخفية من خلفي...». وإن إبراهيم - وتبعاً له بشر فارس - يرى كلاماً أن القوم بحاجة إلى «رجل» تدير همته المتطرفة حمية شعب متخاذل، وكل منهما يتطلع إلى توجد الشعب مع بطله المستهين بالمغامرة والفناء. وقد حرص كل منهما حرصاً تاماً على ألا يحدد شريعة هذا البطل، واكتفى أن يتخذ منها إطاراً تصويرياً لموقف هو في جوهره مدني اجتماعي سياسي.

ولكن أي أحداث أثارت بشر فارس حين كان يكتب مسرحيته ويصور موقف بطله؟ إن تاريخ نشر القصة الأولى: «رجل» - وهي التي حورها إلى مسرحية - يرجع إلى عام ١٩٤٢م، ولابد أن نرجع إلى أحداث ما قبل تلك السنة لخرى ما أثار

وقد ألف إيسن قصة سماها «براند الملحمي»، وعلى الرغم من أنه لم ينعها، فقد حولها هي نفسها إلى المسرحية التي سماها: «رجل»؛ طبعها في القاهرة عام ١٩٤٢م ثم حولها هي نفسها إلى مسرحية باسم «جبهة الغيب» التي نتحدث عنها.

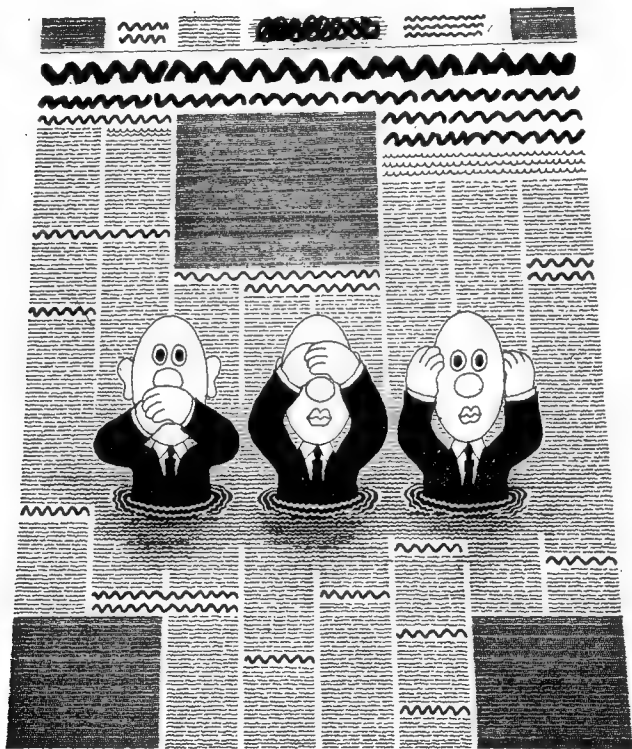
وقد قلنا إن إيسن صور شخصياتها تفيض حيوية وصدقاً في بعدها النفسي، وكذلك جعلها متصلة بالواقع الاجتماعي والسياسي في الفترة التي ألفها فيها: فقد كانت فترة صراع بين الألمانين وشعوب الشمال، وكانت الحرب قائمة آنذاك بين بروسيا والدانمارك، وهي الحرب التي انتهت باقتطاع جزء من الدانمارك، وفيه مقاطعة سليفيج، وقد تعرف إيسن ببعض من اشتركوا في الحرب من الجنود ومعلم «برون» الذي عرفه في روما، حيث كان يقيم في تلك الفترة التي كتب فيها قصته: «براند الملحمي»، ثم مسرحية «براند». وأسم هذا البطل المسرحي قريب من الجندي المذكور كما هو واضح، وكل ما كتبه إيسن في تلك الفترة يفيض صديقاً

- (١) تعرض أولاً المسرحية من وجهة فهمها لها مع تحليلها للشخصيات وموقفها في المسرحية، وتلمح أن من كتبها من نقادنا فيها قد فاتهم جميعاً معنى الموقف الحقيقي.
- (٢) المراجعة الأولى - الفصل الأول، ص ٣٦.
- (٣) وهذه المسرحية في جوهر الموقف في نظر من تكلموا في المسرحية من قبل.
- (٤) Brand مسرحية ألفها إيسن عام ١٩٦٦م، في خمسة فصول، وفيها «براند» تدس شريعة

شريعته: للتضحية. ويلقد له الشعب أولاً، ثم ينصرف عنه. ويذهب هو إلى كنيسة «الأعلى»، ويبدو له في الأعلى شبح يستهويه بالرجوع عن شعاره، فيأبى، ويموت تحت ركاب الدجاج في «الأعلى»، وهو يسمع أصواتاً توبخ به أن «الله إيمان ومحب».

• عن كتاب «في النقد المسرحي» دار العودة بيروت ١٩٧٥م.

بحرص المؤلف على عدم تحديد ما. يدخل في صراع مع البطل الذي يعيش فيه من الناس. وهو متطرف، له أسلحة غير محددة، يجيب فيها نداء بطله، لا يقبل للعول الوسط، غضب على أمه لأنها آثمة ببطلها، ولم يرض منها إلا أن تصدق بكل ملاحاكي تلقى الله طاهرة من العادة، ثم يضحي بابنه في سبيل واجبه، ثم يرضى بامرأته كذلك. ويبني كنيسة يطن فيها



يجد نفسه في مفرق طريق آخر. ولكن
أليس لهذا السير من حد أخير يقف
الطريق عنده ؟

هناك جبل شامخ، تختفى قمته بين
السحاب وعدد أسفله ينتهى الطريق
وتضيق معالمه فيتركف القوم عن السير
ويستقر كل واحد في زاويته، راضيا
بالتفات الذى جمعه بعد طول عناء، غير
مصغ إلى أصدااء الحيرة التى لا تفتأ تتردد
بين جوانبه. أما اليقين فمن المعبث
محاولة إدراكه، إنه سراب وخداع، فقد
انطفأ اللجم وخبا الشعاع. ولكن هب من
بين القوم فتى ليصعد فى الجبل ملبيا نداء
«جبهة الغيب».

هذا الفتى هو بشر فارس الذى ظل
طوال حياته يصعد فى جبال المعرفة
والجمال، حتى غاب عنا وراء جبهة
الغيب. هل ظفر أخيرا باليقين الذى كان
ينشده ؟ وهل هناك يقين أبخر غير يقين
الموت ؟

«مفرك الطريق» و«جبهة الغيب»

مسرحتان لبشر فارس، كتب الأولى
فى عام ١٩٣٨ والثانية فى عام ١٩٦٠،
والمعراج الذى يصل بينهما يرسم لنا خط
السير الذى نهجه الكاتب فى أسلوب
التأنيف للمسرحى، ويصير أعق جانب
من جوانب شخصيته.

حيرة الباحث الذى لا يرضى
بالمألوف المتواتر، بما يطغى على السطح
بعيدا عن الثوب والجوهر، فيواصل
المطاردة والتفتيب كى يعمق الفكرة حتى
جنورها ويبحث لها القالب اللغوى الذى
يضمن حيويتها ويزيد ثراء، فينتهى به
هذا العناء المصنئ إلى ما يشبه اليقين.
فقد تم الوفاق والتفاهم بين اللغوى
والمبنى، بين المعنى والأداة. فالمعجزة
فيها من الكفاية ما يضمن تماسكها
واتساقها، وفيها من الشفافية ما يوسع
دائرة إشعاعها بالإيحاء والتطريح.

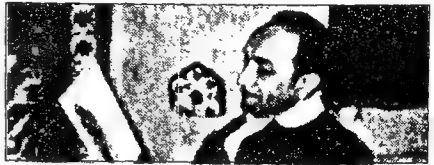


مسرح بشر فارس بين الحيرة واليقين

يوسف مراد

فأليس حال الإنسان فى سعيه وراء
للجم الذى تلالاً فى مطلع
الشباب سوى ترجح بين الحيرة واليقين
يعيش الإنسان فى عالم غير متناه من
الممكنات، وعالم باستمرار أن يختار وأن
يضع حدا لمرده لكى يواصل السعى إلى
الأمم. إنه يجد فى العمل الذى يجزئه
ملجأ يستقر فيه لحظة قبل أن تعود الحيرة
تطارد فتدفعه إلى اختيار جديد: إنه لا
يلبث أن يخرج من (مفرك طريق) حتى

نشرت هذه المقالة، التى
اختصرنا جزءا من مقدمتها، فى
مجلة (المجلة) العدد ٧٦ الصادر
فى إبريل ١٩٦٣، وكانت تحت
عنوان (بشر فارس)، وقد كتبها
الدكتور يوسف مراد لتأبين بشر
فارس، حيث نشرت بعد وفاته
بحوالى شهر، وقد أمدتنا بها
السيدة/ ماجدة جلال كامل.



خلال مجموعة (سوء تفاهم)، وكأنها مفرق طرق لاتجاهات أدبية عديدة، تلتقى بدخلها ثم تتفرق عنها. وإذا كانت تلك الذاكرة تعبر عن فعلى الالتقاء / التفرق بين الرومانسية والكلاسيكية والرمزية والواقعية، فإن الذاكرة الثقافية - بدورها - تبدو كمفترق طرق آخر، بين الفكر والفنان - وعالم الاجتماع - إضافة إلى أن الفنان - عنده - هو مزيج من الشاعر والناقد والكاتب المسرحي، وهذا ما يؤدي ببشر فارس إلى نموذج (المفكر الشامل).

إن نموذج المفكر الشامل، هو صدى لنموذج المفكر الأوروبي، الذي واكب صعود نجم البرجوازية إبان عصر التنوير. ولقد كان جيل بشر فارس بأكمله، إضافة إلى جيلين سابقين وجيل لاحق، خور ممثل تلك الفكرة. وعبر هذا النموذج، يصعب أن نفرق بين نوعين من التفكير: التفكير بواسطة التصورات، حيث يتجه المفكر، والتفكير بواسطة الصور، حيث ينغمس الفنان. ولعل القصتين الأخيرتين في مجموعة (سوء تفاهم): «قصة أمة»، و«المرأة والفنان»، تكمّلان معاً تصورنا السابق عند بشر فارس حيث إنهما ليستا قصتين بقدر ما هما موضوعان، يتأسس هذا للتصور طبقاً لأن مساحة التجريد في القصصين، وهو وسيلة المفكر في رؤيته للعالم، أكبر كثيراً من مساحة التجسيد، الذي يتعايش من خلاله الفنان مع العالم.

تلك كانت سمة أساسية تشكل عقلية المفكرين التنويريين في أوروبا، منذ منتصف القرن الثامن عشر، والتحول الهائل الذي طرأ على البرجوازية الأوروبية، فانتقل بها من الهامش إلى المثل، على المستوى الطبقي. وهي نفسها سمة مصاحبة لصعود نجم البرجوازية المصرية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. فكان الثقافة

فكرة التمرد بين بشر فارس وألبير كامى

٢٠٤

استمارتهم من الغرب ضمن سياقهما الثقافي. أما الشعر، فعلى الرغم من أنه فن عرعى قديم، إلا أن صيغته بالاتجاه الرمزي، قد أحالته باتجاه ذاكرة تلقى جديدة، تكاد أن تكون منبثقة الصلة بالقصيدة الرومانسية المتزامنة معها، في حالة صدام مع النموذج القبلي، لاحالة وفاق.

وفيما يتعلق بالقصة، فإن ذاكرة بشر فارس الإبداعية في الثلاثينيات، تبدو من

حين لتدبج الروايفد الأساسية للثقافة بشر فارس، نجد أنها مزيج من الثقافة التراثية والثقافة الفرانكفونية، تهيمن الثقافة الأولى على الخطاب الاتصالي، أما الثانية فتسيطر على الخطاب الإبداعي، الذي يتجلى في نتاجه من شعر وقصة ومسرحية. وقد يبدو الأمر طبيعياً فيما يتعلق بالقصة والمسرحية، على مستوى النوع، لأنهما فنان وفنانان، ومن الطبيعي أن تتم

الشاملة هي شرط أساسي لأية تحولات اجتماعية، باتجاه تشكل نموذج بروجوازي مساعد.

ولعل فكرة المفكر الشامل كان لها تجليات أخرى في فرنسا، في النصف الأول من القرن العشرين، عبر الفلاسفة والمفكرين الوجوديين. فقد حاول هؤلاء المفكرون إزلال الفلاسفة من برجها العاجي، وإدخالها في الحياة. فإذا كان المبدأ الوجودي الرئيسي يتأسس على أن «الإنسان في العالم»، يكون من الطبيعي - بالمثل - أن يكون لهذا الشاعر صدق ضمني، ينتقل بالفكر أيضا إلى العالم باعتبار أنه أسمى تجليات الإنسان وبذلك اقترب الفكر خطوة باتجاه الفن. ثم كان طرح مبدأ (الترام للفن)، عاملا آخر أدى إلى تبني للفن كفضايا الإنسان الكبرى، وبالتالي انتقل الفن خطوة أخرى باتجاه الفكر. وهكذا، انداحت الخطوط الواضحة، التي كانت تفصل بين التفكير بالتصورات والتفكير بواسطة الصور، كما نشأ تراسل بين التجريد والتجسيد، مما أدى إلى نوع من الانحماص المعنوي بين التفكير المجرد والفن... أين بين المفكر من ناحية والفنان من ناحية أخرى، ولعل أعمال كل من سارتر وكامو وجابرييل مارسيل، هي دلالة على ذلك.

لم يكن بشر فارس بعيدا عن هذا كله، وإنما كان في عمق تلك الحركة. فقد سافر إلى فرنسا في أوائل العشرينيات، وعاد إلى مصر بعد أن حصل على الدكتوراه عام ١٩٣٧. لقد تعايش مع تلك الأفكار، بل وكان شاهدا على التحولات الرئيسية التي انشابت أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. وبعد عودته، ظل حريصا على توثيق صلته بالثقافة الفرنكوفونية، بشكل دائم. وكان من الطبيعي، أن يؤدي كل ذلك إلى نوع من التنازع بين ثقافتى الموروث والوافد.

وعندما صدرت الطبعة الثانية من مسرحية (مفرق الطريق) باللغة العربية عام ١٩٥٠، وكانت قد صدرت لأول مرة بالفرنسية عام ١٩٣٨، فإن المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون كتب (فاتحة) لها، بالعنوان نفسه، يرى فيها أن المسرحية قد أثارت حين صدورها في القاهرة، انفعالات مماثلة أثارتها المسرحيات الوجدانية، التي ألفها جابرييل مارسيل. كما يتصور ماسينيون أن مفهوم المعنى عند بشر فارس، طبقا للاتجاه الرمزي: «فيه تلميح دويب بلا تفسير، إلى الأمر المخالف أو السحال. وهو مجال أفاض فيه من بعد ذلك للكتاب الفرنسي ألبير كامو. وكذلك التلميح إلى حرج النفس، على أسلوب التشكيكي فرانز كافكا. على أن عجب ماسينيون ينصب أساسا على قدرة بشر فارس على كتابة نص واحد بلغتين مختلفتين: للفرنسية والعربية، دين أن يشعر القارئ بأن «نصا يترجم آخر».

وتقودنا آراء ماسينيون - بداية - باتجاه ملحوظة أساسية، وهي أن امتلاك لغة ما، لا يأتي إلا عبر تراث تراث تلك اللغة من ناحية، ثم تملك واقعها من ناحية أخرى. وبالتالي، فإن امتلاك بشر فارس لنصاوية كل من للفرنسية والعربية، إنما يؤكد على أنه قد تمثل كلا من الثقافتين، بحيث أصبحت كل منهما عاملا فاعلا داخل ذاكرته. واللغة ليست أداة تواصل فقط، لكنها واقع اجتماعي وثقافي بالأساس. لذلك، فإن معايشة بشر فارس لواقع اللغة الفرنسية، النصف الأول من هذا القرن، جعله منتجاً فاعلاً بداخلها، وأليس مجرد مستخدم لها.

إن تلك الفاعلية لا تؤكدنا نقاط الالتقاء والتشابه، بين بشر فارس ومعاصريه الفرنسيين، ولكنها تبدو بصورة أوضح في سبقه لهم على مستوى الموضوع أو على مستوى التعبير، مما

يعنى أنه تمثل واقع تلك الثقافة، لا مجرد نقاسيلها. ولنا أن نتساءل: هل هي مجرد مصادفة، أن يصدر بشر فارس مجموعة قصصية بعنوان (سوء تفاهم) عام ١٩٤٢، ثم يصدر بعده الألبير كامو مسرحية بنفس الاسم عام ١٩٤٤. إن المصادفة تتخفى هنا، لأن الإشكالية لا تتجسد عبر تشابه التعبير، لكنها تتمثل في الواقع الثقافي الذي أنتجه. ومصطلح سوء التفاهم، أو اللبس، إنما يطرح إشكالية عصر بأكمله، كان يبدو وكأنه يؤمن بالعقل وحده إيمانا مطلقا، لكنه بعد حربين كونيتين، يفصل بينهما حقيقتين زمنيتين، أدرك أنه يواجه عالما لا معقوليا. واللامعقولية هنا لم تعد تعني الإنسان أو العالم، بقدر ما تعني الصلة بينهما. إنها صلة مواجهة.. صدام الوعي الإنساني بالحال الذي يحضق الخناق عليه.. وهذا، يبرز اللامعقول، كتنجيعة لصدام الوعي نفسه، حيث أن هذا الصدام يحيل الوعي باتجاه استكشاف فناء رغبته.. أكثر من ذلك، يبدو اللامعقول هو هذا الصدام والافتصام المفاجئ.. انقسام لا يوجد في أحد العناصر المقارن بينهما، بل ينشأ عن مراجعة هذه العناصر بعضها البعض داخل الوعي. وهذا، يجب أن نفرق بين أن يكون العالم لامعقولا، وأن يكون مناقيا للعقل. فاللامعقول، كما يتصوره الوجوديون، هو مواجهة الوعي بما يتناقى والعقل.

لكننا يجب أن نطرح سؤالا أساسيا بهذا الصدد: ما هي علاقة بشر فارس، بوعيه الشرقي، بكل ما يجري على الجانب الآخر من المتوسط؟. ربما كانت الإجابة تكمن في أننا لا يجب أن نغفل حقيقة أساسية، وهي أن شرائح الانتعاش في مختلف البقاع، تجمع بينها طبيعة العصر، مثلما تفرق بينها طبيعة التراث. لذلك، قد تبدو الهموم الفكرية واحدة، في كل بلدان العالم، لكن

الآخرين بالقتل، مثل كاليجولا، لكن بالرفض. وحين يتهمه الإمام، الزعيم الروحي للآخرين، بأنه يتطاول على الآلهة، فإن «فدا» يرد: «بل أنطلق إلى ما يجاوز إرادتكم... إنهم لا يستطيعون الدعم إلا على من يطاولهم. وهو بذلك ينتقل خطوة أبعد من «كاليجولا» في تمرده، لأنه يواجه الآلهة نفسها، لا للبشر، ويحكم عليهم بالموت - كآلهة - حيث يتماوى بهم في الخلود.

ومن المنطقي أن نعد كلا من القمر والخلود، عند «كاليجولا»، و«فدا»، مجرد رمزين. «كاليجولا» يطلب القمر لأن كل من حوله خداع وكذب، وهو يريد شيئا حقيقيا يمسك به. ولأن الشيء (الحقيقي) من وجهة نظره، في عداد المستحيل، فإنه يطلب القمر تعبيراً عن تلك الاستحالة. أما «فدا» فإنه يطلب شيئا حقيقيا يساويه بالآلهة، تكمل في الأبدية. وهو لا يطلب الأبدية لذاتها، فهذا هو صرح لحبيبتته: «أنفخش أن تشغلي الأبدية عنك؟. هوني عليك... لا أمواها، إنما أريد أن أروضها». وهو بذلك، يصبح كما يصفه تلميذه «هادي»: «يطرح العلم، لينهض بعباء التكون».

إن ما يحكم العالم الداخلي للبطلين، أن كلا منهما يقاوم قدره. والقدر يعنى أنه لا مفر من التكرارة، ولا أمل في إشارة من الله. لذلك، فإننا مهما فتحنا، ف نحن في موقف المحكوم عليه، وأن القاعدة الأساسية التي يحكمنا بها القدر، أن الشقاء أمر مسلم به. والإمام حين يواجه «فدا»، فإنه يحاول أن يصدمه بتلك الحقيقة: «الموت يضمنى على الإنسان ضحكاته. هكذا لتكون، ترتبه أسوار القدر». وفي المقابل، فإن «فدا» يدرك أن «الحياة لا تأتى من الخارج»، لأن الحياة كامنة في أصماقنا. وبها هو يستمع لحبيبتته (زينة)، وهي تولجه بقولها: «ألا تميز بين حدة البصر من صفوه؟».

إن حدة البصر، التي ترمز إلى العقل التريزى، تختلف كثيراً عن صفو البصر، الذى يشير إلى الحدس. وهذا هو- تحديدًا - ما يميز بينه وبين «كاليجولا». إن كاليجولا يسعى إلى العالم عبر حدة البصر، بينما «فدا» يحاول أن يرى العالم من خلال صفوه. لذلك، فإن «كاليجولا» حين يشعر بمبغضة العالم ولا معقوليته، فإن «فدا» يدرك كم هو ضيق هذا العالم، في مواجهة اتساع حدسه: «حياتى بين يدي، لكهما لا تسعانهما».

على أن هناك تشابهها، يصل إلى درجة للتطابق بين كل من «كاليجولا»، و«فدا». وهذا التشابه قد يبدو شكلياً، لكنه لا يمكن أن يكون مجانباً. لقد كان «كاليجولا» عشيقتان: (كازينوبا) و(ديوزيلا) الشابة. وبالمثل كان «فدا»، حبيبتيه، تطبق عليهما نفس الشروط الزمنية من حيث العمر: (زينة) و (هنا) الشابة. وبينما تموت العشيقاة الشابة فى مسرحية (كاليجولا)، ويكون ذلك نذيراً فى «كاليجولا»، فى أن يبدأ بتعطيم ذاته، فإنه فى مسرحية (جبهة الغيب) يكرر نفس الوضع: تموت الحبيبة الشابة (هنا)، ويكون ذلك نذيراً فى أن يبدأ «فدا»، بتعطيم نفسه، والتخلى عن فكرة الخلود.

إن هذا التشابه المركزى، يشير من طرف خفى إلى أن التكوين الثقافى لكل من ألبير كامى ويشرف فارس، ينبع من نفس المصدر، خصوصاً حين ندرك أن أحدهما لم يطلع على نتاج الآخر. فقد نشرت (جبهة الغيب) للمرة الأولى عام ١٩٣٨، بينما انتهى ألبير كامى من «كاليجولا» فى نفس العام، على الرغم من أنها نشرت عام ١٩٤٥. ولعل هذا التشابه لا يتأسس على المصادفة، بقدر ما يشي بمركزية الثقافة الواحدة، لدى كل منهما. ■

عند تجبير كيبلنج: «الشرق شرق، والغرب غرب، لن يلتقيا».

لقد تعمودنا من كل المحاولات السابقة، التي تدرس طبيعة الفروق بين العقليتين، أن يتم توصيف كل منهما باعتبار أن لكل عقلية طبيعة خاصة، وأن هذه الطبيعة تتميز بأنها نافية للطبيعة الأخرى. ونحن نحفظ على تلك النتائج، لأنها تأسست إما على سوء الفهم أو على سوء النية، كتنجاس طبيعى للممارسات التاريخية والصدام الحضارى المستمر بين العقليتين. لذلك، فمن الطبيعى أن نأسس توصيف كل عقلية للأخرى على منحنى عنصرى، يرسخ تفوق الذات على الآخر، أو العكس.

ويبقى أن نحدد تصورنا الشخصى عن مفهوم العقلية، لا باعتبارها تكويناً بيولوجياً، ولا باعتبارها مجرد مكونات ثقافية، ولكن باعتبارها منظوراً إنسانياً للعالم، ينتج عن اختيار المنهج العلى، الذى يشكل فيما بعد المكونات الثقافية لتلك العقلية. لذلك، فإن المنهج من وجهة نظرنا، هو الذى يشكل طبيعة العقلية، وليس مجرد نتاج لها. كما أن العقلية تصبح تجلياً للمنهج، دون أن تكون سبباً له.

هناك منظوران أساسيان يحكمان العقل الإنسانى، ويشكلان رعيه بالعالم، وهما: المنهج الاستدلالي، الذى يبدأ من الكلى وينتهى بالجزئى، والمنهج الاستقرائى، الذى يبحث بالجزئى، ثم ينتهى بالكلى. إن انعكاس الترتيب فى العلاقات داخل المنهجين، لا يودى إلى مجرد تغير شكلى فى زاوية النظر إلى العالم، لكنه يودى - بالضرورة - إلى تغيير فى علاقات العالم ذاته. فالمنهج الأول يبحث من وجود علة للكون، تبحث عن فيوضها داخل العالم، بينما المنهج الثانى يبحث بالعالم ذاته، وقد لا ينتهى به



التفسير الميتافيزيقى للتاريخ بين

بشر فارس ورفاعة الطهطاوى

٢٠٤

يشكل تجلياً للوعى الجمعى، خصوصاً حين يمتلك المبادرة التاريخية، مثلما هو قائم الآن. مما يشير إلى ما يمكن أن نسميه بـ (وحدة العقلية الشرقية).

وبداية، نقرر أننا لن نستند على ما أورده طه حسين - ضمنياً - فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر)، عن تصوره لمفهوم العقلية الشرقية والعقلية الغربية بالمعنى الثقافى. كما لن نتوقف

قائة عام - تقريباً - تفصل بين ميلاد بشر فارس ورفاعة الطهطاوى، كما يفصل بينهما اختلاف العقيدة، واختلاف الموقع الحضارى لكل من مصر والشام. لكن كل تلك الفواصل، الزمنية والجغرافية والحضارية والدينية تتلاشى، حين يخلق الأمر بهنا (الأخر) الأوربى، الذى يشكل تاريخاً بأكمسه سلسلة من الأفعال وردود الأفعال تجاهه. لقد كان موقف كل منهما من هذا الآخر،

عبد العال :

- تعبير عن الذات .
- شخصية واقعية .
- الانحراف عن الذات ثم العودة
- الخطاب اللغوى مبنى للمجهول .
- الابتداء باليقين والانتهاى به .
- الالتجاء فى النهاية إلى النبى .
- تجسيد لفكرة (الرد الميتافيزيقى) .

الرسامة :

- تعبير عن الآخر .
- شخصية مخيلة .

- الانحراف عن الآخر باتجاه الذات .
- الخطاب اللغوى مبنى للمعلوم .
- الابتداء بالشك والانتهاى باليقين .
- الالتجاء فى النهاية إلى الأنبياء .
- تجسيد لفكرة (الرد الميتافيزيقى) .
إن فى تشابه عناصر الحكايين عند
بشر فارس ورقاعة ، ثم فى اتفاقهما على
صيغة معنصرة عند الثانى ومعلنة عند
الأول ، على رفض الآراء التى تقرر أن
الحضارة فى المجتمعات المتقدمة تقوم
مقام الدين فى المجتمعات المتخلفة ، إنما
نحدر عن أزمة الصراع بين ثقافتى الرافد

والموروث ، بشكل أو بآخر . ولئن كانت
للمركزات العقلية لدى كل منهما ، تميل
بهما باتجاه البناء العقلى المحكم للثقافة
الرافد ، فإن العاطفة التاريخية تحيل كل
منهما إلى ثقافة الموروث . وهكذا ، تسود
عندهما ظاهرة التفسير الميتافيزيقى
للتاريخ ، التى تتجلى الآن - وبشدة - ضمن
الخطاب السياسى والإجتماعى والثقافى
السائد . وكأن العقول الشرقية ، من خلال
المنهج الاستدلالى ، تكفّن فى إعادة إنتاج
أزماتها عبر التاريخ . ■



الفكر والعلاقات

التطبيع الثقافي أو اللقاء المستحيل

- ٨٢ أنماط السلام في الشرق الأوسط: صلاح سالم. ١٩٢ الإحتداد الإسرائيلي وطموحاته من التسوية السلمية: نادية رفعت. ١٩٣ مستقبل القوة العسكرية الإسرائيلية في الشرق الأوسط الجديد - الإستراتيجية الصهيونية في عالم متغير: أحمد بها. الدين شعبان ١٩٤ أو هام غزو التاريخ: عرفة عبده على. ١٩٥ الملاح الداخلية لأزمة المياه في إسرائيل: رجب سعد السيد. ١٩٦ الرد بمشروع نهضوى عربى: عبدالقادر ياسين. ١٩٧ المقاومة.. أو الطريق إلى الجنون: زينب العسسال.

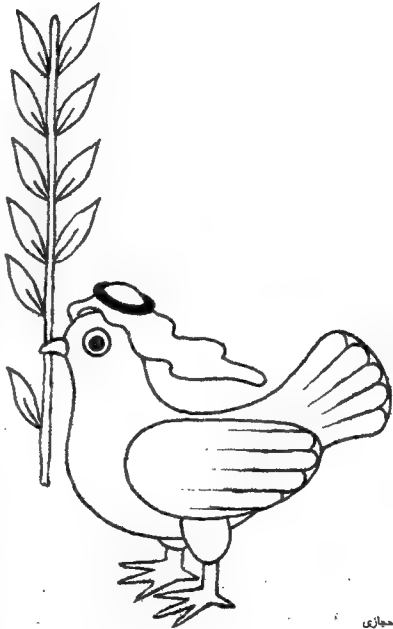
التطبيع الثقل في

قطبعاء، ومن الواضح، أننا نغلب القول، وحتى من خلال للرأى النقائل بقبول الحل السلمي القائم، بأن الصغار القادمة عظيمة في منطقنا، وهي كلها تقف بنا أمام ما يشبه الزلزال أمام منظومة القيم الثقافية العربية التي هي درعنا الوحيد لوجودنا ذاته.

لذا فإنه وإن كان وجود دراسة عن أنماط السلام في الشرق الأوسط يبدو خارجا عن مالف سياستنا، التي نتبناها في هذه المجلة الفكرية، إلا أن ما جاء بها من معلومات، ومن عرض دقيق ووافٍ للسياريات المطروحة، هو بالتأكيد يند ما تكسحه دراسات «نادية رفعت» وأحمد بهاء الدين، و«عرفة عبده على» و«رجب سعد السيد» ورأى «عبد القادر ياسين» بإضاءة تجعل تبني الآراء الواردة في الدراسات المذكورة أكثر رسوخا وعقلانية.

إن ما يهمنا بالقطع، وعلى طول الخط، وباعتبار دور هذه المجلة، هو الثقافي الفكري الحضاري في هذه المعركة، وهو الذي نرجو أن نكون به قد حركنا العقول من أجل أن تمتد الأيدي، بدراسات أخرى، لتضيف أبعادا جديدة تجعل «الموقف» قائما على أساس علمي، وليس مجرد رومانسية ساذجة سرعان ما تذويها الريح.

إننا ننتظر، وصفحاتنا مفتوحة لكل الآراء الحرة والمعتدلة.

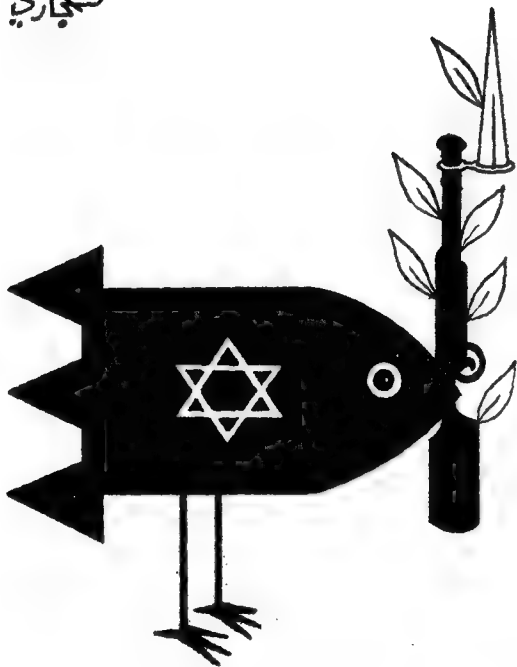


الفنان حجازي

التحرير

أو اللقاء المستحيل

سجاري





أنساط السلام

وبنهاية المناظرة الرأسمالية الشيوعية الكبرى واختزال الأخيرة إلى مجرد نظرية فلسفية - كما بدأت - تعرضت الأرض عن حقائق هامة تختزلها في تيارين متناقضين أساسيين:-

الأول: تيار توحيدى تكتيلى يتمحور حول الاقتصاد.

الثانى: تيار انعزالى تفككى يتمحور حول القومية.

ويتدفق التياران جنباً إلى جنب بما يحملانه من فرضيات ومخاطر فى مرجل واحد. وإسرائيل التى استطاعت فى نصف القرن الماضى أن تخرض أمن إسرائيل الدولة القومية للثور اتية الأسطورية. فخلت فى الوقت ذاته نسبياً .. ولأسباب طبيعية - عن تحقيق الأمن الاقتصادى والنفس للمجتمع داخلها ومرة أخرى بهزم السلاح الهادر أمام إدارة الوجود الطبعى الزئير. ومن هذا ومن جماع الحقيقتين التاريخيتين مما يمكن استنتاج مغزى التحول الجارى فى أركان الإدراك الإسرائيلى للتكيف مع حقائق

وعبكاً كانت محاولات القضاء عليهم فهم قد تحولوا إلى باطنة من ناحية، والأرض للمقفرة قلادة على إنتاج أشواكها من ناحية أخرى.

وبإشراقة العصر الأيوبي وقدم بطل المعروية صلاح الدين كانت البداية هى فلسفة التحرير الإيجابى. فلقاد أدار بصره ومن حوله نحو الشمال ليحرره فاخفى الباطنة دعماً لجنفى الصليبيين عبر كر وفر ومد وجذر استهلك قرنين من التاريخ العربى الوسيط.

وفى استدارة حضارية كاملة أكثرت اكتمالا وفى القرن التاسع عشر كان الجدر يسود على الضفة العربية - التركية الإسلامية، والممد يسود على الضفة الأخرى من نهر الحضارة، ثم كان الاستعمار الذى أتم دوره مع منتصف القرن الحالى وركل مخلفاً الدولة عبر الأسطورة على الأرض المقدسة فى بيت المقدس. إنها إسرائيل .. حقيقة جغرافية جديدة رجم التاريخ والأسطورة وأزمة الحصار العربية.

ففى تراثنا العربى ما يؤكد على أن التاريخ قد يعد نفسه بعلامح قد تصبفها الجغرافيا، وفى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر الميلادى كانت الموجة الأخيرة فى حركة المد الحضارى العربى على وشك التدفق. وكانت خلاقات بغداد مع القاهرة قد استحكمت حتى أغشيت أنصار العباسيين والفاطميين مما عن خطر الشمال حتى ما لبسوا أن وجدوا حملة الصليب يعسكرون بامتداد الشمال العربى من الإسكندرية إلى الإسكندرية حتى أنهم كانوا يفتشون العربى الذى يمر بالساحل ليلصقوا ماله ثم يطاروا نساءه، وكان العربى - ذى الأنفة - يقبل فى ضيق حيا فى الحياة.

وفى القاهرة انقسم وزء مصر، وادهى الحاكم بأمر الله للندوة، وانحدر الحشاشون من جبال آسيا الوسطى وأفغانستان وشمال إيران داعين إلى منطق تطرفى مريض استخدموا القتل ليشروه، وضمن من نالوا كان بدر الأفضل الجمالى وزير الجيش المصرى



فى الشـرق الأوسط

ثانياً: - أفاق التسوية السلمية الشاملة:-

١- على المسار الفلسطينى - الإسرائيلى :-

عندما بدأت المفاوضات العربية - الإسرائيلية وفقاً لصيغة مدريد فى أكتوبر سنة ١٩٩١م كان ذلك اتساقاً مع دوافع ثلاثة تخلفت فى إدراك أطرافها هى:

١ - ديب من الواقعية السياسية العربية تأثرت بها وأثرت فيها دورة انعقاد المجلس الوطنى الفلسطينى بالجزائر فى نوفمبر ١٩٨٨م وأدت إلى قناعة سلمية أكيدة رسختها التغيرات الدولية المتسارعة وحتمتها أزمة الغزو العراقى للكويت.

ب - قدرة إسرائيلية عالية فى الاستشعار التاريخى أوجت لها بأن العصر بمعطياته وأزماته لم يعد يسمح بالحديث عن إسرائيل الإمبراطورية وغاياته إسرائيل الدولة القومية القوية.

جـ - رغبة أمريكية حقيقية فى إحداث تسوية الصراع تحقق استقرا

سـالم

باحث مصرى

ومن توثيقية التاريخ والجغرافيا، والمجتمع والدولة، والسياسة والحضارة تبحث إسرائيل عن سماتها الجديدة القوية والداعمة لامتلاك رونقاً أكثر معاصرة عبر تحولات عديدة وتقارير كثيرة وتناقضات عميقة ومساومات حادة دخلها وعلى جانبيها وفى عمق وجدانها وبين أجيالها تخاطب شكلها ومورثها دون تجاوز للخوض فى حقيقة وجودها لأن أزمة الحضارة التى صنفها لا تزال كالنكتة. فاللحجار يهدر فى اتجاه واحد والبطل لم يأت بعد، وحتى يأتى علينا أن ننظر أمامنا ندرس مسطباتنا وفى هذا السياق نحاول جاهدين عبر الاقتصاد أن نتصور كيف ستكون السياسة.

التاريخ والواقع بسمات جديدة فى منوره الحقيقة الثابتة لتوجود.

والمغزى - كما نراه - أن إسرائيل لا بد ولها تقرأ التاريخ وتخشا أن يكرر فى القدس كما حدث ومسامها بيت المقدس. بيد بطل هو رسول للتاريخ إذا ما أمدت فى العنف والقهر والاستئساد والتحفز والاستتارة.

ولذا فإن ما يدور الآن من تحول فى إدراكها هو محاولة لشراء التاريخ بالجغرافيا تخرج من بعض الأرض لتلتحم بمعظمها فتكسره فى ثنائياها عن عين البطل وإرادة التاريخ.

والمغزى ثانياً أن إسرائيل تجرى عملية استبدال للتفوق الاقتصادى الحضارى، بالتفوق السياسى العسكرى، إنها تتنازل عن جزء من أمن الدولة لصالح الأمن المجتمعى الحضارى والنفسى.

أرض الوطن، كما أن الجيل المهاجر يشرف على الثلاثين والذويان الآن.

وفي ظلنا - ورغم أن الانقراض أدرجهم على قائمة التفاوض - أن وضعاً خاصاً سوف يشمل هؤلاء بمعنى أنهم لن يعودوا للإقامة الدائمة وإن منحوا مزايا في الانتقال للأرض العربية فضلاً عن منحهم الجنسية الفلسطينية بما لذلك من دلالة إيجابية لا تصوق تنبئ الحقائق على الأرض.

ج - قضية المياه:

وهي قضية من الأهمية بحيث أن جانباً من الفكرة الاستراتيجية العربية يضعها محور بحثه بكثافة لا مسبوقة في الآونة الأخيرة، وبحيث لا يمكن اختزال الحديث عنها في سطور متفرقة. ولكننا هنا وبعيداً عن الجدل الدائر حول تشعباتها يمكن القول بأن حلاً سياسياً سوف يشمل هذه القضية بعيداً عن الجوانب القانونية المجردة والقديمة. فرغم ما هو معروف ومشاع من سرقة إسرائيل للمياه العربية من الضفة وغزة ونهر الأردن واللبناني واليرموك التي تحصل منه وحده على ٧٤٠ مليون م^٣. أقول بأن تسوية ما سوف تعطي إسرائيل حاجتها للمياه من المياه العربية.

وإذا ما دخلت تركيا ومشروع أنابيب السلام في دائرة التفاعل فسوف تكون المياه التركية بمثابة فائض لتلبية حاجات التوسع المستقبلي أما الحاجات الحالية لإسرائيل والتي تقدر بحوالي ١,٥ مليار م^٣ فسوف تصر على الحصول عليها من المياه العربية.

د - قضية البيئة:

وهي قضية حضارية في المقام الأول ولذا فلا أتوقع أن يثور خلاف حولها حيث ثمة اتفاقاً عالمياً على ضرورة التحرك لمواجهة كل الاختلالات البيئية



● **عامل اقتصادي:** يتمحور حول حالة الانهيار التي يمر بها الاقتصاد الفلسطيني في الداخل وتزايد نسبة البطالة إلى ما يربو على ١٥% من التعداد للقوى العاملة الفلسطينية الأمر الذي قد يجعل من عودتهم ممعباً لمزيد من الضغوط على الاقتصاد الفلسطيني الناشئ كما قد يثير مخاوف الفلسطينيين أنفسهم من احتمالات فقدان المميزات الاقتصادية التي ربما يتمتعون بها في البلاد العربية التي يقيمون فيها.

● **عامل اجتماعي:** يتمحور حول عمق الترابطات التي تولدت بين هؤلاء الفلسطينيين وبين المجتمعات العربية في دول المهجر إقتصادية وسياسية فضلاً عن علاقات المصاهرة لأكثر من جيل خاصة في الأردن والخليج ومصر مما قد يعوقهم نفسياً عن العودة خاصة وأن أجيالاً من الشباب ولدت في المهجر ولم تمش على

تخفيض سلاحها الكيماري بنسبة قد تفوق النسبة العربية، ولكن يصعب تصور مرافقتها على نزع أو مجرد تخفيض سلاحها النووي قبل عشر سنوات من الآن يمتنع فيها السلام وتترابط شبكة المصالح الاقتصادية ويتصل حد التعقيد وتفرز آثارها السياسية للبعيدة فلسفياً ونفسياً وينوبها بالفكر الذي يؤمن الإدراك اليهودي.

ب - قضية اللاجئين:

وفي اعتقادي أن تفكيكا واجباً لهذه القضية سوف يحدث بلورة ثلاثة مرافق.

الأول: موقف المبعدين حديثاً والذين تشملهم أحكام قضائية بالعودة والذين تفرقت أسرهم وتقبل إسرائيل بعودتهم لأسباب إنسانية وهؤلاء سوف يتم عودتهم في الغالب عبر صيغة أو أخرى أثناء فترة الحكم الانتقالي المؤقت.

الثاني: يشمل باقي اللاجئين النازحين بعد حرب ١٩٦٧ وهؤلاء يبلغون نحو ٦٠٠ ألف نسمة تتمحور حولهم مباحثات لجنة اللاجئين بكندا، ويتوقع عودتهم للأراضي العربية المحتلة مع نهاية الفترة المؤقتة وبداية التسوية النهائية أو على الأكثر إبان الانتهاء منها، وما قد يصاحب ذلك من إعلان الدولة الفلسطينية.

الثالث: وهو يخاطب لاجئ حرب ١٩٤٨م ويبلغ هؤلاء مع أسرهم نحو مليون نسمة ويحملون الآن جنسيات لدول عربية أخرى، وهؤلاء يصعب القول بعودتهم للأرض العربية لأسباب أهمها:

● **عامل أمني:** يهم إسرائيل ويمثل في حجم هؤلاء اللاجئين الذي يصل إلى مليون نسمة بما قد تثيره عودتهم من هواجس أمنية غير مقبولة من وجهة النظر الإسرائيلية.

الإسرائيليون أنفسهم - جويل الصابرا - في إطار الاستغلال الأمثل للقوى البشرية. والاهتمام بالتأهيل الفني للتعرض للنقص في الأيدي العاملة.

● توفر قاعدة صناعية تكنولوجية ضخمة ومتطورة خاصة في الصناعات الإلكترونية وصناعة السلاح. الأمر الذي جعلها تشارك بنسبة ٩١٪ من الصادرات الإسرائيلية عام ١٩٩٠م وحيت تمكك إسرائيل قاعدة عريضة من البحث العلمي تقوم الدولة بدور محوري في إدارتها ورعايتها بالتعاون مع المؤسسة العسكرية.

ويقوم بمهمة التنسيق بين الأبحاث العلمية في البلاد، المجلس القومي للبحوث العلمي والتطوير، التابع لمجلس الوزراء مباشرة لرئيس المجلس ذاته. كما تمكك وزارة الدفاع موارد هائلة يمكن توجيه جزء منها لأغراض البحث العلمي والتطوير في المجالات المدنية.

وهناك أيضاً الجامعات، والمعاهد العلمية وعلى رأسها معهد وايزمان بالإضافة إلى الشركات الحكومية الصناعية ذاتها بل وبعض الشركات الخاصة. وتبلغ مجمل النفقات الخاصة بالبحث العلمي لوزارة الدفاع وحدها بين ١٣ - ١٥٪ من الدخل القومي الإسرائيلي البالغ ٥٢ مليار دولار عام ١٩٩١م أي بقيمة حوالي ٧ مليارات دولار فضلاً عما تنفقه لجهات المدنية.

● التقدم الكبير في مجال البيوتكنولوجيا الخاصة بتطوير الزراعة والريادة الحيوانية فضلاً عن قدرتها المذهلة على فتح الأسواق التجارية وفق سياسة نشطة تستغل إمكانات النقل للجوى والبحرى والبرى فضلاً عن محاونة العناصر اليهودية المتقدمة على أرض الأسواق المضمونة.

● نقاط الضعف : وتتمحور حول المعلومات الطبيعية الثابتة وأهمها:



الزراعى العربى، فضلاً عما يتحده من التمرارى.

● ثروة مائية كافية: حالة ترشيد استهلاكها - قادرة على تلبية متطلبات زراعة عربية واسعة.

● ثروة نفطية هائلة تبلغ نحو ٥٥٪، ٢٨٥، ٢٨٪ من احتياطي، وإنتاج وصادرات العالم. فضلاً عن ثروة معدنية يزخر بها المغرب العربى. بالإضافة إلى القدر الهائل الذي تتيحه السماء العربية بطقسها المشمس من إمكانيات توليد الطاقة الشمسية بل وحتى الرمال العربية تبقى لها قيمتها كدافع لإنتاج السليكون والزجاج والأسمنت وصناعة البناء.

● سوق طليحة ضخمة: تكتشر عبر قارتين، وعبر لقائين مناخية تختلف في ثوبها الاستهلاكى فضلاً عن إمكانيات الاستهلاك الضخمة لدى ٢٠٠ مليون نسمة بما يضفى الصفة الفنية والإقتصادية على مجمل عمليات التصنيع العربى المتصورة.

● نقاط الضعف: وتتمحور حول الأداء الإبداعي والفردى للإنسان العربى وأهمها:-

● فجوة زراعية كبيرة وعجز فى الميزان التجارى الزراعى نسبته ٧٥٪ فى ظل استخدام سوء للموارد المائية والأرض العربية.

● افتقاد العالم العربى للكوادر الفنية الماهرة والمدرية على إدارة عمليات الإنتاج بل وانخفاض شديد فى إنتاجية العامل العادى حتى بلغت نحو المعدلات السائدة فى العالم الصناعى.

● الضعف العام الشديد فى بنية الصناعات العربية البدائية المدنية والذاتج من فقدان القاعدة التكنولوجية الخاصة به، وضيغ الإنفاق العلمى على البحث والتطوير بل وسوء استخدام القائم منه ولذلك أسباب نرى أهمها:

● قلة الموارد الطبيعية والاعتماد على استيرادها كمستلزمات للإنتاج مع عدم توافر مصادر الطاقة البديلة حيث تستورد نحو ٩٨٪ من احتياجاتها البترولية.

● محدودية التعداد السكانى وضيق السوق بما يجعل عملية الإنتاج فى إسرائيل غير فنية فى مجالات كثيرة.

● العزلة المفروضة عليها من المحيط العربى بما يحول دون تدفق تيارات التبادل العلمى، والرأسمالى وفق المعدلات الطبيعية المعروفة.

ب - الاقتصاد العربى:

● نقاط القوة : وتتمحور حول المعلومات الطبيعية الثابتة وأهمها:

● قاعدة أرضية شاسعة تبلغ نحو ١٤ مليون كم² لاشك أن بها نسبة كبيرة صالحة للزراعة تنتمى لأقاليم مناخية متنوعة مما يدرى للتكوين المحصولى

الموارد. وإن كان القطاع يحصل على بعض حاجته من بحيرة طبرية.

● إن القطاع يحصل على الكهرباء اللازمة لإنارته وإدارته من داخل إسرائيل.

● ما تفرضه قضية الأرض اليهودية المقدسة من ترابط أو تشابك والتي تتمثل في مدينة الخليل التي يوجد بها ١٩ موقعا دينيا يهوديا منها الحرم الإبراهيمي . ويرى العرب حرية كسافه الأديان والأماكن المقدسة ومنها القدس بالطبع والتي تثير جدلا كبيرا أو ترقب أوصافا بها من التشابك والتعقيد ما يرسخ لفكرة الاعتماد المتبادل.

● وأما الأردن فقد كانت قراراتها بالتحلي عن إدارة الضفة الغربية في سنة ١٩٨٨م ضد هذا الاتجاه اقتصاديا وإن كان كذلك أبعاد سياسية أخرى. ولذلك ربما فطنت الأردن لمخاطر الاعتماد للفلسطيني الشامل على إسرائيل وحاولت فيما بعد أن تخفف وطأة هذا التحول فكانت البداية عندما أصدرت ,بقرارات وترتيبات سنة ١٩٩١م, والتي تمتعت بقدر كبير من المرونة في قواعد التعامل مع الصادرات الفلسطينية وخاصة السلع الزراعية التي عادت إليها فتنزها على المرور إلى الأردن ثم إلى بلاد عربية أخرى.

● كما شهد الوضع تحسفا آخر كبيرا في نوفمبر ١٩٩٢م حيث قامت الأردن من خلال تعاون مع المصدرين الفلسطينيين بتحديد حصص وفترات الدخول بالنسبة لمختلف المحاصيل. ثم بإصدار تراخيص لدخول السلع إلى الأسواق الأردنية في ضوء أوضاع الإنتاج الحالية, أو لمرور هذه السلع عبر الأردن إلى أسواق أخرى مثل صادرات الحمضيات من قطاع غزة إلى البلدان العربية.



خلق إقتصاد فلسطيني هامشي في الزراعة والصناعة نكس على المراق. وفرض صعوبات جملة على الجانب الفلسطيني أن يواجهها وحده الآن، أو في إطار المثلث المتصور.

ولعل أهم تلك الصعوبات ما أثبتته دراسة حديثة قامت بها الدائرة الاقتصادية لمنظمة التحرير الفلسطينية بها مايلي:

● أن حوالي ٥٠٪ من العمال الفلسطينيين بالأرض المحتلة هم عمال (فلمة) أي عمال باليومية ينظمون أساسا في قطاع التشييد والبناء داخل إسرائيل .

● أن هناك خمسين ألف عامل لا يجدون عملا بالأرض العربية المحتلة يتركزون أساسا في قطاع غزة ويطلقون لاجد العمل في إسرائيل.

● أن للقطاع بالذات، ثم الضفة الغربية، يعانيان من أزمة مياه شديدة حيث تسيطر إسرائيل على معظم هذه

بصيص وأنماط التعاون المتشود. ولعل القول بأن العين الإسرائيلية على دول الخليج أساسا كتعبير أمين للطابع المعروف عما يسمى إجمالا بالاقتصاد العربي هو أمر جاز.

وفصلا عما أوردها من جدل حول الموقف الفكري للمري من إمكانية التعاون مع إسرائيل داخل الشجيرة العربية، فإن ثمة جدل آخر يدور حول نطاقات هذا التعاون المحتملة والسكنة. ويمكن رصد ثلاثة نطاقات متغاونة الاتساع أخذت تثير الخيال العربي وفيمايلي تعرض لها في إيجاز.

١ - النطاق الأضيبي...
وسيناريو المثلث الأردني - الفلسطيني - الإسرائيلي:

وجوهه قيام سوق مشتركة ضيقة تضم الأردن والأراضي العربية الفلسطينية فضلا عن إسرائيل. ولهذا التصور من الحقائق والشواهد التاريخية مايسده ويزيد من صدقيه. وضمن هذه الحقائق والشواهد مايلي:

● عندما قامت حرب ١٩٦٧ كان الإقتصاد الفلسطيني يكاد يقتصر في تعاملاته التجارية على النطاق الأردني - الإسرائيلي فبينما كان الأردن تصدر للأرض المحتلة نحو ٣٠٠ مليون دولار وتستقبل منها ماقيمته ٣٠ مليون دولار وكانت الأرض المحتلة هي ثاني مستورد عالمي من إسرائيل بعد الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة وعندما قامت حرب ١٩٦٧م طالبت المنظمات الفلسطينية الشعب العربي في الأرض المحتلة بمقاطعة إسرائيل. وتم ذلك بالفعل .

وفي الحقيقة أن الاستراتيجية الإسرائيلية قد عملت منذ البداية على ربط الأرض المحتلة بها - وإن أعملت مرافقتها واقتصادها - لخلق قدر مرتفع من الاعتماد المتبادل الذي أدى بالتدريج إلى

المستخدمة في التعاون الزراعى مع إسرائيل على الصحة العامة في مصر.

وعلى مستوى التبادل الصناعى والتكنولوجى: لم تحدث تفاعلات ذات قيمة تذكر ويرجع ذلك في جزء كبير منه لأسباب تقنية حيث تتشابه الفوائض كما تتشابه الحاجات في إطار اقتصادين يعانيان من نقص نقدى، ولديهما طموح تصنيعي مع اختلاف نسبي في درجة الفراء الطبيعي، وإن كان للعامل السياسى دوراً هاماً .

اجتماعياً: بلغ حجم السياح الإسرائيليين لمصر حوالي عشرة آلاف سائح سنوياً بينما إقتصرت الزيارات المصرية لإسرائيل على الوفود الرسمية وشبه الرسمية مع استمرار وجود مركز ثقافى مصرى بإسرائيل، استمرار عمل المركز الإعلامى الإسرائيلى بالقاهرة .

وفي ضوء هذه الحقائق الموجزة، وفي ضوء طموح سورى محصور للعب وتغيظه حضارية منافسة للتوظيف الإسرائيلى في نطاق الذم الشامى حين تشكل يمكن تصور بعض الشكوك التى قد تثار في الإدراك السورى وتقل حماسها لهذا النطاق الوحيد أهمها:

● أن التفوق التكنولوجى لإسرائيل ذاتياً، ثم قدرتها على الحصول على التكنولوجيا المتطورة بطرق مشروعة وغير مشروعة ودون قيود سوف تزدى بلا شك إلى تهديدات صناعية وتجارية لسوريا تزدى إلى تقليص دورها وخفض مستوى أدائها ليس فقط في إطار الذم الشامى بل وأيضاً على المستوى العربى .

● أن تعمل إسرائيل على إخضاع معادلات التعاون الاقتصادى لطموحات إسرائيلية اقتصادية وسياسية فضلاً عن ربطها بمعادلات الأمن القومى الإسرائيلى .



- لا شك - أنها تكثير صعوبات وتعقيدات على أسعدة شتى وتستلزم نوعاً خاصاً من الإدارة قادرة على ضبط إيقاعات وتنظيم تبادلات وتوجيه موارد أطراف هذه التفاعلات، وهذا النوع من الإدارة هو وليد عنصرين أساسيين: أولهما: الانسجام بين أفرغ الشامل وأجزاء الكل وهما يتطلب درجة عالية من التشابه بين أطراف التفاعل في الفلسفة السياسية والمبادئ التنظيمية .

وثانيهما: للكفاءة والتى هي وليدة خبرات تنظيمية متعاقبة خلال مستويات حضارية مرتفعة ونظام ثقافى يحض على الفعالية والإنجاز والتسامح .

ولذلك نجد أن خبرة للتجربة الأوروبية في الوحدة الاقتصادية لم السياسية ورغم كل الدجاجات التى حققتها في العقود الأربعة المنصرمة - لا يزال أمامها صعوبات ومخاطر ولا تزال تحتاج إلى إرادات سياسية قوية حتى تكتمل جميع أطرافها وتحقق جل أهدافها عبر بعض التkovسات التى قد تترجمها بين التقنية والأخرى. رغم أنها تقوم بين منظومة من الدول تمتلك أهم مقومات الإدارة الخاصة القادرة على ضبط وتوجيه وتنسيق التفاعلات على أى قاعدة أرضية فالفلسفة السياسية الليبرالية والاقتصادية فضلاً عن التوجه الأمريكى هي رؤى مبهملة على فكر وممارسة هذه المنظومة طيلة عقودها المنصرمة .

والستوى الصناعى الحضارى عموماً يجسد نوعاً من الرقى والارتفاع من ناحية، ونوعاً من التقارب والتشابه من ناحية أخرى بين أعضاء المنظومة جمعياً .

فضلاً عن انتظامها داخل الثقافة الأوروبية المسيحية بوجه عام. وإن انقسمت إلى مذاهب فرعية بين

● أن تتدفق خبرات وحساسيات الصاعى إلى المستقبل عبر آليات عدائية كأجهزة للتخاطر والجاسوسية والنشاط الهدام وغيرها .

وفي ضوء تلك الشكوك فضلاً عن خبرات الصراع اللبناني - الإسرائيلى ومدى ارتباطه بتفكيكة القوى السياسية في الداخل اللبناني ذاته يمكن القول بصنط احتمالية هذا السيناريو. الذى يبدو أن أهم ركائزه . بل ركيزته الوحيدة تبقى العوامل الجغرافية .

٣ - **النطاق الأوسع**
وسيناريو السوق الشرق الأوسطية :
(في ضوء الخبرة التاريخية للمقارنة لتجربة الوحدة الأوروبية)

لا شك أن طبيعة عمليات التفاعل الاقتصادية - بما تستلزمه من بنى وهياكل وتنظيمات وموثيق وعمليات تبادل بشرى وسملى من عمالة، إلى سياحة ثم تبادلات خدمية وندية متشابهة

كاتوليكية فرانكونية قارية، وبروتستانتية أنجلو ساكسونية وربما كان هذا الانقسام الأخير والطيف ضمن مثيرات الخلافات البريطانية الفرنسية والتي أعاققت زمناً انضمام بريطانيا للسوق الأوروبية.

وفي مواجهة الجماعة الأوروبية، وفيما على مجموعة العوامل والدوافع والظروف البنية والتاريخية التي شكلتها تلك الجماعة العربية تشكل مميزات الوحدة، وبعض الروافد الأخرى السالبة التي تمثل معوقات لها، ونعرض لهذه الروافد فيما يلي:

أ - الروافد الإيجابية وأهمها:

● **الوحدة اللغوية:** ولاتك في أن اللغة هي إحدى أهم عوامل التقارب والتفاعل خاصة على الجانب الشعبي الذي يصبح الأمم في صناعة التحولات العميقة والكبرى فضلاً عن دور اللغة الثقافية السياسية بوجه خاص مما يفي في النهاية ويدعم آليه بناء العقل الجمعي الموحد في مواجهة تعدد لغوي الرئوي .

● **الوحدة المذهبية:** فضلاً عن الدين الإسلامي السائد عربياً والذي يوازيه الدين المسيحي أوروبياً ينظم العالم العربي - فيما عدا بعض الأقليات البسيطة في دول الخليج - داخل المذهب السني في مواجهة انقسام مذهبي أوروبي بين الكاثوليكية، والبروتستانتية. وهو انقسام وصل درجة الاشتغال في فترات زمنية سابقة.

● **الميراث الإيجابي لبحرنة** التفاعلات العربية - العربية: والتي انتظمت أساساً في سياق تاريخي إيجابي تميز بوحدة المسير العربي إبان النهوض، وحتى في مرحلة قوى الضعف والتحلل وأخيراً في مواجهة

الاستعمار. والمثابة الكبيرة بين حركات التحرر في الوطن العربي. وربما لا يخرج عن هذا السياق إلا بعض الملاحظات الهامشية تاريخياً، والغزو العراقي الأخير للكويت. وذلك على العكس من الجماعة الأوروبية التي تفوز خبرتها التاريخية بحل الصراعات بكافة أنماطها دينية ومذهبية واستعمارية وغيرها. فضلاً عن الحريين العاملين الأحيويين اللذين جرتا على أرضها والأخيرة هي التي أنتجت - على وجه المفارقة وكرد فعل دفاعي - مشروع مارشال الذي جسّد بداية للوحدة الأوروبية.

ب - **الروافد السلبية:** والتي يحزى إليها إعاقة الوحدة العربية السياسية أو الاقتصادية رغم إتفاقيات ومواثيق عربية تضمن على هذه الوحدة أهمها اتفاقية التعاون الاقتصادي والدفاع العربي المشترك منذ أبريل ١٩٥٥م فضلاً عن برنامج الوحدة الاقتصادية العربية وغيره من البرامج والمواثيق المنبثقة من روح الجامعة العربية ومواقفها والداعية نحو التوحد. وأهم هذه الروافد:

الاختلافات السياسية والفكرية والتنظيمية في التطبيقات العربية لأنظمة الحكم رغم الوحدة في الروافد الثقافية وموارث التفكير السياسي وهو الأمر الذي أشعل حرباً باردة - عربية وحدت تقسيمات عربية بالية أنهكت العربية واستهلكت وقتاً وجهناً كبيرين وضعت أزمى فترات المد القومي في ديماجوجية جوفاء.

التخلف في درجة التقدم الحضاري والصناعي العربي بما يحسره ذلك من ضعف في قدرات القائلين على التخطيط لتجربة الوحدة فضلاً عن غياب ذلك النوع القادر من الإدارة المنسجمة ذات الكفاءة العالية .

البهجة الدولية التي واجهت المشروع العربي. ولتصديقاً لذلك تحديد الدور الأمريكي الذي أثر في اتجاهين مختلفين على المشروع العربي والعربي. فبينما دعم وساند بقوة المشروع الأوروبي في مواجهة الشيوعية السوفيتية، فإنه على النقيض من ذلك قد ضيق بقوة على المشروع العربي بمساندته للتحدي الإسرائيلي الذي استهلك هو الآخر جزءاً هائلاً من طاقات الأمة ووقتها حتى لدى أولئك البعيدين عنه، والذين رفعوا شعاراته فقط لكسب الشرعية وتبرير الوجود.

أزمة الثقافة السياسية العربية وخاصة افتقارها الروح الديمقراطية والذي انعكس على صعيد العلاقات العربية - العربية في فقدان أدب الاختلاف وإنعدام القدرة على التسامح السياسية، وأحادية النظرة إلى الأشياء والبحث دائماً عن المطلق على حساب النسبي. وطلب الكل مع رفض الجزء وكلها أمراض صبغت الثقافة السياسية العربية بمرض العاطفية في تعاملها مع الوحدة التي أخذت دعواتها وتجارها أشكالا رومانسية تركزت على الوحدة الكلية الجغرافية كسبغة وحيدة. وعندما كانت تصطدم هذه البسطة بتناقضات الواقع العربي كان يرسخ في الذهن أن الوحدة كفكرة في أزمة وأنها غير ممكن رغم أن ذلك كان يرتبط بسبغة وحيدة في الحقيقة يمكن تجاوزها والبحث عن بديل لها، إلا أن ذلك كان غير ممكناً نتيجة لاختلالات عديدة حول مفاهيم الوحدة أو للتكامل قام بها العقل العربي الجمعي في عصر الرومانسية القومية.

وفي هذا السياق المتعارف يسور التساؤل. هل يمكن للكيان الذي عجز عن تحقيق توحده وهو منظومة مغلقة قادرة على ضبط وإدارة وتوجيه وتصوير حركتها. أن ينجح في إقامة منظومة

أوسع منه الآن يمتلك بعض قراراتها ويفتقد بعض مفاتيحها؟ هل يدجج في تحقيق ذلك بشروطه هو أم يتركه للآخرين وضع الجداول والشروط والأولويات؟

وفي ظلنا أن اجتهادات كشيور قد تشر وتبين لدرجة النفاذ إلا أنه يمكننا القول إن ثمة متغيرات خاصة ببنية الفعل والإرادة العربية قد حدثت بالفعل أو في سبيلها إلى ذلك بدرجات متفاوتة في اتجاه إيجابي قد يقل الآن من المعوقات التي سادت في الحقبة الماضية. ومن ذلك نذكر:

هبوط حدة التناقضات الفكرية والتطهيرة في التطبيقات السياسية العربية إثر انهيارات الفلسفة الاشتراكية، وزوال تقسيمات الحرب الباردة العربية بين الرجعية والتقدمية، ومحاولات الاقتراب العربي العام من مفهوم الديمقراطية ضمن المرجعية الثالثة إن اقتناعاً أو حتى تظاهراً كدفع من الانسحاق مع قسيم وطروحات العصر وعلى رأسها النظام الدولي الجديد.

بعض قسوم ومظاهر العدائية التي لكتبها الدولة القطرية العربية إثر تفجر البترول بقوة وخاصة في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات الأمر الذي رفع نسبة الاقتصاد العربي من الاقتصاد العالمي إلى ٦,٤ ٪ عام ١٩٨٠م والذي دفع بعض الدول العربية على الأقل إلى إقامة صناعات استخرارية وتحويلية مما عقد من هياكلها الاقتصادية وأكسبها سمات حداثة أدت في ضوء ما يمكن تسميته بالانكشاف للعالمى الاتصال إلى تقليل الفجوة الصناعية والمعرفية ولو في المستوى النظري على الأقل.

إن التحدى الإسرائيلي وزراع ارتكازه الأمريكى قد تحولا من موطن العقبة إلى موقف الدافع والمساند، بل إلى مركز القاطرة التي تحاول أن تجر الجميع نحو فكريات التعاون الإنمائي في إطار السوق الشرق الأوسطية



الأمريكى وهو أن الوطن العربى أصبح تسمية بالية في ظل التصور الأمريكى الذى يجعل انتماءاته لثلاثه مناطق استراتيجيه ضمن أربعة مناطق استراتيجيه تحاول الولايات المتحدة تأطير العالم داخلها ومنبط تفاعلاته من خلالها وهى كالتالى:

منطقة المحيط الهادى وتمتد من الشواطئ الأمريكية الكندية وحتى الشرق الأقصى واليابان.

منطقة المحيط الأطلنطى وتمتد أوروبا الغربية والشرقية وروسيا وشمال العالم العربى فى أفريقيا حتى ليبيا.

منطقة الشرق الأوسط وتمتد الدول العربية شرق السويس وإيران وتركيا وباكستان وإسرائيل وتخلو من مصر.

المنطقة الأفريقية الاستراتيجية والتي تضم مصر أساساً وتشمل دول حوض النيل والقرن الأفريقى.

وما يحمله هذا التصور ولو على المستوى التجريدى الفكرى من تشبث للمنظومة العربية، ومن عزلة مصر وحدها عن مجمل النشاطات العربية فى الشرق والغرب لا بد وأن يفر لشكوك فى أن يكون هذا التشبث من أهداف السوق المنصورة.

نحو أوروبا الغربية :-

وتتصحر حول المعنى الغربى لبينة وقيم النظام العربى انطلاقاً من سد فكري جوهرة ذلك الفشل التاريخى للنظام العربى فى تحقيق المصالح العربية. وهو الأمر الذى أشار إليه وعبر عنه أحد مسئولى الجماعة الأوروبية عندما أكد على أن:

– التجارة العربية البينية لم تتجاوز ٧ ٪ من صادرات الدول العربية.

– إن الحد المناسب لاستثمارات إيرادات النفط لا تتوافر فى أغلب البلاد العربية

إن قدرنا معتد به من العقلانية الذاتية فى التفكير السياسى العربى والذي نجم عن تحولات دولية وخبرات إقليمية وقومية ذاتية وكان دافعه نحو القبول بفكره التسمية السلمية ذاتها لا بد وأن يقوده إلى فهم جديد عقلانى لظواهر التكامل بما يفتح الباب واسعاً نحو أنماط التوحد الوظيفى والفنى. وهى الأنماط التى تتطلبها وتطالبها فكريات السوق الشرق الأوسطية.

وفى مراجعة هذه المتغيرات الإيجابية تلور مجموعة من الشكوك والهواجس التى تقلق العقل العربى إزاء الولايات المتحدة ، وأوروبا وإسرائيل حالة انسياب مثل هذه التفاعلات الشرق الأوسطية الكثيفة اقتصادياً وسياسياً بالتبعية، وتلخص هذه الشكوك فى عجلة سريعة.

نحو الولايات المتحدة:

وتتطلب مما أصبح محدداً - ولو بصورة خافتة - فى العرف السياسى

- إن المظهر الوحيد للتعاون الاقتصادي العربي هو انتقال العمالة للدول النفطية.

- إن القرار بإنشاء سوق عربية مشتركة منذ أكثر من ثلاثين عاماً لم ينفذ حتى الآن. كما أن مجلس الوحدة الاقتصادية العربية لا يزال يصارع من أجل البقاء والتعبير عن هذه الوحدة.

نهو إسرائيل :-

وتتمحور حول الأهداف الحقيقية للسوق المفتوحة من وجهة نظر إسرائيل التي تصر على اللزيم بين أي تسوية وفكرة للتعاون الاقتصادي منذ هنتة ١٩٤٩م مروراً بكامب ديفيد وحتى تصريحات شيمون بيريز وزير خارجيتها أعقاب الاتفاق مباشرة.

فهل يمكن لإسرائيل بالفعل أن تتعاون في تجردوزاها؟ أم أنها سوف تخضع معادلات التفاعل التنموي داخل السوق لمطالبات أمنها القومي المبالغ فيه كما أنها فتأتى بجيوش التخابر والنشاط الهدام والطامعة للتدخل في خفايا الحكم والسياسة العربية سعيًا إلى إحداث تغييرات في توزيعات فكرية معينة لها من الجذرية ما يحقق لها اندماجاً آمناً في منظومة التفكير العربي.

ومن خلال العرض الموجز والمقارن السابق لبيئة ومناخ وضوابط أو خيار السوق الشرق الأوسطية كمنظومة تفاعلية متصور. يمكن القول إجمالاً بأن هذا الخيار يجد من المحفزات ويعانى من الضغوط ما يمكن من وضعه في إطار معادلة بسيطة بهذا الشكل :-

مجموعة حقائق ومؤشرات جارية وإسرائيلية اقتصادية محفزة للتكامل وجهته نظر فنية جملة مؤثرات إيجابية تتعلق ببيئة الإدراك السياسى والتفانى العربى.

جملة شركك عربية ذات طابع نفسى حيال الماضى والمستقبل ومن نتاجات تفاعلات أطراف هذه المعادلة، وحسب عمق المؤثرات الإدراكية الإيجابية في مواجهة الشكوك النفسية العربية فضلاً عن قوة دفع الحقائق الاقتصادية الفنية التي عبرنا عنها بمفهوم مكافآت الكثافة والفرغ. تتضمن احتمالات هذا الخيار الأوسع وتحدد فرصة في صياغة المستقبل الاقتصادي للمنطقة. ثم شكلها السياسى والذي نحاول فيما يلى من الدراسة أن نتصوره.

خامساً :- التفاعلات السياسية المتعكسة على نطاقات التعاون الاقتصادي .

ويمالج هذا الجزء الأخير من الدراسة شكل التفاعلات السياسية المسحطة والمرتبة على أى من سيناريوهات التفاعل الاقتصادى ونطاقاته سواء الضيق منها أو الأوسع أو الأوسع. كما نتعرض تحديداً لدور الجامعة العربية كرمز مؤسس للنظام العربى وما تحول إليه هياكلها أو قيمها حالة حدوث أى من سيناريوهات التعاون سالفة الذكر.

وحرى بنا أن ننكر في هذا السياق أن تصوراتنا في هذا الجزء للتفاعلات السياسية المحتملة ومن أى من السيناريوهات المطروحة تخاطب مدى زمنى أطول باعتبار أن هذه التفاعلات السياسية مشروطة بحدوث للتفاعلات الاقتصادية أساساً، والتي تشترط بالتوعية إتمام عملية للتسوية السلمية والتي فجر الطموح نحوها الإتحافين الإسرائيليين مع فلسطين والأردن.

ولذا يمكن القول إن هذا الجزء

المصراعية الحالية والتاريخية. وفيما يلى تعرض لهذه التصورات حسب نطاقاتها.

١ - التفاعلات السياسية المرتبطة على قيام المثلث الأردنى الفلسطينى-الإسرائيلى:

وجوهه المثلث - كما أسلفنا - هو قيام علاقات تفاعل اقتصادى في إطار نسق ثلاثى يقوم على قدر كبير من الاعتماد المتبادل نتيجة التشابكات المعقدة بين الأردن، وفلسطين والأرض المصرية المحتلة . والتي عرضنا لها سلفاً ويصعب تفكيكها.

وفي ظنى أنه فضلاً عن تفاعل دول المثلث نفسياً فيما بينهم فإن تفاعلات أخرى سوف تربطهم مع باقى الكيان العربى . وأن إسرائيل تحديداً سوف تحاول إقامة علاقات مع كافة البلدان الخليجية ومصر بالأساس في إطار ثلاثى وخاصة على صعيد التبادل التجارى. وإن كانت أهم التفاعلات الاقتصادية كدبالات التصنيع والتكنولوجيا والعمالة يمكن أن تتنظم داخل المثلث إلا أن السوق الخليجى والعصرى إلى حد ما سوف يشعلان الفياض الإسرائيلى نحوها وربما نجحت إسرائيل في هذا الصدد كنوع من الدرضية العربية لها عن بدول السوق الموسعة.

وأما عن تأثير هذا النمط التفاعلى على آليات التفاعل السياسى فيمكن القول: بأن تظل منظومة التفاعل العربى متماسكة داخل الجامعة العربية ربما بدرجة فعالية أقل على المستوى السياسى نتيجة لاختفاء أكبر التحديات السياسية والأمنية التي أدت أساساً لنشأتها وتطورها وإن كان من الممكن أن يتصاعد دورها على مستوى التنظيمات الأدنى في المجال الاقتصادى حيث يتوزع نشاطها كأكبر على المستوى الاقتصادى العربى نتيجة لعدة عوامل أهمها:

- أن زوال الهم الأملى المترتب على مولجة إسرائيل وتفكيك الجهود الموقوفة عليه - ولو نظرياً - سوف يؤدي إلى مطالبات شعبية بترقية المستوى المعيشي للإنسان العربي وإلى استجابات متباعدة من الأنظمة العربية لها.

- أن التعامل الاقتصادي العربي مع إسرائيل وبدرجة ما مع الجماعة الأوروبية سوف يمثل مشوراً وحافزاً للإنجاز الاقتصادي بما قد يخلق رواجاً، في عمل هذه المؤسسات الاقتصادية الفرعية.

- إن تطوراً طبيعياً متفاوتاً في العلاقات السياسية الثلاثية بين إسرائيل ومختلف البلدان العربية يتوقع له أن يحدث.

- أن يحدث تعاون على نطاق واسع بين إسرائيل وتركيا يجاوز مجرد التعاون المائي إلى مجالات تكنولوجية أخرى.

- أن تظل إيران - طالما بقي النظام الحاكم الحالي - على هامش النظام العربي بقدر محدود من التفاعلات مع احتمال تقلص تدريجي في دورها المساند لحركات اللف الإسلامي.

عدم حدوث تغيير يذكر في حجم التفاعلات العربية الأوروبية، والعربية الأمريكية في مقابل زيادة التفاعلات الأمريكية والأوروبية مع دول المثلث.

وعموماً يمثل هذا التصور حلاً وقائياً للعالم العربي ويضمن له عدم التعرض لمخاطر الاندماج الواسع. ولذا فقد يلقى قبولا ودعمًا عريبين ولكنه لن يكن مرضياً لإسرائيل تماماً وبالتالي فهي لن تقبل له إلا إذا ووجهت بأمر واقع صلب من ناحية، وحصلت على ترسيخات تجارية مناسبة من ناحية أخرى.



الخفية الغربية بينها وإسرائيل بالإضافة للتدخل الكبير المتصور لتركيا وخاصة بالسياد أساساً مع دول النمر وخاصة إسرائيل.

أن تفاعل الجماعة الأوروبية بقدر أكبر مع النمر الشامى عبر تركيا وإسرائيل فضلاء للتطور نفسه مثل الولايات المتحدة.

كما يمكن تصور استمرار بنية ومؤسسات الجامعة العربية مع زيادة في درجة خمولها وتربطها لهبوط أكثر حدة في مستوى التحديات السياسية لها ثم لافتراق بعض مسارات البلدان العربية المضمونة في إطار النمر الشامى.

وأيضاً يمكن تصور اختراق إسرائيل أكبر للمؤسسات الأدنى الفرعية وخاصة الاقتصادية منها والتابعة للجامعة العربية ولا يستبعد أن تصبح عضو في بعضها. وربما طُلبت عضويتها كمرافق في مجلس الجامعة.

يمكن أيضاً تصور هبوط في حدة التوترات على الجهة الخليجية بين إيران ودول الخليج مع استعادة العلاقات الخليجية - العراقية لتوازنها - وهو متوقع بشدة حاله انسياب تفاعلات السلام - فضلاً عن الانشغال النسبي الإيراني بتفاعلات النمر الشامى والدول التركية.

وفي النهاية يمكن القول بأن احتمالات هذا السيناريو ليست قوية وأن مقوماته أضعف بكثير من السيناريو الأول، ولا توجد في خبرة علاقات أطرافه ما يستد.

٣ - التفاعلات السياسية المترتبة على قيام السوق الشرق الأوسطية :-

وهذا التصور الموسع هو الأكثر استقطاباً وإثارة للجدل في الفكر العربي

٢ - التفاعلات السياسية المترتبة على قيام النمر الشامى :-

ولأنه يضم سوريا وإيران إلى دول المثلث فهو يضيف أبعاداً جيوبوليتيكية جديدة وبالتالي قدراً أكبر من الإشكاليات والجدليات للتصور السابق هي:

- أن الإمكانيات الأرضية القاعدية الأكثر اتساعاً والطبيعية الأكثر تنوعاً سوف تعمل على خلق نسق أكثر تبلوراً وتحديداً بمعنى أن تزداد درجة ترابطاته الداخلية بينما تقل نحو الخارج في إطار كبير من الاستقلالية.

- أن يشهد النمر الشامى قدراً أكبر من التعاون مع تركيا وإيران حيث يحتمل جداً أن تجد إيران منفذاً لها إلى ذلك النمر عبر سوريا، ويضيق القوى اللبنانية فضلاً عن لفتوائها مع تركيا في منظمة التعاون الاقتصادية التي تجمعهما مع باكستان. فضلاً عن شبكة العلاقات

بتوجهاته الثلاثة حول التفاعل الانسيابي
النلا مشروط من ناحية، والتفاعل
الانفلاقي التشاؤمي من ناحية ثانية، ثم
الزوعية العقلانية المشروطة من ناحية،
والتفاعل من ناحية أخيرة.

والإشكالية الهامة تدبع من أسلوب
ممارسة هذا المنصب المطلوب للزوعية
المعدلة. فلقد استراح العقل كدورا إلى
صورة العدويين عليها قوائم ووضع
جدول السياسات وتوجهات تحتاج الآن
إلى تفكير ثم استبدالها وذلك تكلفة
نفسية واقتصادية وسياسية عاتية.

وفكرة السوق المشتركة هي الأكثر رواجاً
في الأدبيات السياسية المحيطة بالتسوية
السلمية، ولاشك أن الواقع سوف يقترب
منها بصورة ما. وأن العرب لن
يستمطعوا رفضها تماماً وأن أقصى ما
يمكنهم هو التحايل عليها وحتى ذلك
التحايل يستلزم جهداً.

ورغم أننا نؤكد على الزوعية
المعدلة في إطار هذا السيناريو إلا أنه لا
يمكن تجاهل مخاطر حقيقية تبدأ في
الاقتصاد وتنتهي في الثقافة.

إن السوق بنطاقها المتسع الذي يضم
قوى إقليمية، ويفعال تحت إشراف قوى
دولية ولاشك في ظل شبكة معقدة من
العلاقات سوف تلجئ إلى مصالح الأقوياء
الذين لن يكونوا المررب على وجهه
الخصوص في ظل استمرارية الواقع
المهددئ الحالي.

إن وقائع وحقائق سياسية جديدة
مصاحبة ومترتبة على شبكة التفاعلات
المحتملة سوف تبلغ من اللقوة ما يعصف

بكيان الجامعة العربية لينتهى بها إلى
الانزلاق كتعبير رمزي عن ماضي سلقى
خاصة في ظل احتمال قيام تحالف من
الولايات المتحدة وإسرائيل والعالم العربي
بعد الاختراقات المتكررة لطاقات الأمن
العربي في البحر الأحمر والخليج العربي
والقرن الأفريقي بما لا يجعل لوجود
مؤسسة الجامعة منطق واضح.

الخشية من تغلغل أنظمة الفكر
الغربية في عمق المدركات العقلية
العربية التي مثلت سباجاً قيمياً لا يزال هو
المحافظ الأول للإطار البيوي ذاته والتي
تثير الأمل دوماً في إمكانية اتصال
التفكير السياسي القومي وإمكانية للهوض
التاريخي كمنظومة قومية معبرة عن
حقائق التاريخ والأرض والهوية لهذه
المنطقة من العالم. وخصوصاً إذا ما
أدركنا أن تفرغ هذه المدركات هو هدف
إسرائيلي مطلوب للتأمين التاريخي.

هاتمة:

بين السياسة والثقافة .. العرب
وإسرائيل وإمكانية التعايش.

بمجرد أن تمت عملية اختزال
التجربة الشبوعية الكبيرة إلى مجرد
نظرية فلسفية كما كانت عبر مناظرة
استغرقت ثلاثة أرباع القرن للمعاصر
طلعتنا أسناد العلوم السياسية بجامعة
هارفارد الأمريكية وصامويل هانتجتون،
بفكرته عن اللحد البديل للشبوعية والذي
اقترحه في الإسلام ورغم أن هذه النعمة
الشاذة ويدة عقود مضت إلا أنها خرجت
عن دائرة الكمون هذه المرة حتى تخلقت
فكراً وسياسياً في محاضرة الأستاذ
الأكاديمي الأمريكي الذي أخذ يشر
بقدم عصر الحروب الثقافية والحضارية.

وفي هذا المناخ وقف الرئيس
الأمريكي كلينتون في حديقة البيت
الأبيض في ١٣ سبتمبر الماضي ليجمع
في يديه كليهما طرفي صراع القرن
الحالي عبر خطوط التناقض الديني،
والقومي، والثقافي بين توراتيه صهيونية
عنصرية، وبين إسلامية عربية
متسامحة. مما بدأ كأنه النفي السياسي
الكليستوني لأطروحة الفكرية
اليهنجرية.

إن تعارب التاريخ تقول بأن الثقافة
دوماً وفي المدى البعيد. تصبغ وتحم
وتوجه المسارات السياسية للدول
والشعوب. ورغم أن الأطروحة السالفة
تناقض.. في نظرها. من حيث نفيها
للقومية في مواجهة الثقافة حقائق الواقع
الذي يعيش تفككات وحروب ونزاعات
قومية على خريطة العالم إلا أن الأمر
يستلزم التوقف عند حقائق التحول
السياسي الجارية بمنطقة العرب في
مواجهة إسرائيل لدى هل تسعف الثقافة
هذه التحولات لتطوئ ضرورات التعايش أم
لا. وفي ظل أن هناك مخاطر ثقافية قد
تهدد مستقبل تلك التحولات السياسية
الجارية لدى كل الأطراف لعل أهمها:

الجماعات المتطرفة في الدولة وفي
الاجتمع الإسرائيلي. والتي تنظم في
الأحزاب السياسية، والدينية، والمركات
للمعادية لأفكار السلام وعلى رأس هؤلاء
الليكرد والفدال وهذه التجمعات المتنافرة
الحجم والقيمة تظل حاملة لفكر الأسطورة
روحم التفوق والريفة في اقتناص الفرص
للسوط على نواتج التفاعلات السلمية
فضلا عن الصراعية محكومة في ذلك
بعقده النص التاريخي والحضارية إن لم
تكن الدينية.

أصولية مسيحية تنكاس في
الإدراك السياسي للعلل الغربي وتبندى
في أفكار عنصرية لدى تولى بيرجسون،

وأخيراً نقول:

إن معادلات الثقافة والسياسة في الخبرة التاريخية تصنف صعوبات إلى ما نرصده في الواقع من مخاطر حقيقية. ولكن ليس من السهل أيضاً أن عالمنا يمتلك فرصة الحياة عبر نصف قرن من البنيات السياسية والحضارى الصراعى يمكن أن يتنازل عنها بسهولة.

وما من شك أن الجميع، حتى الذين يكرهون السلام، لم يصدقوا يجبذون الحرب وأن المجتمع الحقيقى لدى الطرفين - بعيداً عن التنبؤات والجماعات - يريد استرخاء طويلاً ولذا فسوف يسعى إلى جعل النجاح غاية.

وعندما تسيطر القافلة طويلاً وعميقاً سوف يزداد أنصار السلام ويتناثر أسبقاء الحرب. فالسلام قادر على خلق أنصاره كما كانت الحرب فى الماضى. إن التاريخ فى حركته لا يعرف المقامرة، وإن صاغحه المغامرة ولا شك. أننا على أعقاب مغامرة سياسية حضارية جديدة يجب أن نخوضها مسلحين بأسلحتها. على ألا ننسى دائماً أن لنا وعياً وضميراً يطبق بالمربية. ■



فضلاً عن الدول الغربية فى إطار التحالف المتصور دون محاولة لتغيير الواقع بقصد تحقيق الاستمرارية التاريخية وضمان عدم الانقطاع؟

ودافيد برايس جونز، هاموس بيرلموتر ثم بلغت أقصى وضوحها لدى هينجتون. كما تنبذى فى حركات العنصرين التى تطفح بها المجتمعات الأوروبية حالياً وبالنزات فى بريطانيا وألمانيا وفرنسا

أصولية إسلامية على الجانب الآخر من المحيط والبحر تنبذى رد فعل انتقادی عثيف، ترفض الواقع وتهرب إلى التاريخ وتكفى الآخرين دون مراجعة الذات، مما يؤدى إلى رؤى انقلابية، وحركات متصاعدة لا بد وأنها سوف تثير - إذا تمكنت - مخاطر عدم الاستقرار، وإذا سيطرت - إمكانية نصف كل الحقائق الجديدة المتولدة.

- وفى مستوى أقل من مستوى الثقافات القومية السالفة نجد تناقضات أخرى تتعلق بالثقافة السياسية ذاتها من واقع يؤكد على وجود أوتوقراطيات عربية متجابهة للنضال والأهواء فى مراجعة قيم الليبرالية الغربية الأصلية، والإسرائيلية المدنية، فهل تكساح إسرائيل



الاقتصاد الإسرائيلي وطموحاته

فإن التصوية الملمسية الراهنة للصراع العربي الإسرائيلي وما صاحبها من اتجاهات متسارعة نحو إقامة تعاون اقتصادي إقليمي يضم إسرائيل وأطراف عربية وغير عربية ثم الحديث عن إقامة تجمع شرق أوسطي وسوق عربية شرق أوسطية في مرحلة لاحقة ليكون بديلا عن تجمع إقليمي عربي وسوق عربية مشتركة ، يجعل من الأهمية بمكان دراسة الاقتصاد الإسرائيلي، وتقديم أدلته وإمكاناته وأوضاعه الراهنة واتجاهاته المستقبلية في ضوء الطموحات والأهداف الاستراتيجية الإسرائيلية، وحتى يشكل هذا الفهم عنصرا من عناصر صياغة استراتيجية عربية قادرة على مواجهة التصورات الإسرائيلية والغربية لمستقبل المنطقة العربية والتي تستند في أساسها على تفنيد المنطقة وتكريس أشكال الذبعية والهيمنة المباشرة وغير المباشرة عليها ودعم الوضع الاقتصادي والإقليمي لإسرائيل .

والاقتصاد الإسرائيلي يتميز بوضعه الخاص والفريد من نوعه نتيجة كون إسرائيل كيانا استقلاليا زرع بالقوة في محيط يلفظه وينبذ ويقوم بدور القاعدة الأممية للمصالح الإمبريالية في المنطقة العربية . ومن هنا ظل يخصص مذبذبات في أسلوب إدارته وفي معدلات النمو ومحتواها وفي علاقاته الخارجية لقرارات الاستراتيجية العليا ، والكفاءة الاقتصادية في تخصيص الموارد واستخداماتها يضحى بها بلا تردد إذا تعارضت مع هذه الاستراتيجية في لحظة ما (١) ومن هنا أيضا واجه الاقتصاد الإسرائيلي معضلة حادة ألا وهي كيفية التوفيق ما بين الأهداف العسكرية والسياسية والاقتصادية الطموح جدا والضرورية لاستمرار وجود الكيان الصهيوني واضطلاع بدوره ووظيفته من جهة ، وبين إمكانيته الذاتية المحدودة للغاية سواء من موارد طبيعية أو بشرية وضيق مساحة الدولة وعزلتها عن محيطها وأسواقها الطبيعية من جهة أخرى . وقد استطاع الاقتصاد

الإسرائيلي طوال أكثر من أربعة عقود تحقيق نمو سريع وتقدم اقتصادي ملحوظ وأن يتجاوز الأزمات المتكررة التي واجهته نتيجة هذا التناقض الحاد بين الطموحات الضخمة والإمكانات المحدودة والتي كانت من الممكن أن تصف بأي اقتصاد آخر . بفضل عدة عوامل منها : الدور الحاسم الذي لعبته الدولة في توجيه الاقتصاد القومي ... وإمكانية ضبط الاختلالات الناشئة (٢) حيث تلعب الدولة والمؤسسات التابعة لها وللتابعة للمستحدرات دورا مسيطرا في الاقتصاد الإسرائيلي (٣) وتؤثر في تخصيص الموارد بما تملكه من سلطات مالية وتجزئية ، كذلك تخطت إسرائيل أزماتها بفضل العلاقة الخاصة مع الخارج سواء باعتباره مصدرا للحجم الهائل من رؤوس الأموال التي تدفقت على إسرائيل في شكل تعويضات (المأذية) وقروض ميسرة ومعونات وهبات ، أو باعتباره سوقا حيوية للاقتصاد الإسرائيلي وخاصة أسواق الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا



من التسوية السلمية

نادية رفعت

• باجة مصرية ومدير مشاركة
مركز للسلطة للدراسات الإنسانية .

وموارد طبيعية وبشرية . لقيام صناعة وإنتاجية قادرة على المنافسة وعلى زيادة الصادرات وزيادة التخصيص في المجالات التي تتمتع فيها إسرائيل بمزايا إنتاجية نسبية بالإضافة إلى توسيع تجارتها مع العالم وجذب الاستثمارات الأجنبية التي ظلت تجلب إسرائيل منذ قيامها خوفاً من عدم الاستقرار والقيود بالمقاطعة العربية ، (٦) وليس غريباً أن تكون فكرة التعاون الإقليمي بين إسرائيل والدول العربية فكرة مطروحة منذ زمن بعيد من قبل قادة الصهيونية ، ثم زعماء إسرائيل فيما بعد، وعلى رأسهم شيمون بيريز وزير للخارجية الإسرائيلي الحالي . أما الصيغة المطروحة للتعاون فهي الصيغة التي أصبحت معروفة جيداً الآن ، والتي تقضى بالزواج ما بين التفوق العلمي والتكنولوجي الإسرائيلي والأيدى العاملة العربية الرخيصة والمتفانية رأس المال العربي ، وهي صيغة تعمل على تكريس الوضع المختلف للاقتصاد العربي في التقسيم الإقليمي والدولي للعمل (٨) وتتيح للاقتصاد الإسرائيلي الذي يشكل

الطموح (٥) إلا أن طموحها الأكبر في أن تتحول إلى دولة إقليمية عظمى ، وأن تصبح في مصاف الدول الرأسمالية الإمبريالية وأن تكون شريكا وليس خادما لهم (٦) وأن تتحرر من مشاكلها وأزماتها الهيكلية والمتحولة في ارتفاع معدلات التضخم والبطالة والعجز المزمن في الميزان التجاري وميزان المدفوعات وعجز الموازنة العامة للدولة وتفاقم الديونية الخارجية ، فذلك لن يتم إلا إذا نجحت إسرائيل في كسر عزلة عن محيطها الطبيعي ومجالها الحيوي وإقامة علاقات اقتصادية مع الدول العربية ، ومن ثم ، توفير الشروط اللازمة . من أسواق قريبة ومستلزمات إنتاج أولية

الغربية التي تربطها بإسرائيل اتفاقات تجارية ثنائية تمنح إسرائيل معاملة تفضيلية . كما قدمت الهجرة اليهودية التي تدفقت على إسرائيل قاعدة بشرية ماهرة وجاهزة ساهمت في تطورها الاقتصادي بل إن سر التحول العاصف الذي شهده البنية العلمية والاقتصادية عموماً والصناعة الإسرائيلية خصوصاً في عقدى السبعينيات والثمانينيات يكمن في عشرات الآلاف من الأيدي العاملة عالية التأهيل التي وفرتها الهجرة ، (٤) كذلك فقد ساهمت الآلة العسكرية الإسرائيلية في تجاوز الأزمات الاقتصادية ولو بشكل مرحلي حيث ساهم التوسع الإقليمي الذي حققته إسرائيل عقب حرب ٦٧ في توفير الموارد الطبيعية من أرض ومياه وقترول لإسرائيل وكذلك موارد بشرية رخيصة متعلمة في العمالة العربية غير الفنية .

وإذا كانت إسرائيل قد نجحت بفعل هذه العوامل في تخطي كثير من العقبات تحقيق سلسلة معاقبة من الأهداف

حالة متطورة - قياسا للاقتصاد العربي - أن يدفع للأعلى بخطوات واسعة من خلال اقتصامه - بالتعاون مع الاحتكارات الدولية - فائض القيمة المنتج عبر هذه العلاقة غير المتكافئة (٩).

وتزداد أهمية التعاون الاقتصادي الإقليمي في المرحلة الراهنة بالنسبة لإسرائيل نظرا للأعباء الاقتصادية والاجتماعية الضخمة التي تفرضها عملية استيعاب أكثر من نصف مليون من المهاجرين الجدد القادمين من جمهوريات الاتحاد السوفيتي سابقا والذين قد يزيد عددهم على نحو مليون مهاجر خلال السنوات القادمة وفقا لبعض التقديرات * مما يتطلب توفير ٥٠ مليار دولار خلال السنوات القليلة القادمة (١٠)، وكذلك لتدارك احتسالات تراجع المعونات الخارجية أو فبات قيمتها المطلقة مما يطى تآكل قيمتها الحقيقية بفعل التضخم وتآكل قيمة الدولار.

وقد حققت إسرائيل خطوات كبيرة نحو هذا الهدف بعد توقيعها اتفاق إعلان المبادئ مع منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٩٣ ثم اتفاق السلام مع الأردن عام ١٩٩٤ ، ثم فتح كل من المغرب وتونس مكاتب اتصال مع إسرائيل ، وإنهاء دول مجلس التعاون الخليجي للمقاطعة من الدرجة الثانية والثالثة ضد إسرائيل ، ثم تسارع وتعدد اللقاءات والصفقات بين رجال المال والأعمال العرب والإسرائيليين والتي وصلت إلى ذروتها في مؤتمر «الثقة الاقتصادية لدول شمال أفريقيا والشرق الأوسط» الذي انعقد في الدار البيضاء في أكتوبر من العام الماضي ١٩٩٤ ومن هنا أصبحت إسرائيل قريبة من تحقيق طموحاتها الإقليمية والاقتصادية والتي أفزرت لها عديدا من الدراسات المفصلة منذ أواخر الستينيات .



الاقتصاد الإسرائيلي عبر عدة مراحل : الأولى في الفترة ١٩٤٨ / ٤٩ - ١٩٥٧ / ٥٨ ، والثانية ١٩٥٨ / ٥٩ - ١٩٦٧ / ٦٨ ، والثالثة ١٩٦٧ / ٦٨ - ١٩٧٣ / ٧٤ ، وهناك مرحلة رابعة بدأت عام ١٩٧٤ (١٣) وربما يمكن اعتبار أن هناك الآن مرحلة خامسة ، ويمكن تحديد بدايتها في عام ١٩٩٠ / ٩١ أي مع تدفق الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتي سابقا ومع انتهاء حرب الخليج وانقضاء مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١ وما أعقب ذلك من اتفاقات مع الفلسطينيين والأردن وبداية انتهاء عزلة إسرائيل الإقليمية والدولية مع كل ما سيترب على ذلك من تطورات وتحولات اقتصادية عميقة وبعيدة المدى.

وقد شهد الاقتصاد الإسرائيلي عبر المراحل الأربع الأولى تحولات بنوعية مهمة في هيكل الإنتاج وتوزيع العمالة وهيكل الصادرات بحيث أصبح الاقتصاد الإسرائيلي يعتمد أساسا على الصناعة وخاصة الصناعات المتطورة كثيفة المهارة . وقد حققت إسرائيل معدلات مرتفعة لنمو الناتج القومي الإجمالي خلال السنوات الأولى لوجودها حيث بلغ خلال الخمسينيات ١١٪ وخلال الستينيات ٩٪ بفعل زيادة الطلب الكلي الذي خلقته الهجرة اليهودية إلى إسرائيل والتي بلغت ١٢ مليون مهاجر في الفترة ١٩٨٤ - ١٩٦٥ ، وكذلك التدفق الكبير للموارد المالية خاصة التبرعات الألمانية التي بلغت ٨٥٠ مليون دولار ، خلال الفترة ١٩٥٤ - ١٩٦٥ (١٤) . والتي أعطت إسرائيل قدرا كبيرا من الحرية في التخطيط و «البرامجة» بين الأولويات المتضاربة على الموارد المتاحة (١٥) ، ذلك بالإضافة إلى استيلائها على غالبية ما راكمه عرب فلسطين على مدى تاريخهم حتى عام ١٩٤٨ (١٦) .

وتحتاج إسرائيل إلى تحقيق معدلات مرتفعة من النمو الاقتصادي حتى تضمن

ومن خلال عرض تطور الاقتصاد الإسرائيلي واستعراض ملامح أهم قطاعاته فيمكن إدراك أهمية التعاون الاقتصادي الإقليمي بالنسبة له وطبيعة العلاقات والشروط التي تسمى إسرائيل إلى فرضها على المنطقة .

تطور الاقتصاد الإسرائيلي :

وصل حجم الناتج المحلي الإجمالي الإسرائيلي عام ١٩٩٣ إلى ما يقرب من ٦٥ مليار دولار وتحتل إسرائيل المرتبة الثانية بعد المملكة السعودية بالنسبة لحجم إجمالي الناتج المحلي بالمقارنة بسائر الدول العربية وإيران (١١) كما تحتل إسرائيل المرتبة الأولى بالنسبة لإجمالي الناتج القومي للفرد بالمقارنة بسائر الدول العربية ، والذي بلغ ١٣٧٢٠ دولارا عام ١٩٩٢ ، في حين بلغ الدخل القومي للفرد في مصر مثلا في نفس العام ٦٤٠ دولارا ، وفي الأردن ١١٢٠ دولارا ، وفي السعودية ٧٥١٠ دولارا ت (١٢) وقد مر

لساكنها وللمهاجرين الجدد مستوى معيشا مرتفعاً ومماثل لما هو في الدول الصناعية المتقدمة لما لذلك من تأثير على معدلات الهجرة إلى إسرائيل والنزوح منها . وقد واجه الاقتصاد الإسرائيلي أول أزمة بطيئة له في منتصف الستينيات حيث شهد مرحلة انكماش شديدة خلال عامي ٦٥ - ٦٦ انخفض خلالها معدل نمو الناتج القومي الإجمالي إلى ١,٢ ٪ وذلك نتيجة تروكم الإنتاج بسبب صغر حجم السوق وضييق الفرص المتاحة للتصدير أي بسبب إغلاق الأبواب الطبيعية (العربية) أمامه . وقد طالب بعض الاقتصاديين الاسرائيليين آنذاك بأن تسعى إسرائيل (ومن هذا المنطلق الاقتصادي) لإقامة علاقات مع جيرانها وإن اعترفوا بأن رأيهم هذا بعيد عن الذهنية السائدة، (١٧) وقد تبدل الوضع تماماً بعد حرب ١٩٦٧ حيث شهدت الفترة ما بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧٢ نمواً سريعاً في الناتج القومي الإجمالي وصل إلى ٨,٧ ٪ (١٨) . وذلك بفضل للتوسع الإقليمي الذي حققته إسرائيل واستغلالها على موارد طبيعية من أرض ومياه وبحرول وفتح سوق استهلاكية جديدة في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين لتصرف المنتجات الإسرائيلية ، والذي تعود إلى ثاني سوق في الأهمية بالنسبة للصادرات الإسرائيلية بعد سوق الولايات المتحدة الأمريكية وأكثرها ربحية حيث بلغت نسبة تغطية الصادرات للواردات الإسرائيلية من هذا السوق ٣٣٨ ٪ عام ٨٥ بفائض سوى لمصالح إسرائيل بلغ ٤٢٥ مليون دولار عام ١٩٨٥ (١٩) . و ٦٥٧ مليون دولار عام ١٩٨٧ (٢٠) . وكذلك ساعد على هذا النمو السريع تدفق المعونات والاستثمارات الأجنبية عليها وتزايد الهجرة اليهودية إليها والتي اتسمت بمستوى عال من التأهيل مما ساهم في

عملية التحول في هيكل الصناعة الإسرائيلية في تلك الفترة والانتقال من الصناعات ذات القاعدة المادية من الخامات ومستلزمات الإنتاج المحلية إلى الصناعات ذات القاعدة العلمية والتكنولوجية والتي تحتاج للخبراء والعاملين المهرة (٢١) وتقوم أساساً على تطوير منتجات مبتكرة ذات قيمة مضافة عالية (٢٢) والمخصصة أساساً للتصدير ، ومن هنا زادت مساهمة الصناعات الإلكترونية والكهربائية من إجمالي الإنتاج الصناعي من ٢,٤ ٪ عام ١٩٦٥ إلى ١٧,٢ ٪ عام ١٩٨٤ (٢٣) ، وقد ارتبط هذا للتطور بنمو الصناعات العسكرية وتضخم النفوذ السياسي والاقتصادي للمؤسسة العسكرية فيما أصبح يعرف بالمجمع الصناعي العسكري ، وقد ساعد على هذه القوة في الصناعة الإسرائيلية وفرة العمالة غير الماهرة للرخيصة القادمة من الأراضي العربية المحتلة حيث بدأت العمالة العربية تحل محل العمالة اليهودية في قطاعات الزراعة والتشييد والبناء وأتاحت للعمالة اليهودية الماهرة العمل في مجالات اختصاصها والانتقال من الزراعة إلى الصناعة ومن الفروع الأقل تطوراً إلى الفروع الأكثر تطوراً داخل قطاع الصناعة (٢٤) ، وقد صاحب ذلك تحول

في تركيب الصادرات الإسرائيلية حيث أصبحت الصادرات عالية التقنية تمثل حوالى ٤٠ ٪ من الصادرات الإسرائيلية (٢٥) .

ومع ذلك ، ظلت الأسواق المتاحة أمام هذا النظم من المنتجات لا تسمح بقيام وحدات إنتاجية بحجم اقتصادي ملائم ، وبدأت الطاقة غير المستخدمة تتراكم عبر القطاع الصناعي كله وأصبحت كثافة رأس المال لدى كثير من المشاريع لا تتلاءم ومستوى الإنتاج المتوقع ، ولم يكن ممكناً استمرار مثل هذه المشاريع إلا عن طريق ما تقدمه الحكومة من دعم وتسهيلات الائتمانية ومنع وإعفاءات (٢٦) وقد شهد الاقتصاد الإسرائيلي عقب عام ١٩٧٣ أزمات حادة ومتكررة وصلت إلى ذروتها في أوائل الثمانينيات حينما وصل معدل التضخم إلى ٥٠٠ ٪ ووصل العجز في الموازنة العامة إلى ١٢ - ١٥ ٪ من الناتج القومي الإجمالي (٢٧) وانخفضت معدلات النمو للتدحرج ما بين صفر و ٢,٣ ٪ (٢٨) . ووصل الدين الخارجي إلى ٢٢,٥ مليار دولار عام ٨٣ مسجلاً أعلى نسبة مديونية للفرد في العالم (٥٥٠٠٠ دولار) كما سجل العجز في الميزان التجاري والعجز في ميزان المدفوعات أرقاماً قياسية في تلك الفترة (٢٩) وكان من أهم أسباب هذه الأزمة ارتفاع الإنفاق



العسكري ، بشكل حاد عقب حرب ٧٣ ثم حرب لبنان والذي وصل حجمه إلى ٢٠٪ من الناتج القومي الإجمالي على حساب التخفيض الواضح للاستثمارات على الرغم من الهمبات والقروض الخارجية الضخمة، لاسيما تلك التي تدفقت من الولايات المتحدة (٣٠) خاصة مع استمرار ارتفاع الإنفاق الاستهلاكي الخاص نظراً لأن أي تراجع في المستوى المعيشي في إسرائيل من خلال برامج التشفش أو غيرها مسألة حساسة للغاية وغير مقبولة اجتماعياً وسياسياً . كذلك كان للكساد العالمي ومن ثم تراجع الصادرات الإسرائيلية آثاراً أيضاً على هذه الأزمة.

وقد شهد الاقتصاد الإسرائيلي بعض التحسن عقب تطبيق برنامج التثبيت الاقتصادي عام ١٩٨٥ ، وتحويل الولايات المتحدة برنامج المعونة العسكرية والاقتصادية لإسرائيل خلال عام ١٩٨٥ إلى صورة منح لا تزيد (٣١) . وبالفعل انخفضت معدلات التضخم لتتراوح بعد ذلك بين ١٥ - ٢٠٪ سنوياً (٣٢) كما انخفض العجز في الميزانية العامة بشكل كامل تقريباً . لكن هذا التحسن لم يدم طويلاً حيث أصيب الاقتصاد الإسرائيلي بعمالة شديدة نتيجة اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي العربية المحتلة مما أدى إلى انخفاض الإنتاج في القطاع الصناعي بنسبة ٣٪ والقطاع الزراعي بنسبة ٨٪ وقطاع الصادرات بنسبة ٣٪ نظراً لتوقف جزء كبير من العمال العرب الذين يشكلون ١٢٪ من العاملين في المجال الصناعي و ١٥ - ١٨٪ من العاملين في المجال الزراعي ، و ٤٠٪ من العاملين في قطاع البناء الإسرائيلي من الخشب إلى أعمالهم في إسرائيل وكذلك تراجعت السياحة ، وتراجعت الصادرات الإسرائيلية إلى سوق الأراضي المحتلة



نتيجة مقاطعة الشعب الفلسطيني للمنتجات الإسرائيلية ، كما انخفضت إيرادات إسرائيل من رسوم وضرائب وجمارك من الأراضي المحتلة بالإضافة إلى تزايد الإنفاق الأمني لمواجهة الانتفاضة ، مما أدى إلى تباطؤ شديد في النمو وإلى ركود اقتصادي (٣٣) .

كما تعرض الاقتصاد الإسرائيلي عام ١٩٨٩ لضغوط جديدة مع تدفق حوالي نصف مليون مهاجر قادمين من الاتحاد السوفيتي سابقاً مما فرض أعباء جديدة حيث تحتاج إسرائيل إلى موارد ضخمة تقدر بحوالي ٥٠ مليار دولار لاستيعاب هذه الهجرة وللحفاظ في الوقت ذاته على المستوى المعيشي لسائر السكان . وقد كان لهذه الهجرة آثارها السلبية وآثارها الإيجابية . فقد زاد العجز في الميزانية العامة لتتراوح ما بين ٣ - ٤٪ من إجمالي الناتج المحلي ، وارتفعت معدلات التضخم من ٩٪ عام ١٩٩٢ إلى ١١٪ عام ١٩٩٣ ، كما تسببت

الهجرة في ارتفاع معدلات البطالة إلى ١١٪ عام ١٩٩٢ خاصة مع ارتفاع مؤشرات المهاجرين الجدد حيث كان ٢٥٪ منهم من المهندسين و ١٥٪ من الفنيين و ١٧٪ من الأطباء (٣٤) . والبطالة مسألة حساسة جداً في إسرائيل لما لها من تأثير على معدلات الهجرة والهجرة المضادة وقد كانت البطالة أحد الأسباب الرئيسية لانكماش الهجرة عام ١٩٩١ كما عجز ٣٠٪ من المهاجرين الجدد في استيعاب تم إقراره عام ١٩٩١ عن رغبتهم في ترك إسرائيل (٣٥) . وحتى لا يزيد معدل البطالة عن ١٠٪ تحتاج إسرائيل إلى خلق ٥٥.٠٠٠ فرصة عمل جديدة خلال الأعوام القليلة القادمة (٣٦) علماً بأن الزيادة في حجم الوظائف المدنية لم تتجاوز ١٤٢.٧٠٠ وظيفة أو فرصة عمل منذ عام ١٩٨٥ (٣٧) وقد فشلت المحاولات الرامية لإحلال العمالة الإسرائيلية العاملة محل العمالة الفلسطينية القادمة من الضفة الغربية والقطاع حيث أحجم غالبية المهاجرين الجدد من ذوي المهارات العالية عن الالتحاق بهذه الأعمال ذات الأجور الضعيفة وظروف العمل الصعبة . واستوعاب هذه العمالة تحتاج إسرائيل إلى التوسع في الصناعات التصديرية وخاصة الصناعات المتطورة كخفيفة المهارات التي تشكل ٤٠٪ من الصادرات السلمية والقادرة على استيعاب هذه العمالة الماهرة . ذلك بالإضافة إلى أن التصدير يعتبر المحرك الرئيسي للنمو الاقتصادي الإسرائيلي منذ أن تبنت إسرائيل إستراتيجية للتنمية تعتمد على تشجيع الصادرات بدلاً من إحلال الواردات في أرواس المستعديتات . وهذا يعنى بالطبع ضرورة فتح أسواق جديدة أمام الصادرات الإسرائيلية ولا سيما في الأسواق العربية المحيطة بها والقريبة منها .

من ناحية أخرى كان لهذه الهجرة آثارها الإيجابية على الاقتصاد الإسرائيلي حيث ساهمت - بالإضافة إلى عوامل أخرى - في زيادة النمو الاقتصادي من خلال زيادة الاستهلاك الكلى في الاقتصاد - وقد حقق الناتج المحلي الإجمالي أعلى معدل له منذ عام ١٩٧٢ ووصل إلى ٦,٤ ٪ عام ١٩٩٢، وزاد الناتج المحلي الإجمالي في الفترة ما بين عامي ١٩٨٩ و ١٩٩٣ بنسبة ٣٠ ٪ (٣٨). من ناحية أخرى تمثل هذه الهجرة إضافة للقوة البشرية الإسرائيلية نظرا لتأهيلها العالي مما سيكون له تأثير إيجابي على المدى البعيد من جهة رفع مستوى التركيب المهاري لقوة العمل الإسرائيلية (٣٩) ولذا يساعد على تطوير وتوسيع البنية الاقتصادية والعلمية لإسرائيل شريطة توفر الموارد المالية لتحقيق ذلك .

وفي ظل هذه الحاجة الماسة للموارد المالية تواجه إسرائيل خطر تراجع المساعدات الأمريكية لها، فبرغم تعهد الولايات المتحدة بالإبقاء على حجم المساعدات لإسرائيل في حدودها الحالية وهي ٣ مليار دولار سنويا وعدم تخفيضها إلا أن القيمة الحقيقية للمعونة تناقصت بالفعل وستتناقص بسبب التضخم وتأكل قيمة الدولار الأمريكي بل من المتوقع تراجع قيمتها المطلقة خلال العقد القادم بسبب الأزمة الاقتصادية الأمريكية ومخاطر التضخم الاقتصادي الدولي بين الكتل الاقتصادية الكبرى في عصر ما بعد الحرب الباردة ، وكذلك للزامات الولايات المتحدة تجاه مناطق أخرى في العالم إلا أن هذا لا يعني بآى شكل من الأشكال تخطي الولايات المتحدة عن إسرائيل فداوالات المتحدة حريصة على أمن إسرائيل واقتصادها ، وقد كانت إسرائيل - و سوف تظل إلى زمن طويل -

أهم دعامات السياسة الأمريكية في المنطقة بقدر ما إن البترول العربي هو أهم أهداف هذه السياسة، (٤٠) وبالتالي من الضروري إيجاد صيغ جديدة لضمان أمن إسرائيل ورخائها الاقتصادي . ولعل نموذج ضمانات القروض البالغ قدرها ١٠ مليار دولار والتي منحتها الولايات المتحدة لإسرائيل عام ١٩٩٢ لتحويل عملية استيعاب المهاجرين الجدد هو النموذج الذي سيكون سائدا في المستقبل بالنسبة للمساعدات الأمريكية لإسرائيل .

كذلك قامت الولايات المتحدة ، بحث إسرائيل على انتهاز سياسة الإصلاح الاقتصادي تتجه إلى نظام السوق الحرة بما يساعد على الخروج من أزمة الاقتصادية وذلك عن طريق خفض الضرائب وخصخصة مشروعاتها العامة التي تقارب نحو ١٦٠ مؤسسة وبيع الأراضي المملوكة للحكومة وتقليل التدخل الحكومي في الاقتصاد الإسرائيلي، (٤١) ودمج الاقتصاد الإسرائيلي في الاقتصاد الدولي ، وقد بدأت إسرائيل بالفعل في برنامج للإصلاح الاقتصادي عام ١٩٨٥ ووضعت مؤسسة مالية أمريكية خطة شاملة للخصخصة في إسرائيل عام ١٩٨٨ ، ولكن لم تتحقق إلا بعض الخطوات المحدودة حتى الآن ، وتؤكد إحدى الدراسات صعوبة هذا التحول في إسرائيل نظرا للعقبات التي تعترضها المؤسسات الاقتصادية الضخمة مثل الهندوتوت والمجمع العكسي الصناعي، ومجموعات المصالح للمستفيدة من الوضع القائم وكذلك لأن الآثار الاجتماعية المترتبة على مثل هذه السياسات وخاصة البطالة غير مقبولة سياسيا أو اجتماعيا في إسرائيل (٤٢) وفي الواقع دون هذه السيطرة المركزية للدولة على الموارد الاقتصادية وأوجه استغلالاتها ، والتي تشمل ملكية

الأراضي والمياه والطاقة والمناجم والصناعات العسكرية وتوجيه الاستثمار العام والخاص وتنشيط الصادرات من خلال حزمة من الأدوات المالية والإدارية ، لما أمكن لإسرائيل تحقيق أيا من أهدافها الإستراتيجية .

إلا أن الصيغة الأكثر أهمية لحل معضلات إسرائيل الاقتصادية هي إقامة تصوية سلمية تنهى عزلة إسرائيل الإقليمية والدولية ، ويسمح بنجاح في إطار إقليمي شرق أوسطي وإقامة تعاون اقتصادي إقليمى مع شرق شرق أوسطية في مرحلة لاحقة تمثل فيها إسرائيل موقعا مركزيا ومسطرا ويتيح لها تحقيق نمو اقتصادى سريع من خلال علاقاتها غير المتكافئة مع محيطها العربى .

أهم قطاعات الاقتصاد الإسرائيلي والتسوية السلمية:

وهناك مكاسب كثيرة سيجنيها الاقتصاد الإسرائيلي وقطاعات الإنتاجية المختلفة (و التي بدأ يجنى بعضها بالفعل) من جراء إبرام اتفاقات سلام مع الدول العربية (وفقا للشرط الإسرائيلية والغربية) وبهدف إقامة تعاون اقتصادى معها .

فبالنسبة للزراعة الإسرائيلية ، يصترض نموها وتطورها قلة الموارد المائية والأراضي والمعالجة الرخيصة والأسواق ويساهم قطاع الزراعة بنسبة ٢,٤ ٪ في صافي الناتج المحلي ويستوعب حوالى ٣,٥ ٪ من القوة العاملة (٤٣) . وقد تمكنت الزراعة من تحقيق أهدافها في مجال الاعتماد على النفس ، ومواجهة حاجات الصناعة والاستخدام المنزلى والمعنى لمجم مزايد من السكان من خلال ترشيد استخدام موارد المياه المحدودة وبذلك جهود مكثفة لزيادة هذه الموارد عن طريق التطور التقنى (وكنذلك لتوسع العدوتوى عام ١٩٩٧) (٤٤) .

كذلك يقدم العالم العربي سوقا كبيرا لفائض الإنتاج الزراعى الإسرائيلي حيث يعاني العالم العربى من عجز فى توفير منتجاته الزراعية والغذائية نتيجة النمر السكانى وضغط وتأثير نمو الزراعة العربية، وبالتالي فإن وارداته الزراعية مرشحة للتوسع، ورغم أن أغلب الصادرات الزراعية الإسرائيلية تتجه أساسا إلى سوق المجموعة الأوروبية إلا أنها تواجه منافسة شديدة فى هذه الأسواق كما أن حسابات الجدوى الاقتصادية تظهر أنفضلية تصدير المنتجات الإسرائيلية لبلدان العالم الثالث وبلدان الوطن العربى على وجهه الخصوص نظرا لقربتها من إسرائيل وتغلب قطاعها الزراعى. وإلى جانب المنتجات الغذائية والزراعية ستشطب الشركات المنتجة لمعدات الري والأسمدة والمواد الكيماوية والشركات الهندسية فى تصدير السلع والمواد الاستثمارية إلى العالم العربى (٤٩).



أما بالنسبة للصناعة الإسرائيلية فهي تعتبر القطاع الرائد فى الاقتصاد الإسرائيلى وتساهم بنسبة ٢١,٨ ٪ فى صافى الناتج المحلى الإسرائيلى عام ١٩٩٠، وتمثل الصادرات الصناعية ٩١ ٪ من إجمالى الصادرات بما فيها صادرات الماس (٥٠) كما تسرع بثالث القوة العاملة فى إسرائيل. وقد شهد هيكل الإنتاج والتصدير الصناعى الإسرائيلى تحولاً سبق الإشارة إليه. وأهم العقبات التى تقف أمام تطور الصناعة الإسرائيلية هي محدودية الأسواق المتاحة أمامها ونقص الموارد والخامات ونقص اليد العاملة غير الماهرة مقابل فيض العمالة المؤهلة (٥١).

فبسبب عزلة إسرائيل عن محيطها الطبيعى، والمقاطعة العربية، اعتمدت إسرائيل على الأسواق البعيدة لتصريف إنتاجها والحصول على وارداتها من خامات ومستلزمات إنتاج. ومن العوامل

العربية لإسرائيل مصادر جديدة للمياه خاصة فى ظل خطورة الوضع المائى فى المنطقة، وأحتمالات عدم كفاية الموارد المائية لاحتياجات إسرائيل عام ٢٠٠٠ وقد وضعت إسرائيل بالفعل خططا لاستغلال المياه العربية وعلى رأسها خطة لاستغلال مياه نهر النيل عن طريق ترعة السلام المتحدة من دمياط عبر سيناء لرى صحراء النقب ثم غزة والضفة الغربية ومناطق المناطق داخل إسرائيل. كما ترى إسرائيل إمكانية التعاون مع الأردن فى تخزين مياه نهر اليرموك فى بحيرة الجليل والتعاون مع لبنان فى الاستفادة من نهر اللطانى ثم مشروع أنابيب السلام لنقل المياه من تركيا إلى إسرائيل عبر أنابيب ويلاحظ الصدارة التى احتلها البنود الخاصة بالمياه والتعاون فى تسمية هذا المورد فى اتفاق إعلان المبادئ للفلسطينى - الإسرائيلى وكذلك فى اتفاقية السلام الأردنية - الإسرائيلية .

ويغفل العلم والبرسنة والمكننة تم رفع الإنتاجية الزراعية مع هبوط نسبة العاملين فى الزراعة وارتفاع إنتاجية العامل، كما اتجهت إسرائيل إلى تنويع إنتاجها الزراعى وارتفاع إنتاجية العامل، كما اتجهت إسرائيل إلى تنويع المنتجات الزراعى والتخصص فى بعض المنتجات الزراعية الجديدة ذات القدرة التصديرية العالية والمربود العالى مثل القطن وقصب السكر والأفوكادو وغيرها من الحشائر الاستوائية والزهرة وتصدير الخضراوات فى غير موسمها وخاصة إلى أوروبا (٥٥) وتشكل الصادرات الزراعية حوالى ٥ ٪ من إجمالى الصادرات الإسرائيلية عام ١٩٩٢ (٤٦) وتعتبر «قلة الموارد المائية وارتفاع تكاليف الري من أهم العوامل التى انعكست بصورة سلبية على الزراعة الإسرائيلية وخاصة على كلفة إنتاجها، وبالتالي على قدرتها التنافسية فى السوق العالمية» (٤٧). والتصوية السلمية وإقامة تعاون إقليمي مع الدول العربية يوفران للقطاع الزراعى كثيرا من العناصر التى يفتقدها. فعلى حين تفتقر إسرائيل إلى المساحات اللازمة لتوسع للزراعى مع امتلاكها فائض من الخبرة الزراعية للعالية يمانى الوطن العربى من بطلانة متقدمة فى قطاعه الزراعى وقلة الإنتاجية للعامل الزراعى وفيض السكان الزراعيين وفيض من الأرض الزراعية حيث إن ٢٥ ٪ فقط من المساحات القابلة للزراعة مزرورة (٤٨) وهذا يفتح مجالاً للاستثمار الإسرائيلى الزراعى من خلال إقامة مشاريع زراعية مشتركة فى الأرض العربية يوجه إنتاجها للتصدير سواء داخل العالم العربى أو خارجه وتستخدم فيها العمالة العربية الرخيصة، وكذلك الخبراء الزراعيين الإسرائيليين، مما يساهم فى حل مشكلة فائض العمالة الماهرة لدى إسرائيل. كذلك يوفر العالم

التي ساعدت إسرائيل في تصريف انتاجها الصناعي الاتفاقات التجارية الثلاثية التي تلحها معاملة تجارية تفضيلية حيث تعد إسرائيل الدولة الوحيدة في العالم التي تجمع بين اتفاقيتين ثنائييتين مع كل من السوق الأوروبية المشتركة (وقعت عام ١٩٧٥) ومع الولايات المتحدة الأمريكية (وقعت عام ١٩٨٥) في آن واحد، كما تربطها اتفاقية ثالثة مع دول الـ ألتا الأوروبية وقعت عام ١٩٩٢. وتعتمد إسرائيل على الأسواق الأوروبية والأمريكية لمد صناعيتها بالخامات ولتصدير منتجاتها حيث استوردت من هذه الأسواق عام ١٩٩٢ ٦٤ % من مجمل وارداتها وصدرت لها ٥٨,٥ % من مجمل صادراتها (٥٢). ومع ذلك تلوّج السلع الإسرائيلية منافسة شديدة في الأسواق الأوروبية والأمريكية نظرا لارتفاع كلفة الإنتاج الإسرائيلي بسبب ارتفاع المحتوى الاستيرادي لصناعات التصدير وارتفاع كلفة مدخلات الإنتاج والسلع الاستثمارية والتي تأتي أساسا من الأسواق الأوروبية والأمريكية وتشكل ٧٠ % من واردات إسرائيل، وأسواق الدول النامية (بما فيها الأسواق العربية) تعتبر أكثر ربحية بالنسبة لإسرائيل (٥٣) حيث نجد أن ٨٠ % من المعجز في الميزان التجاري الإسرائيلي يحدث من خلال تجارة إسرائيل مع دول المجموعة الأوروبية وحدها وهي أكبر شريك تجاري لإسرائيل على مستوى الكتل الاقتصادية في حين يسجل الميزان الفائضا في تجارتها مع الدول النامية. وقد كانت أسواق الدول النامية من أهم أسواق صناعة السلاح الإسرائيلي، وتعد صناعة السلاح الإسرائيلية والصناعات الإلكترونية المرتبطة بها من أهم الصناعات الدافعة للنمو في القطاع الصناعي وتوسع عوابع وحدها ٤٠ % من القوة العاملة للصناعة،

وتمثل صادرات السلاح أكثر من ربع الصادرات الصناعية الإسرائيلية حيث بلغت سلويا حوالي ١,٢ مليار دولار (٥٤) وقد حققت هذه الصادرات خلال السبعينيات وحتى منتصف الثمانينيات مبيعات كبيرة وتوفرت أسواق التصريف في أمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا وإيران وجنوب شرق آسيا وغرب أوروبا كذلك (٥٥). لكن مع انتهاء الحرب الباردة وتراجع الإنفاق العسكري في كثير من الدول وفزايد المنافسة في سوق السلاح للدولية، تراجعت صادرات السلاح الإسرائيلية حيث وصلت خسائر صناعة السلاح الإسرائيلية عام ١٩٩٣ إلى ٢,٣ مليار شيكل (حوالي ٩٤٠ مليون دولار) كما تم تسريح آلاف العمال (٥٦) ونظر لأهمية ونقل هذا القطاع سواء في الصناعة الإسرائيلية أو في الاقتصاد الإسرائيلي بشكل عام يمثل أي تراجع فيه خطورة اقتصادية واجتماعية. ونظرا لأن تجارة السلاح الدولية تخضع إلى حد كبير للاعتبارات السياسية، فالتسوية السلمية ستتيح لإسرائيل تدوير وتوسيع نشاطها في هذا المجال (٥٧) وبالفعل مع بداية خطوات التسوية السلمية بانقاد مؤتمر مدريد ثم تراجع المقاطعة العربية نجحت إسرائيل في إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع عدد من دول العالم الثالث من كانوا يرفضون التعامل مع إسرائيل تضامنا مع القضية العربية وعلى رأسهم الهند التي فقدت أهم مورد للسلاح لها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وقد نجحت إسرائيل في إقامة تعاون عسكري بين البلدين والاتفاق على عدد من المشاريع المشتركة في صناعة الصواريخ الباليستية بعيدة المدى وصواريخ جو جو والطائرات المقاتلة والطائرات بدون طيار (٥٨) كما أن العلاقات العسكرية السرية التي كانت تقيمها إسرائيل مع عدد من دول العالم الثالث مثل الصين - والتي يبلغ حجم

تجارة السلاح بينها وبين إسرائيل مليار دولار سنويا (٥٩) - وأندونيسيا قد تشهد تطورا أكبر مع التسوية السلمية.

ويذهب بعض الباحثين العرب إلى احتمال توجيه الصناعة العسكرية الإسرائيلية إلى الأسواق العربية في «التسوية السياسية للصراع العربي- الإسرائيلي»، وفق ميزان القوى القائم وفق الشروط الأمريكية الإسرائيلية، تعنى إخضاع المنطقة العربية - بمعاملات موقعة - للهيمنة الإسرائيلية - الإسرائيلية وعلى الأخص للهيمنة على السوق العربية بما فيها سوق السلاح، وأن هذه الوضعية تقود إلى الإشراف الأمريكي الإسرائيلي على التسليح العربي. وكما أن الولايات المتحدة اليوم لا تبغ للعرب أسلحة تشكل خطرا على الوجود الإسرائيلي فإن مبيعات السلاح الإسرائيلية (المحتملة) لن تكفي بشرط عدم تشكيل خطر على جودها وإنما ستدفع إلى استخدامها في حروب إقليمية ومحلية ثانوية تعزز من النفوذ الأمريكي - الإسرائيلي للقائض في المنطقة العربية وتجارة السلاح الإسرائيلية بتدخلاتها العالمية مرشحة لتحقيق فوائد كبرى في حال تمكينا من ممارسة بيع الأسلحة للدول العربية في ظل حالة البدلية التي تعيشها الصناعة العربية العربية وفي ظل ارتفاع وتائر الإنفاق العسكري العربي ... وستحقق إسرائيل (من وراء ذلك) ... علاقة تبعية الدول العربية المركز الإسرائيلي - الإمبريالي العالمي (٦٠).

وتمثل أسواق الدول العربية التي يبلغ تعداد سكانها ٢٠٠ مليون نسمة أسواقا طبيعية وقريبة للصادرات الإسرائيلية وعلى رأسها الصادرات الصناعية. فهيكلا الاقتصاد العربي يهيم عليه قطاعات للنشاط الأولي مثل الزراعة والصناعات الاستخراجية، كما يهيم هيكل الصناعة العربية بالتسارع قباصة

الصناعات الاستهلاكية مقابل الاعتماد على الخارج لتوفير السلع الوسيطة والسلع الرأسمالية اللتين تحتكر الدول الصناعية المتقدمة والشركات المتعددة الجنسيات إنتاجهما ، (٦١) .

فقد بلغ حجم الواردات للعربية عام ١٩٩١ (١١٢,٢) مليار دولار ٧٣٪ منها من المصنوعات وعلى رأسها السلع الرأسمالية مثل الآلات ومعدات النقل ومصنوعات أخرى (٦٢) وتنتج إسرائيل ٦٠٪ من هذه البضائع وبخاصة السلع الكهربائية والإلكترونية والملابس والأجهزة الطبية والمعدات الزراعية وأجهزة الاتصال وبرامج الكمبيوتر مما يعنى أن السوق العربية تشكل مجالا حيويا لتصريف المنتجات الإسرائيلية . وتضع إسرائيل أنظارها بشكل خاص على أسواق دول الخليج نظرا لأنها تمتلك القوة الشرائية الحقيقية في المنطقة . فقد وصل حجم واردات دول الخليج عام ١٩٩٠ إلى ٤,٩٦ مليار دولار بالمقارنة بـ ١٥,٣ مليار دولار هي واردات مصر والأردن وسوريا والأراضي الفلسطينية المحتلة مجتمعة ، ومن ثم من ضمن الأفكار الإسرائيلية المطروحة أنه في حالة قيام منطقة للتجارة الحرة بين إسرائيل والأردن والكيان الفلسطيني الجديد (وهو ما أصبح قريبا جدا من التحقق) سيكون أهم مكاسبها إقامة مشاريع مشتركة لإنتاج سلع للتصدير موجهة خصيصا لأسواق الخليج (٦٣) .

من ناحية أخرى لا تضع الصناعة الإسرائيلية أنظارها فقط على الأسواق العربية بل أيضا على أسواق كخبرة من دول العالم الثالث ، والتي كانت منطقة أمام منتجاتها (ولو بشكل على) بسبب المقاطعة العربية وتضمن كبير من هذه الدول مع القضية الفلسطينية والعربية . وكما أسلفنا الذكر نجحت إسرائيل بعد تسارع التسوية السلمية في الشرق الأوسط وتراجع المقاطعة العربية وبالإضافة إلى



التحولات الجارية على الساحة الدولية في الخروج من عزلتها السياسية والاقتصادية وتوسيع دائرة علاقاتها الدولية مع عديد من دول آسيا وأفريقيا وأوروبا الشرقية والجمهوريات السوفيتية السابقة ، وعلى رأسها دول مثل الصين والهند وفيتنام وأندونيسيا . وقد زادت الصادرات الإسرائيلية المتجهة إلى دول جنوب شرق آسيا وشرق أوروبا بنسبة ٢٤ ٪ بالمقارنة بزيادة قدرها ٢ ٪ فقط بالنسبة للصادرات الإسرائيلية المتجهة لأسواقها التقليدية في دول المجموعة الأوروبية ونول الأتفا عام ١٩٩٢ (٦٤) وقد زادت الصادرات الإسرائيلية إلى آسيا خلال عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٤ وأصبحت تشكل الآن ١٢,٨ ٪ من مجمل الصادرات الإسرائيلية في حين كانت هذه النسبة ٨,١ ٪ فقط عام ١٩٩٢ كما زادت الصادرات الصناعية خلال الـ ٩ أشهر الأولى من عام ١٩٩٤ ماعدا للـ ١٢,٣ ٪ على ما كانت عليه عام ١٩٩٣ (٦٥) .

وقد زاد حجم التبادل التجاري (غير العسكري) بين إسرائيل والصين مثلا عام ١٩٩٣ إلى ٨٧ مليون دولار بزيادة قدرها ٥٥ ٪ بالمقارنة بعام ١٩٩٢ (٦٦) وهذا الحجم من التبادل قريب من رقم التبادل التجاري بين مصر والصين (١٠٠ مليون دولار) رغم قدم العلاقات التجارية ، ويرى الصينيون أن إلغاء المقاطعة العربية لإسرائيل سوف يتيح فرصة مناسبة لتطوير - أو تدويل كما يقولون - علاقاتهم التجارية مع الإسرائيليين (٦٧) . تجما تضاعف حجم الصادرات الإسرائيلية إلى الهند عام ١٩٩٣ بالمقارنة بحجم ١٩٩٢ حيث وصلت قيمتها إلى ٦٢ مليون دولار وتسمى الهند إلى زيادة الاستثمارات والتجارة المشتركة مع إسرائيل للحصول على مزيدا من المعاملات التكنولوجية لإسرائيل في أوروبا والولايات المتحدة إذ إن أي سلعة بها مكون إسرائيلي نسبته ٣٥ ٪ فما فوق تعامل معاملة تفضيلية في الأسواق الأمريكية والأوروبية .

وتعتمد إسرائيل إلى هذه الدول السماد والكيماويات ومعدات الرى والأجهزة الطبية وكذلك المعدات العسكرية والمتطورة كما أشرنا من قبل ، أما اللامس فيشكل ٧٠ ٪ من قيمة الصادرات الإسرائيلية إلى اليابان . ويبدو أن تجارة إسرائيل مع الدول الآسيوية مرشحة للزيادة في السنوات القادمة خاصة مع تسارع التسوية السلمية ومع مجهودات رجال السياسة والصناعة الإسرائيليين لاختراق هذه الأسواق .

كذلك تغتفر الصناعة الإسرائيلية إلى الموارد الطبيعية الرخيصة والقريبة نظرا لافتقار إسرائيل لهذه الموارد وعزلتها عن محيطها الطبيعي واعتمادها على استيراد الخامات اللازمة لمصانعها من الأسواق البعيدة وبأثمان عالية حيث تستورد ٦٢ ٪ من مجمل وارداتها للخام من الولايات

المتحدة وأوروبا الغربية (٦٨). وتصل مدخلات الإنتاج أكثر من ٧٠٪ من واردات إسرائيل - من بينها الوقود الذي يمثل ١٠٪ من الواردات - والسلع الاستثمارية ١٥٪ (٦٩). وكثير من هذه الخامات متوفرة في الدول العربية المحيطة ويمكن أن تحصل عليها إسرائيل بتكاليف أقل. وربما أهم هذه الخامات على الإطلاق النفط والتي تحتاجه إسرائيل لتوفير احتياجانها المدني والعسكري من الطاقة وخاصة لتغذية محطات الكهرباء بمنتجات البترول مثل المازوت والسيال، ولتغذية الصناعات البتروكيمياوية الإسرائيلية. وتستورد إسرائيل ٩٨٪ من احتياجاتها من النفط التي تبلغ حوالي ١٠ر٣٩ مليون طن عام ١٩٩٢. وتوفر مصر بموجب اتفاقية السلام المبرمة مع إسرائيل ٢ مليون طن سنوياً أو حوالي ٢٠٪ من احتياجات إسرائيل من النفط. أما باقي احتياجاتها فتحصل إسرائيل عليها من مصادر أخرى بعيدة وخاصة من المكسيك (٧٠) مما يشكل تكلفة إضافية، في حين أنه من الممكن توفير هذه الكميات من الدول العربية الأخرى عبر الأنابيب وبكلفة أقل. وقد وضعت إسرائيل بالفعل خططاً ومشروعات لتزويد إسرائيل بالنفط والغاز العربيين وكذلك لربط شبكات الطاقة الكهربائية بينها وبين مصر والأردن ولبنان وقبالة مشاريع مع لبنان والأردن لاستغلال الطاقة الهيدروإلكتريكية (٧١). وقد وقعت إسرائيل بالفعل اتفاقيتين لنقل الغاز مع كل من قطر ومصر عبر الأنابيب وسوق الغاز القادم من مصر بتغذية الصناعات كثيفة الطاقة في إسرائيل، وكذلك محطة توليد الكهرباء في أشدود وسيتم ذلك بتنمية منطقة النقب التي أصبحت مركزاً لاستدعاء وتوطين المهاجرين اليهود الجدد من أفريقيا والصومال واليمن.

كما تضمن اتفاق إعلان المبادئ الموقع مع منظمة التحرير الفلسطينية

وكذلك اتفاق السلام مع الأردن بنوداً حول التعاون في مجال الطاقة ونقل النفط والغاز ونص الاتفاق مع الأردن على التنفيذ الفوري، للربط المشترك لشبكات الكهرباء في منطقة إيلات - العقبة، مع اعتبار هذه الخطوة جزءاً من مفهوم ثلاثي وإقليمي أوسع (٧٢).

كما نص الاتفاق مع الفلسطينيين على مشروع قناة ربط البحرين المتوسط واليتم وهو مشروع يهدف إلى بناء نظام طاقة هيدروإلكتريكية عن طريق ربط البحر المتوسط والبحر الميت بقناة تنتهي في غزة واستغلال الفارق الكبير في الارتفاع بين البحرين لتوليد طاقة كهربائية تقدر بأكثر من ٦٠٠ ميجاوات. وهناك مشروع آخر مطروح أيضاً بين الأردن وإسرائيل لربط البحر الأحمر والبحر الميت لتوليد الطاقة الكهربائية وكذلك للحصول على المياه العذبة للرى والصناعة في الأردن وإسرائيل وفلسطين (٧٣).

كذلك تنفق الصناعة الإسرائيلية على العمالة غير الماهرة حيث تنسم قوة العمل الإسرائيلية بارتفاع نسبة قوة العمل عالية التأهيل من قوة العمل اليهودية. وقد تضاعف حجم المهندسين والعلماء والأكاديميين منذ عام ١٩٦٠ كما زاد عدد المديرين والإداريين بنسبة ٣٩٪. وقد تضاعفت نسبة المهندسين العاملين في الصناعة من ١٠ر٢٪ من إجمالي العاملين عام ١٩٧٢ إلى ٣٪ عام ١٩٨٣ و٣ر٣٪ عام ١٩٨٥. كما شك المهندسون ٥٧٪ من العاملين في الصناعات الإلكترونية والنقل (٧٤).

وقد كان افتقار إسرائيل لحجم كافٍ من العمالة غير الماهرة يعنى تهديد الطاقة البشرية حيث توظف الأيدي العاملة عالية التأهيل في أعمال أقل كفاءة ومن ناحية أخرى كانت السبب في نزوح وهجرة الكفاءات العالية التي أصبحت

تشكل عماد الهجرة المضادة من إسرائيل، وقد أتهم استخدام العمالة العربية القائمة من الأراضي العربية المحتلة عقب حرب ١٩٦٧ في حل جزء من أزمة النقص في اليد العاملة غير المؤهلة وأتاحت الفرصة للعمالة اليهودية للعمل في مجالات تخصصها (٧٥) كما سبق أن أشرنا.

وقد تضررت كثير من القطاعات الإنتاجية والصناعات الإسرائيلية التي تعتمد على العمالة العربية والذين وصل عددهم إلى حوالي ١٢٠ ألف عامل فلسطيني يعملون داخل إسرائيل مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، وخاصة الصناعات المتخصصة في معدات البناء. ولم تنجح محاولات إسرائيل لإيجاد مصادر بديلة للعمالة العربية من بين العاطلين من المهاجرين الجدد ذوي التأهيل العالي، أو حتى المحاولات للاستعانة بالعمالة الأجنبية. والتسوية السلمية تتيح لإسرائيل استمرار استغلال هذه العمالة الرخيصة (وغيرها من العمالة العربية حيث تعاني أغلب البلدان العربية من فوضى في قوة العمل المدنية) (٧٦) القادرة على القيام بالأعمال الصعبة ضعيفة الأجر التي يرضى القيام بها العاطلون من الإسرائيليون والمهاجرين الجدد. وكان قد سبق ترقيع إعلان المبادئ للفلسطيني/ الإسرائيلي أن خططت إسرائيل لإقامة مناطق صناعية متعددة الأغراض داخل الأراضي المحتلة والقرب من الخط الأخضر مما يسمح لإسرائيل باستمرار استغلال العمالة العربية كون استقدامها داخل إسرائيل. واتفاق غزة أريحا بشروطه وينود يعمل باستمرار هذا النمط من الاستغلال في إطار استمرار العلاقة غير المتكافئة بين الاقتصاديين: الفلسطيني والإسرائيلي (٧٧) واتفاق السلام مع الأردن سيوقع إسرائيل استغلال العمالة الأردنية كذلك.

بل إنه في دراسة لباحث إسرائيلي نجد أنه «في إطار إقامة منطقة للتجارة الحرة بين إسرائيل والكيان الفلسطيني

ملحوظ وفتح أسواق غير تقليدية في دول آسيا وشرق أوروبا ، وقد زاد حجم الصادرات ١٩٪ عام ١٩٩٣ . وتعتبر الزيادة في الصادرات أحد الأسباب الرئيسية - إلى جانب عوامل أخرى - في زيادة معدلات النمو الاقتصادي الإسرائيلي حيث حقق الناتج المحلي الإجمالي أعلى معدل للنمو منذ عام ١٩٧٧ حيث بلغ ٦٫٤٪ عام ١٩٩٢ . ومن المتوقع أن تنمو الصادرات الإسرائيلية في حدود ٨ - ٩٪ عام ١٩٩٥ وهي المعدلات نفسها التي تحققت خلال عام ١٩٩٤ (٨٤) .



وفي الوقت ذاته زاد حجم الواردات بنسبة ١٠٫٥٪ عام ١٩٩٣ نتيجة زيادة الواردات من مدخلات الإنتاج والسلع الاستثمارية التي من المتوقع زيادة حجمها خلال السنوات القادمة نظرا لحجم الاستثمارات المطلوبة لاستيعاب المهاجرين الجدد (٨٥) .

وقد كانت أحد المكاسب التي حققتها إسرائيل بعد توقيع اتفاق غزة/ أريحا البدء في التفاوض مع المجموعة الأوروبية بشأن إبرام اتفاق شراكة يستجيب لطلبات إسرائيل لتطوير اتفاقية التجارة الحرة المبرمة بينهما بحيث يسمح

بتوسيع التعاون العلمي والتكنولوجي وتحرير الخدمات ومساهمة مؤسسات إسرائيلية في أسواق التعاقدات العامة الأوروبية . وقد بدأت المجموعة الأوروبية هذه المفاوضات مع إسرائيل مكافأة لها للتقدم في عملية السلام . وفي حال إبرام هذه الاتفاقية ستزيد صادرات إسرائيل إلى المجموعة الأوروبية وبالتالي يتم تخفيض عجزها التجاري مع المجموعة والمقدّر ب ٥ مليارات دولار أو ٨٠٪ من العجز التجاري الإسرائيلي (٨٦) .

وتسعى إسرائيل في حال إقامة سوق شرق أوسطية أو أي ترتيبات أخرى

إسرائيل وتعتبر سياسة التثمين بالعجز أحد أركان السياسة الاستثمارية الإسرائيلية منذ عام ١٩٥٠ (٨١) ورغم تزايد العجز إلا أن نسبة تغطية الصادرات للواردات اتجهت نحو التحسن على مر السنين (برغم بعض التذبذب) حيث زادت من ٢٢٪ عام ٥٠ إلى ٨٥٪ عام ١٩٨٥ . ويلاحظ أن التحسن في هذه النسبة ترافق مع حرب ٦٧ وحصول إسرائيل على مصادر من الخامات والعمالة الرخيصة وسوق لتصريف منتجاتها مما يدل على أهمية علاقاتها مع الأسواق المحيطة بها لتجارز مصاعب ميزانها التجاري (٨٢) . كذلك ترافق مع إبرام إسرائيل اتفاقية التجارة الحرة مع السوق الأوروبية عام ١٩٧٥ ثم اتفاقية التجارة الحرة مع الولايات المتحدة عام ١٩٨٥ (٨٣) .

وقد ساهمت التسوية السلمية وتراجع المقاطعة العربية كما أبلغنا الذكر في زيادة الصادرات الإسرائيلية بشكل

والأردن ، سيحتج الجانبان الفلسطيني والأردني بعميزة نسبية في بعض القطاعات مثل الزراعة وبعض صناعات المنسوجات والبلاستيك وغيرها من الصناعات المعاللة بفنل رخص الأيدى العاملة . ومن هنا سيكون من الأفضل اقتصادياً لإسرائيل للتخلي عن هذه الصناعات التي تحتاج إلى دعم كبير لكي تكون قادرة على المنافسة في الأسواق العالمية ، وبالحالي من الطبيعي أن تختفي مع الوقت . ولكن مقابل ذلك على الشريكين الفلسطيني والأردني أن يشتريا من إسرائيل الخبرة التكنولوجية والسلع المطلوبة ، مثل الأجهزة الطبية وأجهزة الاتصالات والمعدات الصناعية والمزالق سابقة التجهيز (٧٨) أي أن إسرائيل تخطط لإجراء تقسيم إقليمي للعمل يقضي باحتكار إسرائيل للصناعات المتقدمة والخصص في المجالات المتطورة تكنولوجياً وكثيفة المهارة القادرة على استيعاب عمالتها عالية التأهيل في حين يخصص الجانب العربي في المجالات التي تحتاج عمالة كثيفة غير ماهرة .

أما بالنسبة للتجارة الخارجية الإسرائيلية فهي تمثل أهمية خاصة لإسرائيل لأنها تعاني من ضيق السوق والنقص الشديد في الموارد الطبيعية ، ويعكس ذلك في نسبته للواردات والصادرات من إجمالي الناتج القومي والتي تصل إلى ٧٥٪ (٨٩) وتصل إلى إسرائيل من عجز مزمن في الميزان التجاري والذي يعكس الحجم الضخم للإنفاق العسكري وضرورة استيراد الخامات ومدخلات الإنتاج والافتقار لمناطف التصنيع . وقد زاد العجز في الميزان التجاري من ١ مليار دولار عام ١٩٩٢ إلى ٢٫٢ مليار عام ١٩٩٣ (٨٠) وفاض الاستيراد يمثل المصدر الرئيس لتحويل عملية التراكم للرأسمالي في

للتعاون والتجارة الإقليمية إلى أن تحول إلى مركز إقليمي لتجارة الترانزيت والمواسلات والسياحة نظراً لموقعها الجغرافي المتميز والذي يجعلها معبراً بين المغرب العربي والشرق العربي وكذلك بين العالم الخارجي - وخاصة المجموعة الأوروبية والولايات المتحدة - أكبر شريكين تجاريين لإسرائيل - والعالم العربي، وهناك خطط عديدة لإقامة شبكة من الطرق وسكك الحديد والطارات والموانئ لربط دول المنطقة بعضها ببعض وربط المنطقة بأوروبا وأفريقيا، وقد أتاح اتفاق غزة / أريحا وكذلك معاهدة السلام مع الأردن لهذه في هذه الخطط وخاصة إقامة شبكة الطرق وبالتحديد طريق يربط بين مصر والأردن ويمر عبر إسرائيل ومشروع دمج مدينتي العقبه وإيلات وتطور هذه المنطقة تجارياً وسياحياً حيث يأمل الإسرائيليون في إنشاء مثلث سياحي تكون أطرافه إيلات، ومرفأ العقبة الأردني، ومتنجم طابا المصري (٨٧) . وتلعب السياحة دوراً مهماً في الاقتصاد الإسرائيلي باعتبارها مصدراً مهماً للسيولة النقدية من العملة الصعبة حيث زاد إيرادها من متوسط مليار دولار في السنة خلال أوائل الثمانينيات إلى ١٦ مليار دولار عام ١٩٨٧ (٨٨) أعقبه انخفاض حاد بسبب الانتفاضة الفلسطينية ثم حرب الخليج، لكن مع التحول في عملية السلام انتعشت السياحة الإسرائيلية ووصلت إيراداتها إلى ١٩ مليار دولار عام ١٩٩٢ ثم إلى ٢٢ مليار عام ١٩٩٣ (٨٩) .

وقد ساعد على هذا الانتعاش أيضاً تدهور السياحة في مصر وتركيا بسبب الإرهاب . وتأمل إسرائيل بفضل المشاريع السياحية الإقليمية العديدة المطروحة أن تكون في مقدمة الدول السياحية في العالم وأن تفوق إيراداتها من السياحة ٣ مليارات دولار سنوياً (٩٠) .

وتقول إسرائيل رصيد الاستيراد عبر التحويلات من طرف واحد وتعد الحكومة الأمريكية المصدر الرئيس لهذه التحويلات حيث وصل حجم المساعدات الأمريكية لإسرائيل خلال الفترة ٤٩ - ٩١ ٥٣ مليار دولار - أما العجز في الحساب الجاري فتموله إسرائيل عبر الاقتراض حيث وصل إجمالي ديون إسرائيل الخارجية عام ١٩٩٢ / ٢٣ مليار دولار في حين أن صافي الدين الخارجي بلغ ١٤٧ مليار دولار أو ٢٧٪ من إجمالي الناتج القومي بالمقارنة ٨٠٪ عام ١٩٨٥ و ٣١٪ عام ١٩٩٠ (٩١) .

ويرغم أن إسرائيل تتميز بأعلى نسبة مديونية للفرد في العالم إلا أن هذه المديونية لا تشكل عبئاً حقيقياً نسبياً نظراً لأن ٧٣٪ من هذه الديون للحكومة الأمريكية أو لأصدقاء إسرائيل من أعضاء الجماعات اليهودية في العالم وغيرهم من الأفراد والمؤسسات في شكل سندات إسرائيلية، وبشروط ميسرة وحصول إسرائيل على ضمانات القروض من الولايات المتحدة عام ١٩٩٢ وبالبالغ قدرها ١٠ مليار دولار سيسهل لها عملية الاقتراض الخارجي وبشروط ميسرة وبالتالي لن تشكل الزيادة في عجز الحساب الجاري الذي بلغ ١٣ مليار دولار عام ١٩٩٣ والمتوقع أن يبلغ ٢٣ مليار دولار خلال عامي ٩٤ و ٩٥ ضغطاً على ميزان المدفوعات حيث سيكون من الممكن تمويله من خلال ضمانات القروض (٩٢) .

ومن اللا - مليار دولار التي ستحتاجها إسرائيل لتمويل عملية استيعاب المهاجرين الجدد ستتمكن إسرائيل من تدبير ٣٠ مليار دولار محلياً و ١٠ مليار دولار بفضل ضمانات القروض الأمريكية . ويتبقى ١٠ مليار دولار على إسرائيل أن تدبرها بجهدها الذاتية من الأسواق المالية الدولية (٩٣) . ويساعد

إسرائيل القيام بذلك رفع درجة جدارتها الائتمانية في أسواق الاقتراض الدولية طويلة الأجل والذي ثم عصب توسيع إسرائيل لانفتاحها مع منظمة التحرير الفلسطينية مما يسمح لها بالاقتراض من هذه الأسواق باسمها دون الحاجة إلى ضمان الولايات المتحدة الأمريكية لهذه القروض وهو ما كان ضرورياً من قبل، إلا أن الاقتراض من هذه الأسواق لن يكون بالشروط نفسها الميسرة ولذلك تضغط إسرائيل بشدة من أجل إقامة بنك إقليمي للتنمية في الشرق الأوسط حيث كان ذلك أحد مطالبها الرئيسية خلال مؤتمر قمة الدار البيضاء خاصة وأنها لا يحق لها الاقتراض من البنك الدولي نظراً لارتفاع مستوى دخل الفرد في إسرائيل وبالتالي ضرورة وجود مؤسسة مالية إقليمية يتم تمويلها دولياً وإقليمياً وتوفر القروض الميسرة لتلبية احتياجات إسرائيل (وغيرها من دول المنطقة) ولتمويل الحجم الضخم من المشاريع الإقليمية المطروحة والتي ستصب في النهاية في خدمة مصالح إسرائيل بالدرجة الأولى .

خلاصة

لقد استطاعت إسرائيل عبر تاريخ وجودها في مطلقاً أن تغطي مشاكلها الهيكلية وأزماتها الاقتصادية المتكررة وأن تحقق تقدماً وتطوراً في كافة قطاعاتها الانتاجية المهمة وذلك بفضل القيادة المركزية للاقتصاد، ووجود قاعدة من العمالة الماهرة من المهاجرين، والدعم الخارجي الضخم لها، والاتفاقات التجارية التفضيلية مع الخارج، وكذلك العدوان العسكري والتوسع الإقليمي . والاقتصاد الإسرائيلي يقف الآن على أعقاب مرحلة جديدة، مرحلة تشهد تحولات عاصفة في البنية الدولية والإقليمية وتقدم لإسرائيل فرصاً عديدة لتحقيق طموحاتها الجديدة / القديمة .

فبانتهاه عزلة إسرائيل الإقليمية والدولية وفتح الأبواب لانطلاقها نحو الأسواق العربية والأسواق الآسيوية وغيرها من أسواق العالم الثالث وتطوير علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع المجموعة الأوروبية وجذب الاستثمارات الخارجية لها، سيكون في إمكان إسرائيل تحقيق تطور في كافة قطاعاتها الإنتاجية الهامة وذلك بفضل القيادة المركزية للاقتصاد، وجود قاعدة من العمالة الصاهرة من المهاجرين، والدعم الخارجى الضخم لها، والاتفاقات التجارية التفضيلية مع الخارج، وكذلك العدوان العسكرى والتوسع الاقليمى، والاقتصاد الإسرائيلي يقف الآن على أعقاب مرحلة جديدة، مرحلة تشهد تحولات عاصفة في البنية الدولية والإقليمية وتقدم لإسرائيل فرصا عديدة لتحقيق لمحواتها الجديدة / القديمة .

فبانتهاه عزلة إسرائيل الإقليمية والدولية وفتح الأبواب لانطلاقها نحو الأسواق العربية والأسواق الآسيوية وغيرها من أسواق العالم الثالث وتطوير علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع المجموعة الأوروبية وجذب الاستثمارات الخارجية لها، سيكون في إمكانية إسرائيل تحقيق تطور نوعى كبير في بنيتها الاقتصادية والعلمية خاصة مع توفر قاعدة جديدة من العمالة عالية التأهل، وفي ظل الترتيبات الإقليمية التي يخطط لها الآن والتي تقتضى بتكرس المرفق المختلف لاقتصادات العربية في التقسيم الدولى والإقليمى للعمل وفي ظل غياب الإرادة السياسية من جانب صانعى القرار العرب بأنجاح تحقيق تنمية مستقلة جماعية واقتحامهم الى رؤية استراتيجية واضحة بالنسبة لمستقبل بلادنا، فإن يكون من الصعب على إسرائيل أن تحقق لمحوها في أن تكون دولة إقليمية عظمى وشريكا للدول للرأسمالية الإمبريالية. ■



هوامش

- ١ - عادل حسين ، التطبيع : السخط الصهيونى للهجرة الاقتصادية . مكتبة مدبري ١٩٨٥ ص ١٢ .
- ٢ - نبيل حيدري ، نظرة مغايرة إلى الاقتصاد الإسرائيلي، شئون فلسطينية العدد ٢٠٨ شيز (يونيو) ١٩٩٠ ص ٦٥ .
- ٣ - نزيهة الأندى - الاقتصاد الإسرائيلي : محدثات الأداء وإنكسارات السلام ، كرايات استراتيجية مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام يناير ١٩٩٤ .
- ٤ - حسين أبو لنبل ، الاقتصاد الإسرائيلي، ص ٨٢ .
- ٥ - المرجع السابق .
- ٦ - ملحم خالد ملحم، «البنى الاقتصادية والسياسية لإسرائيل» للهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ ص ١٧٩ .
- ٧ - نادية زغمت وأحمد بهاء الدين شمسان ، اتفاق غزة أرميا : إصلاح والتكامل السياسية والاقتصادية ، القاهرة ١٩٩٤ ص ١١٨ .
- ٨ - محمود عبد الفضيل «مشاريع للترتيبات الاقتصادية الشرق الأوسط» : التفسيرات - المحاذير - أشكال المواجهة - المستقبل الحزى عدد يناير ١٩٩٤ ص ١٠١ .
- ٩ - ملحم خالد ملحم ، «البنى السياسية والاقتصادية لإسرائيل» ، مرجع سابق ص ١٦٥ .

* يحتفظ بعض الباحثين حول هذا الرقم ويرون أن عدد المهاجرين اليهود لن يزيد كثيرا عن الأعداد التي وصلت بالفعل إلى إسرائيل حتى الآن انظر : عبد الوهاب المسيرى هجرة اليهود السوفيت الهلال ١٩٩٠ .

١٠ - 105 p. Euromoney September 1992
١١ - Economist Intelligence Unit .
Country Report: Israel 3ed Quarter 1994 p.10.
١٢ - 53 p. Economis Octobre 29, 1994
١٣ - عادل حسين للتطبيع مرجع سابق ص ٣٠ .

١٤ - Yair Aharoni, The Israeli Economy: Dreams and Realities (London : Rout ledge) 1991 p.71&74.
١٥ - حسين أبو لنبل ، الاقتصاد الإسرائيلي ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٨ ص ٣٧٢ .

١٦ - المرجع السابق ص ٤٩ .
١٧ - عادل حسين التطبيع المرجع السابق ص ٣١ .

١٨ - 85 p. Aharoni Op Cit
١٩ - حسين أبو لنبل ، الاقتصاد الإسرائيلي، مرجع سابق ص (٢٨١)

٢٠ - نزيهة الأندى ، الاقتصاد الإسرائيلي، مرجع سابق ص ٨ .

٢١ - فؤاد مرسى ، الاقتصاد السياسى لإسرائيل دار المستقبل العربى للقاهرة ١٩٨٣ .

٢٢ - حسين أبو لنبل ، الاقتصاد الإسرائيلي، مرجع سابق ص ٦٢ .

٢٣ - ملحم خالد ملحم «البنية السياسية والاقتصادية لإسرائيل» مرجع سابق ص ٤٤١ .

٢٤ - حسين أبو لنبل ، الاقتصاد الإسرائيلي، مرجع سابق ص ٣١٣ .

٢٥ - Aharoni The Israeli Economy - 293 p.

٢٦ - عادل حسين ، التطبيع، مرجع سابق ص ٢٤ .

٢٧ - EIU Country Profile Israel 1993/ 94 p.29.

٢٨ - Aharoni, The Israeli Economy.. ٧٨ p.8.

٢٩ - The Middle East and North Africa 1993 p. 521.

٣٠ - فؤاد مرسى ، الاقتصاد السياسى لإسرائيل ، مرجع سابق ص ١٣١ .

٣١ - نزيهة الأندى ، الاقتصاد الإسرائيلي ، مرجع سابق ص ٢٤ .

٣٢. - الحياة ١٨/٨/١٩٩٤.
- Aharoni, The Israeli Economy p. ٧٤ - 130.
٣٥. - حسين أبو الرمل ، الاقتصاد الإسرائيلي ، مرجع سابق ص ٣٠٤ .
٣٦. - ملحم خالد ملحم ، البنية السياسية والاقتصادية لإسرائيل ، مرجع سابق ص ١٦٠ .
٣٧. - نادية رفعت وأحمد بهاء شعبان ، اتفاق غزة لربحاً مرجع سابق ص ١٣٢ .
- Ephraim Ahiram, Intra Regional Trade in the Middle East : Obstacles, Cooperan and Perspectives. Seminar on Middle east regional Cooperation Prospects and Problems March 1993.
- EIU Country Profile Israel 1993/ 94p. 32.
- EIU Israel 4th Quarter 1993/p.18.
٣٨. - حسين أبو الرمل ، الاقتصاد الإسرائيلي ، مرجع سابق ص ٢٧٤ .
٣٩. - ملحم خالد ملحم ، البنية السياسية والاقتصادية لإسرائيل ، مرجع سابق ص ١٦٥ .
٣٣. - حسين أبو الرمل ، الاقتصاد الإسرائيلي ، مرجع سابق ص ٢٧٩ .
- EIU 3rd Quarter Israel 1994/p.8
- EIU Israel 4th Quarter 1993/p.27.
٣٦. - نادية رفعت وأحمد بهاء شعبان ، اتفاق غزة لربحاً ، مرجع سابق ص ١٥٥ - ١٥٦ .
٣٧. - الحياة ٢٤/٧/١٩٩٤ .
- The Middle East and North Africa 1993 p. 530.
- EIU Country Profile Israel 1993/ 94 p. 27 and EIU Country report Israel 2 nd Q P. 16.
٣٩. - عماد شحبي ، السلام الإسرائيلي في الوجد الاقتصادي ، شئون فلسطينية العدد ١٩٦ تموز (يونيو) ١٩٨٩ ص ٧٣ . ٧٤ .
- EIU Country Profile Israel 1993/ 94p. 36.
- EIU Country Report Isran I 3rd- ١٢ Quarter pp. 8-9
- Buromoney September 1992- p. ٩٣ 105.
٥١. - ملحم خالد ملحم ، البنية السياسية والاقتصادية لإسرائيل ، مرجع سابق ص ٥٢ .
- EIU Israel no. 1 1993 p. 3.
٥٢. - ملحم خالد ملحم ، البنية السياسية والاقتصادية لإسرائيل ، مرجع سابق.
- Aharoni, The Israeli Economy p. ٥٤ 266.
٥٥. - وزارة الأقتصاد ، الاقتصاد الإسرائيلي ، مرجع سابق ١٩ .
- EIU 3rd Quarter Israel 1994 p. 19.
٥٦. - وزارة الأقتصاد لفرجع السابق.
٥٧. - إسمان عبد الحميد ، إسرائيل حاجات الهند ومشاكلها لتطوير تانزانيا الأمل والأقتصاد ، الحياة ١٥ / ٧ / ١٩٩٣ .
٥٩. - الميزان ١٠/١٠/١٩٩٤ .
٦٠. - ملحم خالد ملحم ، البنية السياسية والاقتصادية لإسرائيل ، مرجع سابق ص ١٧٢ - ١٧٤ .
٦١. - لفرجع لتسابق ص ١٥٤ .
٦٢. - التميز الاقتصادي العربي لفرجع ١٩٩٢ .
- Ephraim Ahiram, Intra- Regional Trade in the Middle East: Obstacles, Cooperation and Perspectives. Paper presented at the seminar on Middle East Regional Cooperation Prospects and Problems, Cairo 29th- 31st March 1993.
٦٤. - نادية رفعت وأحمد بهاء الدين شعبان ، اتفاق غزة لربحاً ، مرجع سابق ص ١٥٢ .
٦٥. - الحياة ٩/١٢/١٩٩٤ .
٦٦. - الميزان ١٠/١٠/١٩٩٤ .
٦٧. - لتمام اليوم ١١/١٢/١٩٩٣ .
٦٨. - ملحم خالد ملحم ، البنية السياسية والاقتصادية لإسرائيل ، مرجع سابق ص ١٥٦ .
- EIU Country Profile 1993/94p. 33.
- EIU Country Profile Israel 1993/ ٧٠ 94p. 23.
٧١. - تشار : حاييم بن شامار وآخرون ، مشروع بحثي لاقتصاديات التجارة في الشرق الأوسط ، جامعة تل أبيب / مؤسسة أرماتد حاضر في المعرفة : استراتيجيات التعامل الإقليمي - رؤية إسرائيلية ، مركز الفلورا للدراسات وللشرف ، للعدنان لتسابق وللخامن ، يناير- فبراير ١٩٩٢ .
٧٢. - الحياة ١٠- من مجلدة السلام الأردنية الإسرائيلية .
- EIU Country Profile Israel 1993/ 94 p. 15.
٣٣. - عبد العزيز الأعرج ، الانتفاضة تصق أزمة الاقتصاد الإسرائيلي ، شئون فلسطينية العدد ١٩٥ حزيران (يونيو) ١٩٨٩ ص ٤٠ .
٣٤. - Keith Kyle and Joel Peters eds., Wither Israel? The Domestic Challenges (Lonon, THE Royal Institute of International Affairs) 1993 p.237
- Ibid, p238.
٣٥. - نادية رفعت وأحمد بهاء الدين شعبان ، اتفاق غزة لربحاً مرجع سابق ص ١١٣ .
٣٧. - وزارة الأقتصاد ، الاقتصاد الإسرائيلي ، مرجع سابق ص ١٦ .
- EIU Country Profile Israel 1993/94, ٣٨ p.16.
٣٩. - محمود عبد الفضيل ، مشاريع الترتيبات الاقتصادية للشرق الأوسطية ، مرجع سابق ص ٩٨ .
٤٠. - حسين هيكل ، حرب الخليج ، أرواح للقرعة وللصبر ، مركز الأرواح للترجمة والنشر القاهرة ١٩٩٢ ص ٦٠٢ .
٤١. - وزارة الأقتصاد ، الاقتصاد الإسرائيلي ، مرجع سابق ص ٢٤ .
٤٢. - Emma Murphy, Structural Inhibitions to Economic Liberalization in Israel, Middle East Journal, v. 48 no. 1 Winter 1994 pp.65 - 88.
- EIU Country Profile Israel 93/94p. ٤٣ 18&20.
٤٤. - عادل حسين ، التطبيع ، مرجع سابق ص ٥١٥ .
٤٥. - حسين أبو الرمل ، الاقتصاد الإسرائيلي ، مرجع سابق ص ٢٣٦ .
- EIU Country Profile Israel 93/94p. 20.
- Ibid p.32.
٤٧. - ملحم خالد ملحم ، البنية السياسية والاقتصادية لإسرائيل ، مرجع سابق ص ١٠٠ .
٤٨. - لفرجع السابق ص ١٠٣ .
٤٩. - ملحم خالد ملحم ، البنية السياسية والاقتصادية لإسرائيل ، مرجع سابق ص ١٢٠ - ١٢١ .
- EIU Country Profile Israel 93/94p. 24.



مستقبل القوة العسكرية الإسرائيلية فى الشرق

مدخل

قا

لدى كل ملتحف تاريخى، وعدد نهاية كل مرحلة من مراحل الصراع العربى - الصهيونى، ومع بداية كل مرحلة جديدة فيه، كان الفكر الاستراتيجى للمدبر يبلور مجموعة من المفاهيم المستحدثة تتواءم مع التغيرات الجديدة، وتستجيب لظروفها وتحدياتها. رأينا ذلك - على سبيل المثال - منذ أن برزت على ساحة العمل السياسى نشاطات الحركة الصهيونية ثم اجتماع أقطابها فى مؤتمر بال بيسويسرا عام ١٨٩٧، ورأيانه أيضاً عقب صدور وعد بلفور عام ١٩١٧، وكذلك حين أعلنت الدولة عام ١٩٤٨، وبعد الانتصارات المدوية عام ١٩٦٧. ثم مع رحلة الرئيس السادات إلى القدس المحتلة عام ١٩٧٩، وللتى دشنت بداية مرحلة مختلفة نوعياً من مراحل الصراع، مازالتا نعيش تداعياتها، ونصطدم بنتائجها حتى اليوم.

واللافت للظفر أن قادة الحركة الصهيونية، قبل وبعد إنشاء الدولة

الإسرائيلية، قد قدموا اجتهادات نظرية وعملية متواصلة استهدفت تهذيب وتعديل وتطوير تعميق ركائز نظرياتهم الاستراتيجية، ومواكبتها مع كل لحظة تاريخية مستجدة، ولما كان معظم هؤلاء القادة من أصول عسكرية، أو مارسوا مهام عسكرية فعلية فى فترات من فترات حياتهم لذا، فقد امتزجت فى تصوراتهم المطروحة جوانب الفكر الاستراتيجى السياسى والعسكرى، وتداخلت، لكى تعكس - فى النهاية - المفاهيم والأطر المحددة لحركة الدولة الصهيونية بشكل واضح، وفى أحيان كثيرة بشكل قاضح أيضاً.

بلور «دافيد بن جوريون»، فى عام ١٩٤٩، نظرية الأمن الإسرائيلية التى صممت لمعالجة «معضلة عسكرية، كيف يمكن الدفاع ضد تهديد عسكرى لوجود إسرائيل فى ظروف الافتقار إلى مجال الدفاع (عدم وجود عمق إقليمى)، وفى ظروف الافتقار إلى عدد مناسب من القوات وامتلاك «نفس عسكرى قصير» بالمقارنة مع للجويش العربية» (١).

وفى هذه الظروف اختبرت مجمرة من مبادئ العمل، حلت بها نظرية الأمن الإسرائيلية هذه المعضلة عن طريق الحشد المكثف لكل الطاقات، مع تركيزها فى نقطة زمنية قصيرة جداً، الأمر الذى يحولها إلى قوة عسكرية ضخمة، فى ظل الاستخدام الرشيد للأمل لإمكاناتها، وهو ما يضاعف من تأثيرها.

ولاختبرت صلاحية هذه الاستراتيجية فى يونيو ١٩٦٧، فكانت أدق نموذج لإدارة مبادئ نظرية الأمن الإسرائيلى بنجاح ملحوظ، فعندما تليدت سماء المنطقة بسحب الحرب «ثم تجنيد قوات الاحتياط فى الجيش الإسرائيلى ونشرها فى مناطق الانتشار التى حددت لها دون تدخل العدو، وعندما تقرر إنزال ضربة واقية نقلت الصرب فوراً إلى أراضى العدو، وأخيراً فإن الخطوط الداخلية القصيرة، مكنت من تحريك القوات من واجهة لأخرى، ومن حشد القوات فى ظروف مكان وزمان محددة، وبهذه الطريقة أمكن الاستفادة كليا من الطاقة الصارية للضخمة، كذلك انتهت الحرب



الأوسط الجديد: الاستراتيجية الصهيونية فى عالم متغير

أحمد بهاء الدين شعبان

التقدير العسكري لقدرات الجيش الإسرائيلي الذى قدر أقل من اللازم القوة العسكرية النسبية له عشية «حرب الأيام الستة»، وتحول إلى موقع معاكس عشية حرب «يوم الكفران»، حين قدر قوته العسكرية تقديرًا مبالغًا فيه «إلى حد اللامبالاة بالطرف الآخر»، وكان لذلك ما كان من عواقب، أما عشية حرب لبنان (١٩٨٢) فقد كان التقدير الذاتى للقدرات العسكرية للجيش الإسرائيلى «غير واقعى، بل وسفاهًا» فبعد اعتماده على تقديرات خاطئة للموضع الاستراتيجى، حاول الجيش الإسرائيلى فى ربيع ١٩٨٢ - عبثًا - تحقيق أهداف استراتيجية بذنية (١) - وميخوس منها سلفًا، ترتبت على نظرية أمن تكتيكية أكل عليها الدهر وشرب، وبواسطة حرب أدبرت بصورة خاطئة من الناحية الفنية، (٢).

نظرية الأمن الإسرائيلى: التحدى والاستجابة:

من وجهة النظر الإسرائيلية اجتازت المنطقة عبر بوابة حرب الخليج الأولى (العراق/ إيران) والثانية (حرب عاصفة

الانتصارات التكتيكية فى حروبه إلى انتصار استراتيجى يحسم الصراع حسب رغباته، إذ ظلت الجيوش العربية - فى المقابل - يعاد تكوينها ويتطور أداؤها وتحسن مستوياتها من معركة الأخرى.

ومن وجهة نظر هؤلاء المنتقدين، فإنه بالرغم مما طرأ على الأوضاع التى تحيط بإسرائيل من تبدلات، ورغم تغير كل الظروف والأسباب التى تفسخت عنها تلك الظروف فلم يحدث تطور جذرى لها، وقد أظهرت حرب ١٩٧٣ نقاط الضعف الكامنة فيها، لكن مرت الأيام دون أن يذلل للجهد المطلوب لتحديثها وتطوير مقوماتها، وقد أدى فقدان هذه البوصلة المرشدة إلى تذبذب

بسرعة، كما كان مطلوبًا، ومن قبل أن تتمكن الدول العظمى من الانتظام وفرض وقف إطلاق النار على الأطراف المتحاربة، (٣).

رؤية نقدية لنظرية الأمن الإسرائيلية:

لكن هذا النجاح الساحق، لم يمسد الفجوات التى برزت عقب الحرب فى بديان نظرية الأمن الإسرائيلى التى تعرضت لانتقادات حادة، حيث اتهمت بتركيزها على البعد العسكرى أكثر من البعد السياسى، وعلى البعد التكتيكي أكثر من البعد الاستراتيجى الشامل، وأنها حدثت - فى الواقع - «ما لا يجب عمله أكثر مما اعتلت بتحديد ما يتوجب عمله، واهتمت بتأكيد النهاية السريعة للحرب أكثر من اهتمامها بتتابعها، كما شابهها قصور آخر تجسد فى عدم وضوح الغاية الاستراتيجية للحرب بسبب «غياب معرفة هذه الضرورية، وبسبب» من ذلك، فقد فشل الجيش الإسرائيلى فى إنهاء الموقف نهائيًا لصالحه، وعجز عن تحويل

المجاهبة بخط «المصالحة» بكل ندائجه وتدابيراته.

- تصاعد النفوذ الأمريكي والغربي في المنطقة، وازدياد معدلات التدخل والتأثير الأجنبي في توجيه السياسات العربية.

- تأثير مستويات التسليح في دول المواجهة العربية بانتهاء الاتحاد السوفيتي الذي كان يمثل مورد السلاح الأساسي لها.

- إنعام عملية ترويض وضبط القوى المتحررة في المنطقة، ونسقية الطاقة النضالية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

- الانتفاضة الفلسطينية وتأثيراتها المباشرة على توازنات الصراع، وعلى الجيش والاقتصاد والمجتمع الفلسطيني والإسرائيلي.

- تفاقم المشكلات ويزور حالة عدم الاستقرار في المنطقة في أعقاب حرب الخليج، وفي داخل إسرائيل أيضاً، الأمر الذي دفع للبحث عن بدائل.

- بروز الحركات الإسلامية، وانتشار المد «الأصولي»، الذي - يعتبره «شمعون بيرس» - من أهم العوامل التي تهدد «استقرار» و«سلام» المنطقة (٧).

«أما على المستوى التكتيكي، العسكري:

فقد برزت مؤشرات كان لابد من وضعها في الاعتبار، أهمها:

١ - تطور التكنولوجيات العسكرية تطوراً هائلاً في العقد الأخير، وهو ما قلل نسبياً من الأهمية الجيوبوليتيكية للمناطق العازلة، وغير في مفهوم «الحدود الآمنة» أو على حد تعبير «شمعون بيرس»، وزير الخارجية الإسرائيلي ومهندس المرحلة الجديدة: «إن مفزى اصطلاح «العمق الاستراتيجي» قد تضائل فحل «المعيار الصاروخي محل المعيار الجغرافي»..



الجديدة، وعن اتفاق الصراع مع العدو (العربي) في ظل غياب الحليف السوفيتي... إلخ.

- انهيار منظومة عدم الانحياز، الحليف التاريخي للعرب - وسقوط بقاياها في الفكر الأمريكي مجدداً.

- السيطرة الأمريكية على منابع النفط، والوجود العسكري الأمريكي المباشر في مواقع عربية (خليجية وغير خليجية).

وعلى المستوى الإقليمي:

- تصفية المواقع الباقية للقوة في العالم العربي وتفكك المشروع العربي التحرري، مع انهيار الحدود الدنيا للتماسك العربي واستخدام الخلافات والصراعات العربية - للعربية؛ الأمر الذي يعنى انتفاء المخاطر الفعلية التي تهدد الوجود الإسرائيلي.

- خروج القدرة المصرية العسكرية من ساحة الصراع، واستبدال خط

الصحراء) عتبة مرحلة جديدة كيناً، حتمت إعادة النظر في أسس نظرية الأمن الإسرائيلي، وتعديل مساراتها لمواجهة تحدى امتلاك العرب سلاح فرق تقليدى (هو الصواريخ المتوسطة والطويلة المدى)، التي شكلت تهديداً حقيقياً لركائزها ومفاهيمها، فقد اعتبر «حفاى أشد» الخبير العسكري الإسرائيلي هذه الصواريخ «مفتاح الحرب والسلام في الشرق الأوسط، وبإمكانها عملياً أن تضعف، بل وتقوض، قدرة الردع الإسرائيلي تجاه أى هجوم عربي» (٤)، في حين رأى «موشيه أريئيل» وزير الحرب الإسرائيلي الأسبق، أن إسرائيل مطالبة بالاستعداد لمواجهة «أخطار الصواريخ الطويلة المدى المزودة برؤوس كيميائية لدى إيران والعراق وليبيا» (٥)، أما «عزرا وايزمان» الرئيس الإسرائيلي الحالي ووزير الدفاع الأسبق، فقد اعتبر أن «كل الصواريخ يعتبرونها أن تحمل رؤوساً نووية» (٦)، الأمر الذي نظر إليه، على كل المستويات، كتحدي موضوعي عميق الأثر والمحتوى ومكونات نظرية الأمن الإسرائيلي، مما يستوجب تطويرها لملائمة مخاطر هذا الوضع المستجد.

يضاف إلى هذا الدافع التكتيكي المباشر، على أرض الواقع، مجموعة من المتغيرات السياسية على المستوى العالمي والإقليمي، رجحت القيام بعملية مراجعة شاملة للنظرية الأمن الإسرائيلية، وأهم هذه المتغيرات:

على المستوى العالمي:

- انهيار المنظومة «الاشتراكية»، وتحلل الاتحاد السوفيتي، وانتهاء «الحرب الباردة» ومناخ الاستقطاب الدولي، الأمر الذي طرح تساؤلات جديدة، وموضوعية، عن حدود الدور الإسرائيلي في هذه المرحلة، ومستوى حاجة الولايات المتحدة والغرب له، وعن مساحات الحركة المسوحة، وعن شروط وآليات التعامل مع متغيرات الحقبة

فالدراصة التقليدية في الدفاع «عاجزة عن تقديم جواب على الواقع الجغرافي والخطر التكتلوي في عالم اليوم، لقد برزت القضية الجغرافية مع تطوير التقنيات الصاروخية بعيدة المدى، وتعد الجوانب الطبيعية في الاستراتيجية التقليدية مثل العواقر الطبيعية، والاستحكامات لشادة، وتمتعة القوات، وموقع جهات القتال.. من الأمور النافذة في الدفاع ضد هجمات الصواريخ، بل إن الأسلحة للدفاعية الموجهة - أي الصواريخ المضادة للصواريخ - عقيدة هي الأخرى، وتطلب إتفاق أمركا مثالة» (٨).

- ارتفاع كلفة الاستمرار في سباق التسليح التقليدي وتأثيراته السلبية على الاقتصاديات الداخلية دول الصراع.

- مؤشرات الارتفاع النسبي المستمر في إعداد وأداء القوات العربية، الأمر الذي يشير إلى ارتفاع كلفة أية صدامات مستقبلية محتملة.

- الصعوبات المتنامية للناجمة عن الاحتفاظ بجيش ضخم، بالنسبة لدولة صغيرة، محدودة الإمكانيات كإسرائيل.

- التنامي الهائل لتكاليف عملية الأمن (تكلفة حرب عاصفة الصحراء بلغت ٦٦٦ مليار دولار) (١٠).

لقد أدى تفاعل هذه العناصر المتعددة المستويات، وغيرها، إلى حث الدولة الصهيونية وعسكرييها ومفكرها على دراسة البدائل المتاحة لاستكمال تنفيذ مخططاتهم، والسعى بانتهاء تحقيق مشروعهم الاستراتيجي، للتاريخي، دون الاصطدام بجدار المتغيرات التي تحدث مؤشرات في العالم أجمع، وفي العالم العربي أيضاً، فـ «زمن الحرب الشاملة، يبدو أنه قد ولى إلى غير رجعة، على حد تعبير - شمعون بيرس ... وهذا ما يقتضيه النظام العالمي المعاصر، علوة على ما يفرضه الاعتماد العالمي المتبادل والدنامي المضطرب للتكاليف العالمية

للأمن، وتطور شبكة الاتصالات في عصر الفضاء التي تجلب الحروب إلى داخل غرف الجلوس في كل بيت من بيوت القرية الكونية، في يث كوني» (١١).

وفي هذا الإطار يمكن استخلاص أهداف الاستراتيجية الإسرائيلية الجديدة، ومحدداتها، وعناصرها، والبدائل المطروحة، ولتعاكسات هذه البدائل على المنظومة العسكرية ونظرية الأمن الإسرائيلي.

* أهداف الاستراتيجية الإسرائيلية الجديدة:

تسمى الاستراتيجية الإسرائيلية الجديدة لتحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها:

أ. الاستفادة من التبدلات العالمية المتواترة لمصلحة المشروع الصهيوني، والدفع بانتهاء تنفيذ برامجها الاستراتيجية دون الاصطدام بالظروف الجديدة، واستخلاص الفائدة من كل الظواهر السلبية الكائنة (كموارد انهيار الاتحاد السوفييتي الإيجابية لصالح إسرائيل) .. إلخ.

ب. تكريس عناصر التحلل في النظام الأمني المصري لكي تصل إلى مداها الأقصى، والسعى لإقناع العرب بلا جدوى بالصدى لإسرائيل، وحثمة الاستسلام لهيمنتها العسكرية والسياسية (١١-ب) انطلاقاً من الفكرة التي تطرحها باستحالة إيقاع للهزيمة العسكرية بها، أو تحقيق «نصر كلي» عليها، حتى لو تم الانتصار في ميدان المعركة، والدفع بانتهاء تثبيت حالة التفتش المعري الزاهن باعتبارها أمراً واقعاً لا مخرج منه (١٢).

ج. - الاستفادة من الظروف السابق الإشارة إليها في أ، ب، لإعادة توجيه الاستراتيجية الإسرائيلية باتجاه اقتناص

مكاسب تاريخية بالغة الأهمية، تقرر الأمر الواقع لصالح إسرائيل وتفرض رؤية المشروع الصهيوني بصورة نهائية، والاستحاضنة (ما أمكن) عن الحلول العسكرية الباهظة الكلفة، بحلول سياسية لا تتناقض الفرض الرئيسي، وإنما تتجاوز المؤثرات السلبية للاستخدام المستمر للقوة، حتى لو قدمت بعض «التذليلات»، الهامشية، الشككية، التي لا تلغي عناصر التهر الإسرائيلي أو تضر سياسات الخف والإكراه الصهيوني.

وعلى حد تعبير «بيرس»، فإن «الطواب اليوم «ليس حديداً قابلة للدفاع، علينا أن نبني شبكة من العلاقات السياسية بكن بمقدورها تغطية كل مواقع الخطر في شبكة العلاقات العسكرية المجرية» (١٣).

هجوم السلام «والعقاسات الأمنية:

تدرك إسرائيل، الجسم الضخم المكاسب، على كل المستويات، العائدة عليها من جراء انخراطها في عملية «السلام» مع الأنظمة العربية التي نهافت في السعي للارتباط بالذلة الصهيونية، وتحت مظلة الأوركية، ويلمسون عوائدها في المجال الأمني التي لا حدود لها.

ويشير «إسحق رابين»، رئيس الوزراء الإسرائيلي، إلى أن «السلام المصري الإسرائيلي - حتى ولو كان سلاماً - فإنه يخرج مصر من دائرة الصراع مع إسرائيل، ومن دائرة شن حرب مفاجئة بالتعاون مع دول عربية أخرى، ولا شك أن مثل هذا السلام تأثير إيجابي كبير جداً على وضع إسرائيل الاستراتيجي والأمني» (١٤).

* محددات الاستراتيجية الإسرائيلية الجديدة:

غير أن تحقيق هذه الأهداف - من وجهة النظر الإسرائيلية - لا يجب أن يخل بمحدداتها الاستراتيجية وأهمها:

إنتاج الأسلحة الاستراتيجية، وعلى رأسها إنتاج الصاروخ الإسرائيلي الباليستي Arrow (السهم - حيتس) حيث تموله الولايات المتحدة بالكامل تقريباً إضافة إلى سيل الدعم المالي الأمريكي الذي يصب في الخزنة الإسرائيلية منذ إنشائها وحتى الآن.

عناصر الاستراتيجية الإسرائيلية الجديدة:

أولاً: على المستوى السياسي:

١ - السعي لتجميل صورة إسرائيل القبيحة كأداة قمع وكنكة حراسة للصالح الأمريكية والغربية على تخوم النفط العربي، وطرح صورة جديدة مناقضة لها، تركز على محاولة الإنهاء بأن إسرائيل كفت عن مساعدتها لتحقيق أحلامها في التوسع وجذمت خططها لفتح العرب، وتخلت عن السعي لتحقيق مشروع (إسرائيل الكبرى)، والترويج لفكرة انكسار المشروع الصهيوني وتراجعه، واستبداله بصورة جديدة، مشرفة لإسرائيل النبيلة التي تسعى للاندماج مع الجيران، من أجل بناء مستقبل مشرق للجميع.

٢ - السعي لرسم خريطة للمنطقة تفرض فيها إسرائيل نفسها، لا باعتبارها جدياً غريباً زرع قسراً فيها لتحقيق أهداف محددة، وإنما باعتبارها جزءاً عضوياً من كيانها واستبدال علاقات الصراع الذي وصل إلى غايته - بالحرب - أكثر من مرة، بعلاقات الهيمنة الاقتصادية السياسية (١٥.ب)، المؤسسة على التوزيع المستعمر بالهراوة العسكرية المستعمدة لممارسة دورها القهري وقت اللزوم، والتهميد لهذا الدور الجديد بحل شكلي للقضية الفلسطينية لا يمس جوهرها وإنما يبيع لإسرائيل الفرصة للتدخل في المنطقة، ويرفع الحرج عن عرب التسوية في التعامل معها.



المؤسسون، للدولة الصهيونية بالتحالف مع إنجلترا أيام الإمبراطورية التي لاتغرب عنها الشمس، ثم مع الولايات المتحدة حينما تبوأ موقع زعامة المسكر الغربي فيما بعد.

ومن المعروف أنه قد وقعت في ٢٠ نوفمبر ١٩٨١ متكررة للتحالف الاستراتيجي بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، تبهما توقيع بروتوكول للتعاون الاستراتيجي المشترك في ٢٩ نوفمبر ١٩٨٣، وتتضمن هذه الاتفاقات برامج للأمن المشترك، وخططاً لمواجهة التهديدات التي تتعرض لها أي من البلدين، كما يشمل نطاق العمليات العسكرية والمبادرات المشتركة، والتعاون في مجال إنتاج الأسلحة المتطورة .. إلخ.

وتجدر الإشارة إلى الدعم العسكري السنوي والذي يقدر من أثنى مليون دولار، الذي تهبه الولايات المتحدة لإسرائيل، وكذلك تعاونهما في مشاريع

- ثبات الأهداف النهائية للمشروع الصهيوني والمتعملة في السعي لبناء «إسرائيل الكبرى»، «القوة العظمى، المحلية، التي تهيمن على مصائر ومقدرات المنطقة مهما كان شكل وأسلوب تحقيق هذه الغاية.

- الرضخ المطلق لتقديم أدنى تنازل عما يطلقون عليه اسم «أرض إسرائيل التاريخية»، مهما كانت الظروف أو المتطلبات أو حتى دواعي الضرورة السياسية، وتبدي هذا الموقف واضحاً من معالجة القادة الإسرائيليين لقضية القدس، ففي الوقت الذي كانت تجري فيه «الصيغة السلمية، على قدم وساق، وتهتم فيه للتراجعات العربية لصالح إسرائيل، لم يتولن هؤلاء عن صدم «مشاعر عرب التطبيع بالنصرير الواضح بأن القدس لن تكون أبداً عاصمة عربية، وإن تكون لليهود عاصمة أخرى غيرها.. فالقدس ليست استراتيجية.. بل هي التاريخ.. والتاريخ له غلبة على الاستراتيجية» (١٥).

- الاستمرار في فرض سياسة «الأمر الواقع، باعتبارها أسلوباً ناجحاً لانتزاع مكاسب مستمرة على حساب الطرف العربي، مثل التنازلي في تنفيذ خطط الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة، حتى في ظل استمرار مناقشات «السلام»، إدراكاً لحدود العجز العربي التي تجمد حتى قد ترمي على الاعتراض.

- الارتكان أولاً وأخيراً على عامل «القوة، باعتباره أداة الحسم، في النهاية، بالرغم من التشدد بمصطلحات السلام وعدم تقديم أي تنازل في الحفاظ على نياقة القوة المسلحة الإسرائيلية ويضعها في حالة جاهزية تامة، استعداداً للتدخل الفوري إذا لزم الأمر.

- التمسك بسياسة «التحالف الاستراتيجي» مع حليف قوى يرتكن عليه، وهي سياسية أقرها «آباء



٣ - إعادة صياغة العلاقات العربية - العربية، لكي تخدم المصالح الاستراتيجية الإسرائيلية، والسعي لتسجيد بالنظام الأمنى العربى نظاماً آخر إقليمياً، محوره الدور الإسرائيلى وهذه ضمن وجودها وتحقيق مصالحها الاستراتيجية.

ثانياً: على المستوى العسكرى:

١ - إعادة هيكله، الجيش الإسرائيلى، لكي يتواءم مع المتغيرات الجديدة بالعالم وبالمطقة، وإنفاية إيقاله على أعلى مستويات الاستعداد والتطور، بتقليص الحجم الممدى للقوات، مع التركيز على رفع الكفاءة العسكرية، وتحسين معدلات الأداء إلى الحد الأقصى، وتحقيق غاية الحفاظ على التوازن العسكرى المرتكز على التفوق الكيفى والتكنولوجى للجيش الإسرائيلى.

٢ - مد الجيش الإسرائيلى بأحدث منجزات التكنولوجيا العربية، لاستمرار سيادة المبدأ الاستراتيجى المهم: أن تكون قدرته الشاملة أكبر من مجموع قدرات للجيش العربى مجتمعة، ومنحه الأولوية فى الموازنة العامة للدولة، على كل ما عداه من أنشطة.

٣ - رفع القيمة المراكمة للردع (تقليدى - فوق تقليدى): إلى الحد الذى يقع الحكام العرب بأنهم إن حققوا شيئاً عن طريق الصراع المسلح، واستلاك القدرة على الحسم القاطع والسريع فى حالة فشل الردع، اعتماداً على امتلاك جيش مجموعى الطابع، يمتلك قوة هجومية وقوات مدرعة قادرة، تعتمد على نقل نورالى كبير، مع خفة الحركة والمداورة العالية^(١٦).

- منع خرق للتسويات الأمنية، التى حدثت فى اتفاقيات سياسية كما حدث بالصبة لمصر وإسرائيل وسوريا وإسرائيل، ولكى يكون واضحاً تماماً أننا وعلى الرغم من توقيعنا على معاهدة سلام مع

مصر، إلا أننا لا نلوى التسليم بأى خرق للمركز والتسويات الأمنية التى اتفقا عليها^(١٧).

ويلخص الجنرال «دان شمرون»، رئيس الأركان الإسرائيلى السابق، دوافع ومظاهر وعناصر التخبر فى المنظمة الأمنية - الاستراتيجية الإسرائيلية - فى حديثه لجريدة «ها آرئص»^(١٨)، على النحو التالى:

«لقد طرأت فى السنوات الأخيرة تغييرات حادة فى جميع مجالات التسليح بما يمكن وصفه بأنه انقلاب، فإن تكنولوجيا الصواريخ التى أصبحت فى حوزة الدول العربية أضحت تشكل خطراً بارزاً على الجبهة الداخلية فى إسرائيل ومنفاتها الحيوية، كما أن أنظمة التسليح الحديثة المتعددة من طائرات ودبابات وأسلحة م / د وقطع مدفعية بعيدة المدى وأنظمة دفاع جوى أرضية متعددة الأنواع - التى ستملئ بها ساحة القتال المستقبلية - ستعوق بشكل جوهري إمكانية المناورة والعمل التى تميزت بها إسرائيل، وكذلك فى مواجهة التوتيرة السريعة للتحديث المستمر للجيش العربى، ويجب مواجهة ذلك بمساندة القفزات التكنولوجية فى

أنظمة التسليح فى إسرائيل، والاعتماد على الطاقة التكنولوجية الإسرائيلية والبشرية المتقدمة والمتفوقة نوعاً، مما يعطى لإسرائيل الفرصة لمفاجأة العدو تكنولوجياً فى الحرب المقبلة.

يجب على إسرائيل أن تعيد النظر فوراً فى الافتراضات والوجهات الأساسية لنظرية أنها استراتيجياً ومغريباً وتكتيكياً، بحيث تلائم الوضع الجديد فى المنطقة، وبما يتفق مع موارد إسرائيل الاقتصادية المتناقصة، والزيادة السريعة للملاحقة فى أسعار أنظمة التسليح الرئيسية فى السوق العالمية، وأعمال للبحث والتطوير كافة.

إن الاحتفاظ بجيش صغير قوى ذى قدرة هجومية ودفاعية متوازنة، يرافقه جهاز مخابرات متطور، يكون قادراً على شن حرب وقائية عندما يتكشف أول دليل على نيات عدوانية من جانب العدو، هو أفضل حالا من جيش كبير متراهل يحول دون استقلال إسرائيل اقتصادياً، وذلك أحد الدلائل المطروحة للتطوير نظرية الأمن^(١٩).

توسيع حدود المجال الحيوى الإسرائيلي:

فيما عدا الدول العظمى، لم يشهد العالم دولة صغيرة، محدودة العدد والإمكانات، ترسم لحركتها الاستراتيجية حدوداً ذات طبيعة كونية، كإسرائيل، الأمر الذي يشي بطبيعة الأهداف والأطماع الإسرائيلية ومهامها الواسعة.

في بادئ الأمر كانت دائرة المجال الحيوى تضم دول «الشرق» أو دول المواجهة المباشرة، ثم اتسعت لكي تشمل الدول العربية الأخرى الناصمة لدول المواجهة، ثم أصبحت تشمل كافة الدول العربية فيما بعد.

مع بداية الثمانينيات أعلن «أريئيل شارون»، وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق أمام لجنة الشؤون الخارجية بالكنيست، أن مصالح إسرائيل الاستراتيجية - في الوقت الحاضر - تتضمن جميع مناطق الوطن العربي المتاخمة لإسرائيل، بالإضافة إلى إيران وتركيا وباكستان وشمال أفريقيا وحتى زيمبابوي جنوباً^(٢٠)، ثم عاد في دراسته المنشورة، «استراتيجية إسرائيل في التسعينيات»، لتكرار رؤيته بضرورة توسيع مجال المصالح الاستراتيجية والأمنية الإسرائيلية بشكل يغطي الدول العربية إلى نطاق يتجاوز حتى دول الشرق الأوسط، حيث ضمنت في التسعينيات دولا كتركيا وإيران وباكستان ومناطق كالخليج العربي وأفريقيا، وخاصة دول أفريقيا الشمالية والوسطى^(٢١).

وقد اتخذت إسرائيل مجموعة إجراءات عملية لتأكيد هذا التصور للمجال الحيوى الاستراتيجي الذي طرحه شارون، كتدعيم القوات الجوية بطائرات قتالية متطورة تمتلك قدرة على الطيران البعيد المدى (F-15)، لكي تكون قادرة على الوصول إلى هذه النقاط البعيدة،



القادم، كما تتسق مع اتجاه إسرائيل لتطوير أسلحة الدمار الشامل ووسائل حملها (صواريخ أريحا) ومنظومات اعتراض الصواريخ الباليستية وأسلحة مبادنة الدفاع الاستراتيجي (حرب النجوم) كما سيوضح فيما بعد.

- استمرار مبدأ الاحتكار النووي الإسرائيلي:

تولت في الفترة الأخيرة المعلومات التي نشرتها مراكز الدراسات والتحليل الاستراتيجي وأجهزة الإعلام حول الترمانة النووية الإسرائيلية، والتي تكشف بوضوح المدى المتقدم الذي وصلت إليه، والذي يشكل تهديداً خطيراً لتوازن القوى في منطقنا، وعلى المستوى العالمي ثم الاعتراف بإسرائيل كمداس القوى التي اقتحمت عرين النادى النووي مؤخرًا، بل واعترف الرئيس الإسرائيلي السابق «حاييم هيرتزوج» في رسالة إلى عضو البرلمان البريطاني «ديفيد سيل» يوم ١٣ نوفمبر ١٩٩٠ بملكية إسرائيل للأسلحة النووية، وأعلن «إسحق رابين»، رئيس الوزراء الصهيوني، في محاضرة ألقاها بجامعة حيفا، (يوم ٦/٥/١٩٩١)،

أن إسرائيل «بحوزتها أسلحة نووية وأسلحة للدمار الشامل، قادرة على إبادة أية دولة في المنطقة تمسذى على إسرائيل»^(٢٢).

وتشير آخر تقارير مجلة «جيزز إنديبنس ريفيو» المتخصصة في الشؤون العسكرية، وبناء على صور بالغة الدقة، صورتها الأقمار الاصطناعية الفرنسية والروسية، أن إسرائيل تمتلك نحو ٢٠٠ سلاح نووي من كل الأنواع، وقد حددت سبعة مواقع للنشاط النووي في إسرائيل هي:

١. موقع «ديمونا»، في صحراء النقب (الفاعل النووي ومصنع معالجة البلوتونيوم).

وكذلك بتطوير أسطول الحمولين بالوقود في الجو، وطائرات الاستطلاع الحديثة وأنظمة التجسس بالأقمار الصناعية، والصواريخ الباليستية.. الخ.

وقد علق خبير عسكري غربي على قرار إسرائيل شراء ٣٠٠ طائرة مقاتلة حديثة من طراز (F-15) بدلاً من (F-16)، بأنه يأتي ضمن استراتيجية عسكرية جديدة، تلحظ فيها إسرائيل قيام «سلام» مع جيرانها وتعتبر أن حروبها المقبلة ستكون مع دول بعيدة مثل إيران والعراق وليبيا.

والمعروف أن طائرة (F-15) هي أكثر الطائرات الحربية تطوراً، وتتمتع بالقدر على القتال في الليل، وفي ظروف جوية صعبة، ومدها يبلغ ٥٧٤٥ كيلو متراً^(٢٣).

ويأتى هذا الأمر في سياق إعادة تجهيز القوة المضاربة لسلاح الجو الإسرائيلي وتخصيرها لفتح القرن

٢ - موقع «سوريك» : (مفاعل أمريكي الصنع، ومركز الأبحاث على تصميمات القنابل النووية) .

٣ - موقع «بالديكيم» : (شمال سوريك، مركز إجراء تجارب على الصواريخ النووية كصواريخ أريحا) .

٤ - موقع «بيديفات» : (لتجميع الأسلحة النووية وتفكيكها) .

٥ - موقع «بار يعقوب» : (مصنع بناء صواريخ أريحا - ٧) .

٦ - موقع «كفار زكريا» : (قاعدة الصواريخ النووية، وملاصق تخزين القنابل النووية ويقع بالقرب من قاعدة دتل نوف، الجوية) .

٧ - موقع «عليلون» : (شرق الجليل - لتفزين الأسلحة النووية التفكيكية) (٢٤) .

كما أشارت مجلة «ألفيشين» ويك، الأمريكية الأسبوعية إلى أن إسرائيل تمتلك مخزوناً من الصواريخ النووية: (أريحا - ١) ومدها ٥٠٠ كم. و (أريحا - ٢) ومدها ١٤٤٠ كم، وصواريخ (الانس) الأمريكية الصنع، وطائرات إستراتيجية متطورة من طراز متعددة (٢٥) .

ويستنتج «شولمر آهارونسون» في دراسة «العرب والقنبلة الإسرائيلية: استراتيجية الحرب المحدودة» ، أن مصر (تحت حكم الرئيس جمال عبدالناصر) في أعقاب حرب ١٩٦٧، قد اضطرت إلى «تكيف» نفسها مع خاطر العصر النووي، عن طريق تقليص غايات صراعها ضد إسرائيل إلى أكثر الأهداف واقعية، وهو تصدير الأراضي التي تم احتلالها في يونيو ١٩٦٧، إنزكاً لأن الالتزام العربي بتدمير إسرائيل قد يؤدي إلى مأساة ذرية تهدد المنطقة كلها، (٢٦) .

كما يشير «شمعون بيرين» ، في كتابه «الشرق الأوسط الجديد» إلى أن أحمد ماسادي السادات، قد «اعترف» لثلاث

رئيس الوزراء آنذاك، «ليجال يادين» ، ولوزير الدفاع في حينه، (رئيس الدولة الإسرائيلية حالياً) ، «عيزرا وايزمان» ، بأن «قرار مصر بالجنوح إلى محادثات السلام» قد تأثر، بلا ريب بمشروع ديمونا، (٢٧) .

وقد طرح بعض الخبراء الإسرائيليون حالات وضع «السلاذ الأخير» التي قد تدفع إسرائيل إلى اللجوء لاستخدام القنبلة النووية على النحو التالي:

١ - تحول مصر إلى دولة نووية .
٢ - انخفاض حاد في قدرة إسرائيل العسكرية التقليدية .

٣ - هبوط كبير في قدرات القوة الجوية الإسرائيلية أثناء القتال .

٤ - حظر إرسال أسلحة لإسرائيل، (٢٨) .

هذه المبررات تعكس القرار الإسرائيلي باحتكار قدرة الردع النووي مفردة في المنطقة، الإصرار على حرمان مصر والعرب بل وكافة الدول الإسلامية مجتمعين من تجاوز العتبة النووية مهما كان الثمن، الأمر الذي اعتبره «أريئيل شارون» ركيزة من ركائز سياسة إسرائيل الدفاعية في التسعينيات حيث يشير إلى عزم الإسرائيليين على «منع دول المواجهة والدول العربية بصورة عامة، من الحصول على السلاح النووي، فإسرائيل لا تستطيع السماح بإدخال السلاح النووي، فهذه بالنسبة لنا استمرار وجود، ومسألة تتعلق بميزان الرعب، لذا علينا» كما فعلنا في الماضي - (يقصد منرب للفاعلات النووي المرأ في واغتيال عالم الذرة المصري د. يحيى الشاذلي فرنسا ..) منع هذا الخطر في مهده، (٢٩) .

قضية المياه كمعدد إستراتيجي :
تشير كل الدلائل إلى الأهمية المركزية التي أولتها إسرائيل في الماضي

اقتصادية للمياه، والتي كانت أحد الدوافع خلف ملكها العدواني باتجاه منابعه في الأراضي العربية المحتلة .

ويربط الإسرائيليون بين المياه «والسلام» في حزمة واحدة حيث «يجب أن يتسبب الماء والسلام معاً ولا فتن تخرج منهما أي فائدة» (٣٠) ، ويعتبر بيرس أن «العلاقات بين دول المنطقة كانت ومازالت تعلى من قبل سياسة المياه» (٣١) ، ويهدد بأنه «إذا لم تبزم إسرائيل «السلام» مع سوريا ولبنان والأردن، فإن حوضي اليرموك والأردن قد يصبحان مجدداً مصادر للأعمال العدائية الخطيرة» (٣٢) .

وبالنظر إلى استحكام أزمة المياه في المنطقة، وتنامي احتياجات سكانها من هذا المصدر الحيوي، فإن إسرائيل تسعى إلى اقتناص أكبر كمية متاحة منه على حساب الأطراف العربية الأخرى، صاحبة الحق في مصادرها من المياه، ويژهم «بيرس» أن «المياه في الواقع، وكما يقول الفيلسوف «جان جاك روسو» لا تعود لأشخاص واحد أو محدد، ولكن للبشرية ككل، والمياه في الشرق الأوسط هي ملك للمنطقة» (٣٣) رمت مظلة هذا الادعاء الخطير يجر بحاجة المنطقة إلى «نظام إقليمي» يولى تنظيم «سياسة مياه إقليمية» (٣٤) تتيج لإسرائيل الاستيلاء على حاجاتها من مياهها العربية سلماً كان أم حرباً .

الوطن العربي : من الإجماع الاستراتيجي، إلى النظام الشرق أوسطي :

أما التجسيد العلني للراهن للسياسات الأمريكية - الإسرائيلية على المستوى الاستراتيجي، فيتمثل في الخطوات العملية التي اتخذت لإخراج فكرة النظام «الأمن الشرق أوسطي للوجود» والفكرة - بعد ذاتها ليست أمراً جديداً، ولا بالشيء

الطارئ، وإنما أعيد طرحها على مدار العقود الماضية التي مرت منذ إعلان إنشاء دولة إسرائيل، وحتى الآن على هيئة أحلاف ومحاور سياسية، وفي كل مرة كانت تلقى رفضاً عربياً شاملاً يعوق خطوات تنفيذها، ويجهض مخططات فرضها على المنطقة. وكان المارح الأخير لهذه الفكرة - قبل المرحلة الراهنة التي شهدت خطوات عملية باتجاه تنفيذها - في نهاية عام ١٩٨٠، عقب زيارة أنور السادات للقدس، حين قامت بعثة خاصة، بتكليف من لجنة للشئون الخارجية، بالكونجرس الأمريكي، بزيارة استكشافية إلى سبع دول في منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي والقرن الأفريقي هي: مصر - السودان - إسرائيل - كينيا - الإمارات العربية المتحدة - قطر - السعودية - الكويت - عمان - درست خلالها على الطبيعة، القضايا الرئيسية بها، وقدمت للبعثة تقريرها في شهر مارس ١٩٨١ (٣٥)، وقد نص التقرير على أن نجاح الخطط الأمريكية - الرادعة، في منطقة الشرق الأوسط، لمواجهة التهديد السوفيتي، (المزعوم)، أو لمواجهة حلول زعماء «مغامرين» محل الزعماء الأكثر اعتدالاً يقتضين من الولايات المتحدة، لزيادة الفورية لتدريعاتها العسكرية، وقدرات حلفائها الغربيين لتكون كافية للردع المؤثر، كما أشار التقرير إلى أن كلا من مصر وإسرائيل والسودان، التي تمثل دولا محيطة بمنطقة الخليج، ومرواليت للغرب، يمكن أن تتحمل جانباً من أعباء الولايات المتحدة الاستراتيجية في المنطقة، خاصة إذا أُضيفت إلى قواها، قوة تركيا الغربية أيضاً من منابع النفط، ولتوفر القواعد والمطارات العسكرية الصالحة فيها، لذلك يجب أن يوضع في الاعتبار حجم قواها المسلحة، وعدد مطاراتها وقواعدها، بالإضافة إلى حجم وقدرتها القوات المسلحة في كل من مصر وإسرائيل، وذلك لاستخدام القوات الثلاث



معد أي تهديد سوفيتي في منطقة الشرق الأوسط (على أساس أن حجم قوات تركيا ومصر وإسرائيل، يصادف تقريباً حجم القوات السوفيتية التي يمكن أن تخصص للمنطقة)، (٣٦).

ومثل سعي الولايات المتحدة، لتكون هذا «القوس» الموالى، جانباً من محاولة بناء ما أطلق عليه «دائرة الإجماع الاستراتيجي»، التي تضم كلا من (الأصنفاء) من اليهود والعرب، في حلف يهدف كما ذكر الرئيس الأمريكي الأسبق «ريجان»، إلى إنجاز القضية الأكثر أهمية بالنسبة لنا، : قضية الاستقرار الإقليمي في الشرق الأوسط بحيث يمكن التصدي الصارم للخطار الاستراتيجية الخارجية والتدخل الأجنبي، اللذين يهددان استقلال دول المنطقة؛ وحيث المستفيد الوحيد من الوضع الحالي فيها هو خصمنا المشترك، (٣٧)، أي أنه بكلمة أخرى توحيد لكل القوى الموالية للخط الأمريكي في المنطقة، في مواجهة

خطر الشيوعية، المزعوم قبل تفكك الاتحاد السوفيتي، ضد حركة التحرير العربية، ومن أجل صيانة المصالح الإمبريالية وحمايتها، ويتم ربط كيانات هذا «الإجماع» داخلياً، عبر سلسلة من التحالفات المربطة (اتفاقيات كامب ديفيد - الحلف الاستراتيجي الأمريكي الإسرائيلي - مجلس تعاون دول الخليج) (٣٨) وخارجها بحلف الأطلسي. وقد أعلن الرئيس السادات وقتها، أنه: «شخصياً لا أخاف مطلقاً من الانضمام إلى حلف الأطلسي، لأن الخطر الذي يواجهنا واحد، ثم إن أمريكا لا تس السيادة المصرية أو سيادة أية دولة من دول الحلف (١)، وإذا كانت فرنسا مثلاً قد أخذت أرضها من القواعد الأمريكية، فإنها إذا تعرضت للخطر سوف تستدعي أمريكا، وإن يقول فرنسي واحد إن بلادنا تحت الاحتلال الأمريكي، (٣٩).

وقد نوقشت في فترات سابقة، معضلات إنشاء نظام للأمن ومراقبة التسليح في «الشرق الأوسط»، وعقب انتهاء حرب الخليج الثانية طرحت الفكرة مجدداً وتحدد لها هدف استراتيجي هو خلق وصيانة توازن القوى أشد استقراراً في المنطقة «توازن قادر على حماية أصدقاء أمريكا والحفاظ على تدفق النفط بحرية في المنطقة ويستهدف:

- ألا يتيح لأية دولة معادية (للفرد الأمريكي) أن تسيطر على المنطقة.

- يحد من القدرات العسكرية المحلية، ولاسيما من الأسلحة غير التقليدية.

- ويضمن ترتيبات إقليمية لمراقبة التسليح.

- وينظم آليات دولية تتيج للتدخل في حال ثوب أزمة.

- ويمنع الولايات المتحدة فرصة تطوير قدراتها في مجال الانتشار العسكري البعيد..

- ويشجع على حل النزاعات الإقليمية عن طريق المفاوضات^(٤٠).

وقد عقد في «برادبست»، على هامش «مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي»، مؤخرًا، اجتماع ضم وزراء خارجية تونس ومصر والمغرب وإسرائيل، لبحث إقامة نظام شرق أوسطى على غرار مؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي، أعلنت عنه المتحدة باسم «شمعون بيرس»، وزير الخارجية الإسرائيلي،^(٤١) كما زار مصر مؤخرًا «جيمس وولسي»، مدير المخابرات المركزية الأمريكية لمناقشة إمكانية إنشاء نظام للتعاون الأمني بين كل من مصر وإسرائيل والولايات المتحدة، لكن مصادر علمية تشير إلى عدم حماس النظام المصري لإقرار هذا التوجه الأمريكي الآن^(٤٢).

التهديد بالحرب والابتزاز بالسلام:

لم تكف إسرائيل، حتى وهي تخوض مفاوضات الصلح مع الأطراف العربية المعنية عن الطرح بأن خيار الحرب لازال قائمًا فقبيل غزو العراق للكويت أعلن «دان شمعون»، رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، أن اللقاءات الإسرائيلية تجري تدريبات مكثفة، وهي في حالة استعداد دائم لخوض حرب جديدة، كما ذكر أن المسؤولين بالجيش الإسرائيلي يراقبون عن كثب التعاون العسكري المتزايد بين الأردن والعراق، والتحصن في العلاقات بين العراق وسوريا، وأعرب عن تخوفه من هذا التقارب العربي مؤكداً على أن إسرائيل «سيكون لها رد فعل شديد إذا مثل التعاون العربي خطراً عليها»^(٤٣).

وحينما تصاعدت وبيرة مباحثات «السلام»، الفلسطيني - الإسرائيلي، وأثناء مفاوضات واشنطن التي سبقت إقرار اقتصاص غنزة - أريحا، أعلن «أهانزون

ياريف»، العسكري السابق، وأحد قادة حزب العمل حاليًا، ورئيس المركز الاستراتيجي بجامعة تل أبيب أنه، في حالة فشل المفاوضات فإن الوضع سيتهدد بالحرب لا يمكن منعها^(٤٤)، وكان «الجنرال أيهود باراك»، رئيس الأركان، قد صرح بأن «خطر نشوب حرب مع سوريا هو حاليًا محدود جدًا، لكن الأمور قد تتغير إذا وصلت عملية السلام إلى طريق مسدود»^(٤٥)، وكرر الجنرال باراك هذه التهديدات مرة أخرى عشية زيارة «عيزرا وايمان»، الرئيس الإسرائيلي لمصر، في حديث نشرته «U.S. News & World Report» بأن «من المحتمل جدًا حدوث مواجهة جديدة مع سوريا إذا طالت كثيرًا حالة الجمود التي توجد فيها المفاوضات»^(٤٦)، وكذلك أشارت دراسة إسرائيلية نشرت في مجلة «سكوير» حديثًا، أنه «إذا لم يتم السلام ستفشل الحرب»^(٤٧).

كذلك أشارت معلومات منشورة إلى قيام القادة الإسرائيليين بمناقشة خطط وضعتها رئاسة الأركان لمهاجمة ليبيا، وحزب منشأها العسكرية (اعتمادًا على المصادرة الأمريكية) بحجة دعم ليبيا للعمليات العسكرية الفلسطينية الموجهة ضد إسرائيل^(٤٨).

ويبدو الإصرار الإسرائيلي وإضحًا على طرح الأمر على هذا النحو: أمام قادة العرب طريقان لا ثالث لهما: إما الجلوس إلى طاولة المفاوضات والقبول بكل الشروط الإسرائيلية أو مواجهة حالة الحرب المدمرة التي تهدد مصالحهم قبل أي شيء، وهي محاولة إسرائيلية واضحة لابتزاز الضعف العربي، واعتصار حالة التآكل العربية للراهنة لتحقيق أقصى قدر ممكن من المكاسب التي تدعم الوجود الصهيوني وبرايمه الاستراتيجية، وفي المقابل فإن الوضع الأمني الإسرائيلي قد حدد موجزات لا يمكن إهمالها في السنوات الأخيرة، وتكرى الدراسة السابق

الإشارة إليها، أن حجم التهديدات التي تمثل خطرًا على إسرائيل - قد تقلصت مع حرب الخليج (حرب عاصفة الصحراء)، وأن هزيمة العراق قد أدت إلى تحسن موازين القوى لصالح إسرائيل، فتوة العراق «الأقوى عربيًا» تلقت ضربة قاسية، وهي تدمرت، ولو جزئيًا، على الرغم من أنها مازالت تحتفظ بجيش كبير، كما أن مراقبي الأمم المتحدة لا يزالون هناك، والعراق مازالت أنظار الولايات المتحدة وذيل أخرى في أوروبا مصوبة نحوه، وعمليًا فإن الاحتياط الاستراتيجي الأهم للجبهة الشرقية قد اهتز في الحرب، والأمر الأساسي - من ناحية الحرب - هو أنهم اضطروا بأنفسهم إلى المشاركة في تدمير هذه القوة.

وتقلصت التهديدات كذلك، بمعنى الدراسة في اللول: «سبب التطورات في سوريا، فقبل أي شيء، السوريون يجلسون إلى طاولة المفاوضات مع إسرائيل، والأهمية ليست في سبب ذلك، فهم لا يفعلون ذلك محبة في إسرائيل، بل يمد تقييدًا استراتيجيًا جوهريًا، يفتح النافذة لفرض السلام»^(٤٩).

وعلى مستوى آخر، فإن النجاح في نقل صبه مواجهة الوضع الأساسي في الأراضي المحتلة إلى أيدي قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، والتطورات التي أدت إلى تجميد انتفاضة الشعب الفلسطيني، ووضع سلطة الحكم الذاتي الفلسطينية في مراجعة حالة من التوتر والاختلال الداخلي، ثم التطورات المتسارعة على الساحة الأردنية - الإسرائيلية، وما تبعها من استعظام فلسطيني أرمني حول أحقية الولاية على القدس، ومع استمرار بقاء القدرة العسكرية المصرية خارج ساحة الصراع الفعلي، كل هذا أدى إلى إضعاف مستوى التهديدات الموضوعية التي تواجه إسرائيل إلى الحد الأدنى، ربما تعذر إعلان الدولة وحتى الآن.

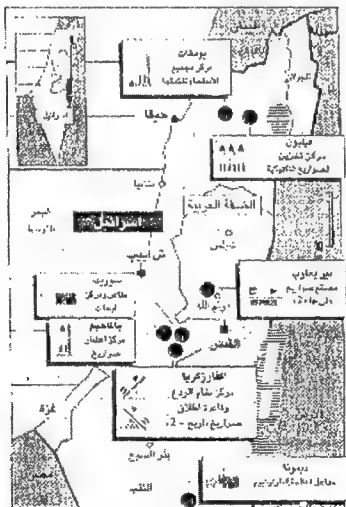
المدى العملياني للطائرات الحربية الإسرائيلية



الدائرة الخارجية في الشكل المدى الأقصى (بالأميال) الذي تستطيع طائرة إف-١٥ بلوغه في مهمة ذهاب فقط ورجوع حرة، أما للدوائر الداخلية فتظهر المدى الذي تستطيع مختلف أنواع الطائرات الإسرائيلية بلوغه ثم العودة إلى قاعدة انطلاقها. وتقديرات المدى المبينة في الشكل تفترض أن كل قاذفة تنطلق بحمولتها القصوى.

المصدر: «ترسانة إسرائيل الجوية»، بيكر براى، ص ١٩٧.

البيان	القدرات الصاروخية الإسرائيلية			
	أريحا - ١	أريحا - ٢	شافيت (أريحا - ٣)	لائس (أمريكي)
النوع	صاروخ تكتيكي	صاروخ متوسط المدى	صاروخ فضاء	صاروخ تكتيكي
التوجيه	أرض - أرض ،	أرض - أرض ،	-	أرض - أرض ،
الرأس الحربي	القصور الذاتي البسيط	القصور الذاتي البسيط	-	القصور الذاتي البسيط
الطول (متر)	نووي / تقليدي	نووي / تقليدي	-	نووي / تقليدي
المدى (كم)	-	-	٧٥٠٠	٦١٥
القطر (سم)	٦٥٠ - ٤٥٠	١٦٥٠ - ١٤٥٠	-	١٢٠ - ٧٠
وزن الإطلاق (كجم)	-	-	-	٥٦
وزن الرأس الحربي (كجم)	-	-	-	١٥٢٧ - ١٢٨٥
السرعة	٥٠٠	٥٠٠	-	(نووي ٧١٢) -
مراحل الدفع	-	-	-	(٤٥٤ شديد الانفجار)
وقود الدفع	-	-	٢	٢
الوضع العملي	صاحب	صاحب	صاحب	صاحب
	قيد الاستخدام	قيد التطوير	يجري تحويله إلى صاروخ	قيد الاستخدام
			أرض - أرض ،	



خريطة المواقع النووية في إسرائيل

ترتيب الدول طبقاً لإنتاجها واستيرادها من الأسلحة

الترتيب في استيراد الأسلحة		الترتيب في الإنتاج الحربي		الدولة
١٩٨٤ - ٨٠ (١)	١٩٨٠ - ٧٦ (١)	١٩٨٤ - ٨٠ (٢)	١٩٨٠ - ٧٦ (١)	
٧	١	٨	١	إسرائيل
٤	٢	٢	٢	للهند
-	١٠	١	٣	البرازيل
-	١١	-	٤	(يوغوسلافيا)
-	١٣	٤	٥	جنوب أفريقيا
٨	٦	١٥	٦	الأرجنتين
١٠	٥	٦	٧	تايلاند
-	٣	٧	٨	كوريا الجنوبية
-	١٤	١٥	٩	الفلبين
-	٦	-	١٠	تركيا
-	٩	٩	١١	إندونيسيا
٢	٤	١٠	١٢	مصر
-	١٢	٨	١٣	كوريا الشمالية
١١	٦	٩١	١٤	باكستان
-	١٥	٩	١٥	مغافورة

المصدر:

(1) H. WULF, "Arms industry unlimited, the economic impact of the arms sector in developing Countries, SIPRI, Papers, Sep. 1983.

(2) SIPRI, Year book.

,1986

(3) SIPRI, Year book, 1987

مذكورة في السوق الدولية للسلاح وعلاقتها بالدول النامية، د. زينب عوض الله، كتاب الأهرام الاقتصادي، أبريل ١٩٩١، ص ٦٨.



أوهام

ف الفكر الصهيوني: مغرق في عدائه للتاريخ.. وتزييفه وتسخيره لخدمة الرؤية والأهداف الصهيونية..!

وليس أدل على ذلك من المحاولات اليائسة لزعماء دولة الإرهاب ومؤرخيها، لمحو الشعب الفلسطيني بكامله من القراءة الصهيونية للتاريخ!!

وليصبح الفلسطينيون من «الجوييم».. ويهود الشتات «أرقى الشعوب» في التاريخ قديماً وحديثاً.. وفلسطين العربية هي «أرض الميعاد».. و«أرض للحليب والصن».. و«الوطن الأسمى»!!

وعقد معاهدة سلام بين الكيان الصهيوني والحكومة المصرية، أوحى لكثير من الباحثين والمؤرخين الإسرائيليين، بالبحث والاستقصاء.. بأساليب ملتوية.. لاختلاق علاقات وهمية بين المصريين وما يسمى بـ «يهود إسرائيل» عبر العصور المختلفة!

ولاستعراض معاً، وتأملاً، كيف يكتب التاريخ من وجهة نظر إسرائيل..!!

ففي دراسة للبروفيسور «شيمون شامير»^(١) للسفير الإسرائيلي السابق بالقاهرة، نشرت بمجلة المركز الأكاديمي الإسرائيلي.. ١٩٩٢، بعنوان: «العلاقات بين المجتمع المصري واليهود اليهودي في فلسطين قبل ١٩٤٨»^(٢). قال فيها:

«... لقد أثار تطور العلاقات بين المجتمع المصري والمجتمع الإسرائيلي، التي كان لي شرف متابعتها عن كثب، في خطراتها الأولى، آثار لدى حب الاستطلاع حول السؤال، هل كانت هناك خلال هذا القرن الذي نعيشه، روابط من التعاون بين المجتمعين، قبل بدء النزاع المسلح بينهما عام ١٩٤٨؟ وإن كان الرد إيجابياً فما هو مداها ومميزاتها؟»

ولهذه الغاية.. اللبيلة.. قصد شامير أرشيف عدة مراكز علمية، ودور وأقسام الوثائق في المؤسسات السياسية، والجامعة العبرية، وجمعيات رياضية وشركات ومؤسسات ثقافية وفنية، وبعد رحلة بحث مضنية، وجد إجابة سؤاله!

واتضح له... كانت هناك بالفعل، علاقات متشعبة ومتعددة الضروب والأشكال وبصورة لم تخطر لي على بال»!

وقال بأن «جميع زعماد المجتمع اليهودي في فلسطين، خلال فترة الانتداب البريطاني، قد قاموا بزيارات لمصر... إذ كانت مصر بالنسبة لهذا المجتمع، الذي نطلق عليه الـ «يهوشوف» المركز الرئيسي للمنطقة، ونقطة انطلاق نحو آفاق الدنيا الواسعة»!

وأشار إلى مرور زعماء الـ «يهوشوف» عبر مصر، في طريقهم إلى دول الغرب، وفي طريق عودتهم منها، وجولاتهم بمصر، و«كانت بالطبع الزيارات الخاصة لمصر، ذات أهمية أكثر، وإغاية منها مقابلة زعماء الطائفة اليهودية في القاهرة والإسكندرية، ومقابلة سياسيين مصريين وممثلي السلطات البريطانية»!

ويضيف: «... كذلك وقد زعماء مصريون إلى.. الديار المقدسة.. لزيارتها، وقابلوا أبناء المجتمع اليهودي، وبإمكاننا



غزو التاريخ

عرفه عبده على

ألف «مواطن».. كانت مصر لهم ملجأ، وحظوا بمساعدة يهود القاهرة والإسكندرية والسلطات المصرية، أما في الحرب الثانية، فقد ازداد زوار مصر، و... تمت حركة نشيطة بين البلدين، وكذلك «تزايد النشاط التجاري بين البلدين».. وذلك لأن ظروف الحرب قد فرضت في مصر، ازدياد الطلب كثيرًا على مختلف السلع الاستهلاكية التي كان «...» في مقدور الصناعة والزراعة لدى الإيشوف تجهيزها بها!!

بعد الحرب العالمية الأولى، تأسست الجامعة العبرية بالقدس، وبإثره من أن التعاون بينهما وبين جامعة فواد الأول (القاهرة) لم يكن آنذاك رسميًا ودائمًا، إلا أن علاقات مختلفة كانت تربط بينهما:

... ففي حفل افتتاح الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٢٥، شارك من مصر: أحمد لطفي السيد، رئيس جامعة القاهرة، والذي أصبح بعد ثلاثة أعوام من هذا التاريخ، وزيرًا للمعارف المصرية!

وقد تمت المباحثات بين الجانبين، في مختلف إمكانات الحل كالتقسيم أو الاتحاد الكونفدرالي!!

ويقول إنه - بإمكانه - أن يعرب عن أسفه «على أن هذه المباحثات لم تؤد إلى نتائج عملية ملموسة، وعلى أن هؤلاء السياسيين لم يتمكنوا من منع الأحداث التراجيدية التي حدثت فيما بعد في الأراضي المقدسة»!!

ويؤكد شامير على أن السنوات التي كانت فيها العلاقات بين «الشعبين» أكثر مثانة ووثوقًا، هي سنوات ما بين الحربين العالميتين!

ففي الحرب العالمية الأولى، قامت السلطات العثمانية بطرد نحو أحد عشر

ألف نشير - على سبيل المثال - إلى السيدين مصطفى النحاس وسيد مرعي!!

وفي إشارة واضحة - لا تخلو من مأرب خبيث - يؤكد شامير على وجود «اتصالات سرية» بين زعماء اليهود والسياسيين المصريين، فيقول:

«... ومن الناحية التاريخية، فقد تمت الاتصالات السياسية - السرية - بين ممثلي الإيشوف وسياسيين مصريين، وكانت على جانب كبير من الأهمية، استهدفت إيجاد حلول وسط للنزاع بين اليهود والفلسطينيين، من شأنها الحيولة دون الرقوع أو نشوب المواجهة المسلحة بينهما»!

وحول هذا الموضوع، يشير إلى وجود مستندات ووثائق بدور الحفظ بالقدس ولندن، ومن بين السياسيين المصريين الذين شاركوا في هذه الاتصالات، طبقًا لمزاعمه: رئيسان للوزراء هما إسماعيل صدقي وعلى ماهر، والوزير محمد علي علوية، ورئيس مجلس الشيوخ محمد حسين هيكل، والأمين العام للجامعة العربية، عبدالرحمن عزام!!

... لقد كان البلدان واقعين - لفترة طويلة- تحت حكم سياسي واحد، وفي عصر حكم العماليك، ازداد ارتباط أرض إسرائيل بمصر سياسياً واقتصادياً، نتيجة لوجود الحكم المركزي فيها، ..

... ويستطيع كل من يطلع على المجموعة الكبيرة من الرسائل الخاصة والعامية، التي تبودلت بين يهود مصر ويهود - أرض إسرائيل - في القرنين السادس عشر والسابع عشر، معرفة مدى العلاقة التي كانت قائمة بين البلدين، ..

... ويصحح من المصادر اليهودية المختلفة، التي عذر عليها في وثائق البوذية، أن علاقات تجارية واسعة كانت تربط بين البلدين، !

وفي إحدى مطبوعات السفارة الإسرائيلية بالقاهرة، الصادرة عن مكتب الاستشار الإعلامي، بعنوان «إسرائيل القديمة المتجددة...» تتوالى الأكاذيب المفضحة .. ونقرأ:

... وهناك على سطح هذه المعمورة، أبناء شعبين فقد أحياء يرزقون، بإمكانهم مخاطبة بعضهم بعضاً قائلين: إن علاقاتنا الحضارية والثقافية والتجارية وغيرها، يرجع تاريخها إلى أربعة آلاف عام، هذان الشعبان هما: الشعب المصري والشعب الإسرائيلي. هذه هي الأبعاد .. هي الأبعاد التي تقف من وراء العلاقات المتجددة، بما فيها من علاقات اقتصادية وتجارية وتبادل تكنولوجيا العصر، والتي بدأت هي أيضاً مع إبرام معاهدة السلام، !!

وفي إحدى نشرات مركز الإعلام الإسرائيلي بالقدس^(٤)، بعنوان: «إسرائيل اليوم... تبدأ بالتحريف بدولة إسرائيل- الشرق الأوسطية- وموقعها، ومساحتها الأقل من مساحة محافظة الإسكندرية».. ونشأه - الشعب



ثم تحدث عن العلاقات الرياضية بين «الشعب العبري» و«الشعب المصري» وللدور المهم الذي لعبته بهذا الصدد، منظمة الرياضة اليهودية العالمية «مكابي».. مختصماً هذه الدراسة بتعليق إحدى صحف تل أبيب، على المباريات التي أجريت بين «منتخبي البلدين» عام ١٩٢٨:

«تفتنقل هذه الروح الودية القائمة في حقول الرياضة، إلى حقول الحياة أيضاً، لما في ذلك سعادة وفرحة للشعبين الشقيقتين، ولفرحة كل من يطمح للسلام، ولاكمال الأخوة وللزمانة بين الشعبين، !

وفي هذا الإنهاء أيضاً، نجتزئ بعضاً مما ورد في محاضرة بعنوان: «الجوانب الاقتصادية للعلاقات بين يهود مصر ويهود أرض إسرائيل»^(٣)، ألقاها إفرام دافيد أستاذ التاريخ اليهودي، بالجامعة العبرية بالقدس، قال:

ثم تحدث عن استضافة الجامعة العبرية لشخصيات مصرية بارزة، ففي عام ١٩٤٣، استضاف البروفيسور «ماجنس» رئيس للجامعة العبرية، عدداً من الأدياء المصريين، كان على رأسهم: طه حسين وحسين فوزي!

ويشير شامير إلى زيارات الباحثين بالجامعة العبرية، إلى مصر، الذين تخصصوا في دراسة: الحضارتين الفرعونية والإسلامية، والعصر الهيليني، واللغات الشرقية وأدبها، وأنهم شاركوا بالكتابة في المجالات المصرية، كما كانوا يتلقون دعوات للاشتراك في مؤتمرات وجمعيات علمية مصرية، منهم على سبيل المثال «إبراهيم برافر» عميد الجغرافيين الإسرائيليين، الذي تلقى عدة دعوات في المطريات واللاتيفيات، من الجمعية الجغرافية المصرية، والذي ... استضاف في بيته عدداً من علماء الجغرافية المصريين!

وإذا كان شامير قد حاول أن يتكرنا به «الكرم اليهودي» الشائع والمألوف... إلا أنه تناسى أن الجمعية الجغرافية المصرية في تلك الفترة، كان يرأسها اليهودي «فوكار» وسكرتيرها العام «أدولف قطاوي» أحد أقطاب عائلة قطاوي اليهودية الشهيرة!

ويشير أيضاً إلى «يسرائيل ولغسون» أستاذ اللغات السامية بكلية دار العلوم بالقاهرة، ودوره الخاص في «تطوير هذه العلاقات» ومبادرته إلى تنظيم الاحتفالات بتكري مرور ٨٠٠ عام على مولد «ابن ميمون» في أوائل عام ١٩٢٥، ومراسلاته بهذا الشأن مع شيخ الأزهر ووزير المعارف اللذين «أبدوا اهتماماً جماً بهذا النشاط الثقافي».. والتعاون الحضاري في مصر بين اليهود والمسلمين، !

وكان بين أعضاء اللجنة التنظيمية للاحتفالات: الأمير عمر طوسون وحسين صبري باشا.

الحديث، بالإنجليزية، ١٩٨٧، وله العديد من الأبحاث والدراسات التي تناولت تاريخ مصر المعاصر، والطوائف اليهودية، والديارات الفكرية التي سادت عصر الدولة العثمانية، وأبحاثاً ميدانية عن المجتمع الفلسطيني، ويشغل حالياً مدير معهد دراسات السلام بجامعة تل أبيب.

Sh. Shamir: "Relations between Egypt- (٢)
tian Society and the Jewish Yishuv of
Palestine before 1948" B.I.A.C.C.
no16, may 1992, pp. 5-9.

A. David: "New Sources on the His- (٣)
tory of the Jews of Egypt and Their
Ties with the Land of israel"
B.I.A.C.C. no13, July 1990, pp. 10-15

(٤) تعتمد السياسة الإعلامية الإسرائيلية -
القائمة لإشراف وزارة الخارجية - على
عدة معاور أساسية: أ - تمييز مكانة إسرائيل
في المجتمع العالمي وخلق المناخ الضامن
لاستمرارها. ب - ضمان أمن إسرائيل، ج -
التذكير المتواصل بأن إسرائيل هي تحقيق
لدعوة نبوية. د - التذكير المتواصل بالكارثة
النازية واضطهاد اليهود عبر التاريخ. هـ -
التأكيد على التطور الحضاري والمعجزات
التي حققتها إسرائيل في أرض الميعاد. و -
تحريف كل الحقائق التاريخية وإعادة
صياغتها لتدأب التوجهات الصهيونية،
ويمكننا استخلاص هذه المقاور بوضوح، في
مطبوعات «مركز الإعلام الإسرائيلي»
بالقدس، وأهم إصداراته: نشرة «إسرائيل
اليوم» بالعربية والإنجليزية، ورسالة «حقائق
عن إسرائيل»!



طه حسين

هو أمش:

(١) البروفيسور شيمون شامير:

كان ثالث سفور لإسرائيل في القاهرة (١٩٨٨)
- (١٩٩٠) وهو مؤسس المركز الأكاديمي
الإسرائيلي وأول مدير له (١٩٨٢ - ١٩٨٤)..
ولد في رومانيا في ١٥ ديسمبر ١٩٣٣،
وهاجر مع أسرته إلى فلسطين ١٩٤٠، درس
الاستشرق بالجامعة العبرية بالقدس، ونال
درجة الدكتوراه من جامعة برلين
الأمريكية، شغل منصب أستاذ للتاريخ الحديث
للشرق الأوسط ورئيساً لقسم «كابلان» لتاريخ
مصر وإسرائيل بجامعة تل أبيب..

أهم مؤلفاته: «التاريخ المعاصر للعرب في
الشرق الأوسط» ١٩٦٥ بالعبرية، و«مصر
تحت حكم السادات» ١٩٧٨ بالعبرية، و«الجزية
النازية من خلال العهد للتاريخي في مصر
وإسرائيل» ١٩٨١ بالإنجليزية، و«اليهود في
مصر: مجتمع شرق - لوسطى في العصر

الإسرائيلي - في هذه الرقعة قبل ثلاثة
آلاف وخمسمائة سنة! و.. «الذكريات
التاريخية المشتركة بين الدولتين
المتجارتين»!

ويمضي صناع هذه المطبوعة في
ترهاتهم، وحديثهم عن التفاعل العربي
الإسرائيلي .. هو بمثابة تفاعل مقومات
عربية شرقية أصيلة مع محيط إسرائيلي
معاصر حضارياً وفنياً وعلمياً، حصيلة
هذا التفاعل قد تشكل همزة وصل، وجسر
للفهم، وتوثيق عرى السلام بين الدول
العربية وإسرائيل!

و... هكذا يمكننا القول - بغض
واعتراف - أن شعبى إسرائيل ومصر
يكنهما مخاطبة بعضهما بعضاً، ليؤكد
أنهما الشعبان الوحيدان في العالم، اللذان
كانت تربطهما علاقات تاريخية
وحضارية وإنسانية منذ آلاف السنين،!

وتستمر القرصنة التاريخية لحساب
الأيدولوجية العنصرية الصهيونية، في
عبارات مسمومة ودعاوى زائفة، لافتعال
تاريخ لما يسمى بـ «الشعب الإسرائيلي»
واصطناع حضارة إسرائيلية - فأحلام
الصهيانية المدمرة للتوسعية الإجرامية..
تتلازم مع أحلامهم في غزو
التاريخ! ■



الملاحم الداخليّة

(أ) مياه جوفية من الطبقة الحاملة للماء في الساحل الغربي.

(ب) مياه جوفية من الطبقة الحاملة للماء في المرتفعات الشرقية.

(ج) بحيرة طبرية (٢٥ إلى ٣٠ بالمائة من موارد إسرائيل المائية).

وقد كان على هذه المصادر أن تفي

بقدرة إنتاجية تتراوح بين ١٦٠٠ و ٢١٠٠ مليون متر مكعب سنوياً. وكان تقدير هذه الكمية قائماً على أساس أن متوسط الاستهلاك السنوي للفرد الواحد يبلغ مائة متر مكعب (يخفّض إلى ٣٠ م^٣ في الأراضي المحتلة)، ومع الأخذ في الاعتبار توفير المياه لعدد يساوي أربعة أضعاف السكان الأصليين، تحسباً لعمليات الاستيطان المستمرة، وأن يخصص جزء من هذه المياه يكفي لرى الأراضي الزراعية في إسرائيل، ومساحتها ٤٠٠ ألف هكتار.

ويرى بعض الخبراء أن الأزمة قائمة فعلاً وستكون خانقة، بالرغم من أن النظام الإسرائيلي لاستغلال المياه يعد

مناخه، وتكسح مساحات الجفاف والقحط في يابسته عاماً بعد عام..

ولا تغيب مسألة المياه عن فكر الساسة الإسرائيليين. وإذا كان لإسرائيل خريطة أمنية تعرض على إحكامها، فإن «خريطتها المائية» لاتقل أهمية عن الأمنية.

ولا يجب أن تغيب عن أذهاننا طبيعة إسرائيل كمجتمع توسعي، وتزايد عدد سكانه بالهجرة؛ فإذا افترضنا أن ثروتها من المياه، منذ عشر سنوات، كانت تكفيها، فإنها - بلاشك - لم تمد تكفي الآن. وتؤكد التقارير على احتياج إسرائيل إلى زيادة مقدارها ٣٠ ٪ في مواردها المائية خلال السنوات العشر القادمة، وأنها تعيش أزمة مياه في الوقت الراهن، وقد تواجه كارثة، في غضون السنوات الخمس المقبلة، إذا لم تجد موارد مياه جديدة، وهو أمر يحمل في طياته احتمالات حرب جديدة في المنطقة..

والجدير بالذكر أن إسرائيل تصحب المياه من ثلاثة مصادر رئيسية هي:

فهل ثمة من يشك في أن المياه تمثل بعداً رئيسياً في استراتيجية الصراع العربي الإسرائيلي؟ لا نعتقد أن ائدين يختلفان في ذلك؛ ولكن بعضنا - في غمرة الكد اليومي، وتحت تأثير نقل الميديا الموجهة - قد ينسى، أحياناً، هذه الحقيقة، حتى تخذ أمور تجعل مسألة المياه في بؤرة الرؤية، فينتبه...

وليس سيناريو الصراع العربي الإسرائيلي هو وحده المتضمن لعصر المياه، فأينما توجهت في أرجاء الأرض تجد الصراعات، كجبرها وصغيرها، ظاهراً وخفياً، والمتوترة والدائمة إلى حين، من أجل الموارد الطبيعية، في عصر يمكن أن نسميه بعصر سحار الموارد الطبيعية؛ فالملك لبعض هذه الموارد يتحسب لليوم الذي ستلعب فيه، ويتطلع بشبق إلى ما بيد الآخرين من موارد، ويضع خطته للفرز عليها، إن أجلاً أو عاجلاً.. وتأتي المياه في مقدمة الثروات الطبيعية محط الأنظار والأطماع، فحنح في عالم يضطرب



لأزمة المياه في إسرائيل

رجب سعد السيد

فنان مصري، ومهتم بالدراسات البيئية.

جافة جديدة. وحتى لو أن مستوى الأمطار في ذلك الموسم كان جيداً، فإن ذلك سيجد بمثابة علاج مؤقت للأزمة القائمة..

وقد صاحب ذلك أن الطبقة الحاملة للمياه الجوفية في المنطقة الساحلية، وتعد أحد أهم مصادر المياه الطبيعية في إسرائيل، قد تعرض محتواها لنقص شديد في خريف عام ١٩٩٠. وفي الوقت نفسه، انخفض منسوب الماء في بحيرة طبرية إلى مستوى غير مسبوق، حتى وصل إلى (الخط الأحمر)، وهو القيمة السالبة للارتفاع ٢١٣ متراً!!

والجدير بالذكر أن آخر موجة جفاف حلت بإسرائيل كانت في عام ١٩٧٩، بعدها ارتفع مستوى الماء في الخزانات الجوفية الساحلية، وتضمنت أحوال الانزاع الهيدرولوجي العام في إسرائيل، كما أن (اكتشافات) مائية (جديدة) ضخمة - كما يقول الخبير الإسرائيلي ملاحم بنيامي - أدت إلى زيادة الإمكانات المائية في إسرائيل (١٤) -

وكانت إسرائيل تأمل في إيجاد حلول لتعويض هذا العجز، وأن تسهم الطبيعة في حل المشكلة، ولكن الرياح لم تأت بالمستهدى من السحب الممطرة! فقد بدأ موسم الأمطار ١٩٩١/٩٠ بداية سيئة، ولم يسقط في القطاع الشمالي إلا ٣٠٪ من متوسط المعدل من مياه الأمطار، أما في الوسط والجنوب، فسُقط لنقص المتحصل من مياه الأمطار إلى ١٠٪ فقط من المعدل السنوي. وكانت تلك قياسات للنصف الأول من موسم الأمطار، في نهاية ديسمبر ١٩٩٠. وقالت أجهزة الأرصاد الجوية الإسرائيلية إن تلك البداية المتواضعة تعني أن الموسم بكامله سيكون شحيحاً، وقد تضاعف سعة

واحدًا من أفضل نظم المياه العالمية تكاملاً، وأكثرها تقدماً وتعقيداً.

وقبل أن نعرض لأحوال أزمة المياه الإسرائيلية، يهمني أن نشير إلى حقيقة مهمة، وهي أن معظم موارد المياه التي تضع إسرائيل يدها عليها حالياً، موارد عربية؛ لمياه الضفة الغربية تمثل حوالي ٤٠٪ من مجموع استهلاك إسرائيل، كما أنها تسرق حوالي مليون متر مكعب من مياه الجولان، بالإضافة إلى أنها قد تمكنت من تحويل روافد الأنهار التي تنبع من جبل الشيخ في جنوب لبنان، وتحويل مجرى نهر الليطاني إلى نهر الحصباني عن طريق شق نفق يوفر لها كمية إضافية من المياه قدرها ٥٠٠ مليون متر مكعب. ولا تكف إسرائيل عن الترشق إلى مياه الليل، والتمسك من اللحم بالحصول على جانب منها، يفلق إليها عبر قطاع غزة واللقب.

ويقول خبير المياه الإسرائيلي «ملاحم بنيامي»، إن أنظمة المياه الإسرائيلية تصالحي، منذ عام ١٩٩١، صجرت قدره ١٥٠٠ مليون متر مكعب من المياه،

ويتوقع الإسرائيليون أن يحل الجفاف من وقت لآخر، إذ تمر بهم تلك الظروف في دورات زمنية تكاد تكون محددة؛ كما تكشف الدراسات التاريخية عن تغيرات مناخية مؤثرة، يدوم بعضها لعشرات السنين.

وفي الوقت الذي يعترى فيه القلب أحوال المناخ، ويؤثر بالسلب على كمية الأمطار، فإن معدلات استهلاك المياه في تزايد مستمر، نتيجة للزيادة في عدد السكان، ولتزايد طلب الأنشطة الصناعية على المياه، ولتكاليف النشاط الزراعي في إسرائيل.

ولقد تم التحقق من وجود الأزمة الحالية في وقت متأخر، مما أثار موجة من الانتقادات وتبادل الاتهام، قادها وزير للزراعة «رافائيل ليتان»، ضد المسؤولين عن إدارة النظام المائي في إسرائيل، وهم يتبعون وزارته!

وقد أعلن الوزير أنه في حالة استمرار الجفاف، فلابد من تنفيذ بعض الإجراءات الاستثنائية، مثل اقتلاع بعض مساحات من حدائق الموالج وغيرها من المزروعات المهمة للمياه، والتحديد الجبري لاستخدامات المياه في الأغراض المدنية.

ووضعت خطة طوارئ ضد الجفاف، اشتملت على اقتراح باستيراد المياه من بعض الدول، مثل: البانيا وتركيا و«يوغوسلافيا»، وقدرت التكلفة التي يمكن استيرادها بحوالي ٣٠٠ مليون متر مكعب.

ومن الحلول المطروحة للتخفيف من حدة هذه الأزمة، ترتيبات تهدف إلى إعادة تشغيل وحدات تحلية مياه البحر، وإنشاء وحدات تحلية جديدة، بالإضافة إلى رفع أسعار المياه، لعل الضغط على السكان يؤدي إلى تقليل الاستهلاك.

إن العامل الرئيسي الذي تعتمد عليه الحكومة الإسرائيلية في المفاضلة بين



وهي تصدر هذه الوحدات إلى كثير من دول العالم، إلا أن استخدام هذه الأنظمة داخل إسرائيل أم يتم إلا في نطاق ضيق وبالتحديد في ميناء إيلات.

وينادي بعض الخبراء بالتوسع في تطبيق أحدث معطيات التكنولوجيا الحيوية، والهندسة الوراثية في مجال الزراعة، لعله يسهم في توفير كميات كبيرة من المياه التي تستهلك في الزراعة والرى التقليديين. ولقد ثبتت فعالية هذه التكنولوجيا في خفض احتياجات المزرعة المائية الواحدة من مياه الرى، من ٥٠ ألف متر مكعب في السنة إلى ستة آلاف فقط. وثمة اتجاهات لتطبيق هذه التكنولوجيا في الانتفاع بالأمزون الطبيعي من المياه الجوفية ذات الملوحة العالية نسبياً في صحراء النقب، لزراعة هذه الصحراء.

ويرى بعض الخبراء أن جانباً من حدة أزمة المياه الإسرائيلية يرجع إلى البيروقراطية الحكومية والبطء في إجراءات مواجهة الأزمة، حيث يشارك في وضع السياسات المائية وتقليدها خمس وزارات هي: الطاقة - الزراعة - المالية - البنية - الداخلية. وقد أظهرت الأزمة ضرورة تطوير الأطر الإدارية والقانونية إلى الشكل الذي يساعد على إيجاد حلول معقولة وسريعة.

ويصاحب القصور في الموارد المائية الإسرائيلية تدهور في أنظمة الصرف الصحي، بالإضافة إلى عدم معالجة المظفبات الصناعية قبل صرفها، وأيضاً الملوثات الكيميائية التي تنقل في مياه الصرف الزراعي.

وثمة خطط لإقامة منشآت لمعالجة مياه الصرف الملوثة تمهيداً لإعادة استخدامها في مختلف الأغراض، حسب نوعيتها ودرجة نقائها، ويتنظر أن تعلى هذه المنشآت كمية تتراوح بين ٤٠ و٥٠ مليون متر مكعب من المياه ذات المواصفات القياسية الصالحة للزراعة.

الخيارات الاستراتيجية المطروحة لتخطي أزمة نقص الموارد المائية هو التكلفة. ولقد ثبت لديها أن تنشيط أنظمة التحلية غير اقتصادي بصفة عامة، وحتى إذا طبق بشكل محدود ليقصر على سد الاحتياجات المدنية وخدمة بعض الصناعات، فإن تكلفته ستكون عالية جداً، بحيث يصعب اعتماده كمصدر للمياه في هذه المجالات، اللهم إلا إذا تكلفت الأنشطة الزراعية بتجنيب جزء من مبروداتها لدعم تحلية المياه، وذلك خلال السنوات العشرين القادمة.. وسيكون ذلك مقابل أن تساهل الزراعة بمصادر المياه الطبيعية الأخرى، وهي أكثر صلاحية لأعمال الرى.

ولعله من المناسب أن نذكر هنا أقوالاً بأن إسرائيل ترى أنه يجب تعويضها، إذا انسحبت من الأراضي العربية، ببناء معامل تحلية لمياه البحر، بتكلفة قدرها ثلاثة مليارات دولار.

وبالرغم من تطور تكنولوجيا تصنيع أنظمة ووحدات تحلية المياه في إسرائيل،



وفي مجال تبادل الاتهامات واللوم، انتقد أحد المسؤولين في وزارة الزراعة علماء الري والسياسات المائية لاختلافهم حول الإجراءات والسياسات المطلوبة لبلد مثل إسرائيل، مناخه جاف، مما يدفع الحكومة إلى تطبيق سياسات تصنع في حسابها أسوأ الظروف.

كما انتقد تقرير لأحد أجهزة الرقابة الإدارية في إسرائيل المسؤولين في وزارة الزراعة، وحملهم مسؤولية عشرين عاماً من الاجتهاد غير العلمي وتطبيق سياسات عفى عليها الزمن في إدارة النشاط الزراعي.

ويرى الخبير الإسرائيلي مناحم بنهامي أن الوضع حتى الآن، لا يمثل قضية خطيرة، وأن أحوال المياه الإسرائيلية يمكن أن تزداد سوءاً إذا ارتفعت نسبة الملوحة في خزاني المياه الجوفية الطبيعيين في إسرائيل، وهو أمر يتوقعه الخبراء، ويصفونه بالواقع المحتمل. ولقد بدأت نسبة الملوحة تزداد فعلاً في المخزون الساحلي من المياه الجوفية، بينما تتعرض المياه في الخزان الصخري الشرقي للتلوث وذلك بتسرب الملوثات خلال شقوق وتصدعات حلت ببعض طبقات الصخور المغشية لذلك الخزان.

المعجيب، أن الأمطار فاجأت الإسرائيليين، وسقطت فوقهم بغزارة في فبراير ١٩٩١، فارتفع منسوب المياه في بحيرة طبرية بمقدار عشرة سنتيمترات،

خلال أسبوع واحد، ثم توقفت مخيبة آمالهم، إذ كانوا يحتاجون إلى كمية من الأمطار تعادل ثلاثين مرة ما سقط في ذلك الوقت! ■

المصادر :

(١) World Water and Environmental Engineering, March, 1991.

(٢) جريدة العربي - للمد السادس - ٩ أغسطس

سنة ١٩٩٣ م.



الرد بمشروع

غنى عن القول بأننا لن نبدأ هنا من فراغ، فقد راكم عشرات المفكرين العرب مئات الدراسات حول الأزمة التي تأخذ بخناق الأمة، ومعدنات هذه الأزمة.

على أن ما نقدناه هنا ليس إلا خيطاً عريضة، في أمس الحاجة إلى جهود مكثفة من كل وطني كفاء، ديمقراطي، وطامح للتغيير؛ حتى يمكن تحويل هذه الأساسيات إلى مشروع نهضوي متكامل، يستجيب لاحتياجات المرحلة، ويوفر أحد أهم شروط النصر: البرنامج السياسي السليم.

في أساس ما جرى

بلا مقدمات مربية تقوُّض «المعسكر الاشتراكي» (١٩٨٩)، وبعد سنتين انفرط عقد الاتحاد السوفيتي، فدخل العالم عصرًا جديدًا في العلاقات الدولية؛ الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية؛ الأمر الذي انعكس سلبيًا على أقطار شتى، في تكريثاتها الطبقية، وقيمها، وثقافتها.

لقد وفر التقدم التكنولوجي الهائل للعالم الرأسمالي، فيما بين الستينيات

إن واجب المثقفين العرب الملزمين بقضايا أمتهم ووطنهم الكبير أن يلما بما حدث، ويرصدوا أسبابه، ويأيدوا معدناته، لينتهوا إلى استخلاص الدروس والمبرر، قبل اجتراح برنامج للمواجهة، وإنقاذ الوطن. ولا خيار آخر لنا.

علينا أن نصيد طرح مفاهيمنا الأساسية، على ضوء ما استجد من متغيرات، دون أن نتكيف مع هذه المتغيرات، أو نرضخ لشروطها؛ كما لانكتفى باجترار الماضي؛ وإلا تقاذفتنا الأحداث، واجتاحتنا للكرارث.

لقد وصل وطننا إلى مفترق مسبوري، ولاح في الأفق ما يهدد وجودنا القومي، تحت سوابك النظام الشرق الأوسطي.

غنى عن القول بأنه تسحيل مياغة مشروع نهضوي دخل جدران مختبرات الخبراء، أو في الأبراج العاجية التي يلوذ بها بعض المثقفين. بل إن صياغة مثل هذا المشروع ممكنة، فقط، في خضم الصراع ضد أعداء الأمة.

مع توارى الثمانينيات، ويزوغ التسعينيات، تصارعت أحداث العالم، على نحو دراماتيكي؛ فاخترفى «المعسكر الاشتراكي»، وانفطرت عقد الاتحاد السوفيتي، السند الدولي الرئيسي لقضايانا العربية؛ ولحقت بالعرب أنفسهم هزيمة عسكرية ساحقة، واشتد العداء بين أطرافهم، فعمقت التجزئة القومية، وترتب على هذا كله ميل ميزان القوى، بشكل صارخ، لصالح أعداء أمتنا، فاقترصوا هذه اللحظة الذهبية - التي لا يعلم إلا الله أين منتهائها - وأقبلوا على مشاريعهم، التي طال انتظارها على الورق وليداعسها الأدرج، يحاولون التحجيل بنقلها إلى حيز التطبيق.

توالى الانهيارات الرسمية العربية، وعبرت عن نفسها في غير مجال، من بينها الاختراق الرسمي الفلسطيني للصراع العربي - الإسرائيلي، في اتفاق أوسلو/ واشنطن، (١٩٩٣/٩/١٣)؛ وبعده الاختراق الرسمي الأردني (١٩٩٤/٧/٢٥)، فالاختراق الرسمي المغربي (١٩٩٤/٩/١).



نَهْضَةُ رُبَى

عبد القادر ياسين

باحث ومؤرخ فلسطيني له العديد من الكتب والدراسات المنشورة.

وهي الميدان للعلامة الأمريكية^(١)، وأصبح المجال لمزيد من استنزاف الموارد الطبيعية في الدول المتخلفة، ولتدمير بيئتها الطبيعية، واستغلال التمايز الاجتماعي داخل أقطارها، بما يشي بمزيد من النتائج الكارثية في هذه الدول الهائسة.

بحسب «المعسكر الاشتراكي»، غاب معوم المشروعات الوطنية، بعد أن دأب هذا المعسكر على كبح جماح الأطماع الإمبريالية، واحتضان المشاريع المستقلة في العالم، لذا أتاح غيابها للرأسمالية العالمية استكمال إلحاق دول العالم بها، بالتدريج السريع. وبسبب من الاعتماد المتبادل غير المتكافئ بين الدول المتخلفة (الأطراف)، والدول الصناعية الكبرى (المركز)، تمتعت تبعية الأولى للثانية، وتجلي ذلك في التقسيم الدولي الجائر للعمل، فارتفعت معدلات منغ خامات الدول المتخلفة إلى الدول الصناعية الكبرى، وتوسعت الأولى في استغلال للصناعات الشديدة التلوث للبيئة، والتي

الديمقراطية دون الاستخدام الجيد لإمكانات الاقتصاد الاشتراكي، أو الاستفادة من النظرية الليبرالية في مجال القوميات؛ كما أدى إلى تفشي البيروقراطية في منظمات الحزب ومؤسسات الدولة، مما أسلم المواقع القيادية في الحزب والدولة إلى من خافوا قضية الاشتراكية، من البيروقراطيين، والبروليتيين، والانهازيين. الأمر الذي زاد في سخط شعوب «المعسكر الاشتراكي»، وانفصالها عن أحزائها الشيوعية. بل غدت الاشتراكية هنا منتكسة، شديدة التشوه.

بغضب «المعسكر الاشتراكي»، تفاقم الأزمة العالمية، وانهار توازن عالمي جديد، استمر زهاء ثلاثة قرون متصلة؛

والثمانينيات، فرصة ذهبية لتوجيه ضربات قاصمة إلى «المعسكر الاشتراكي»، الذي لم يحتمل هذه الضربات، بسبب افتقاده الديمقراطية، حيث أدى - ضمن ما أدى - إلى تراجع العلوم والاكتشافات والاختراعات العلمية في «المعسكر الاشتراكي»، مدد الحصف الثاني من الستينيات، والتي اصطلح على إطلاق اسم «مرحلة الجمود» على هذه الحقبة؛ وألحق ذلك التراجع الهزيمة بهذا المعسكر في مجال السباق التكنولوجي، بداية فكانت مقدمة غيابها عن المسرح الدولي، بعد أن توسع الغرب في أعمال التطريب الأيديولوجي ضد أقطار «المعسكر الاشتراكي»، وبرع في استخدام التكنولوجيا الاجتماعية للكارثة. فانهزمت النظم الاشتراكية في الحرب العالمية الثالثة، دون سلاح.

غني عن القول بأنه ما كان للمعسكر الاشتراكي أن ينهار بتأثير هذا التدخل، وحده، لولا عوامل داخلية خفرت في جملته، ووفرت التربة الخصبة، حتى أمكن لهذا التدخل الخارجي أن يعطي مردوده الباهر هذا؛ فقد حال غياب

تتطلب عمالة كثيفة رخيصة الكلفة، وتعود ملكية هذه المصانع للاحتكارات فوق القومية، التي غدت تسخر على ما يفرق ثلث إجمالي الاقتصاد العالمي. هذا كله أعمل تدميراً داخل العالم الثالث لحساب التحاقه بالخارج.

من جانبها أسهمت الحقبة النفطية (١٩٧٣ - ١٩٨٢) في زيادة تشويه البنى التطبيقية العربية؛ الأمر الذي عززه الانفتاح الاقتصادي، الذي أخذت معظم الدول العربية، بكل ما يعنيه من التحاق كامل بالغرب الرأسمالي، اقتصادياً وسياسياً، واندماج في سوقه العالمية، فمضلا عن حقه التحول الرأسمالي في القطر العربي المعنى. فقد أدى منخ البترودولار إلى تعزيز الأنشطة الرأسمالية في أقطار عربية شتى، كما ريد هذا المنخ النشاط الطفيلي وكلاء الشركات الاحتكارية الأجنبية المحليين، ونقل أعداد كبيرة من العمال إلى درجة أعلى في السلم الطبقي (البورجوازية الصغيرة)، وخلق صفوف العمال والفلاحين، بتشجيعه ظاهرة ازواج التكسب، مما زاد من تشوه هاتين الطبقتين، وأضعف روابط مزدوجي التكسب بطبقاتهم الأصلية، وحرّض النزعة الاستهلاكية على حساب القيم.

مع انحسار الحقبة النفطية، تعمقت الأزمة البنيوية لهاتين الطبقتين، وتفتت البطالة بين الفريجين، بشكل وبلى، فانتع نطاق الحالة في معظم الطبقات والفئات الاجتماعية العربية. وعلى المستوى الإقليمي استقرت دول الخليج وقرى البررة المضادة بهذه الحقبة، على حساب قوى التحرر الوطني، مما عجل في تأكل الأساس الاجتماعي للمشروعات الوطنية العربية، وأسس لانهيارات العربية اللاحقة، ومهد الأرض للهجمة المعادية الجديدة، وضاعف الانهصامات في وجه محاولات إقامة مشاريع وطنية منتقلة، في أي قطر عربي وغير مجال.



إعادة النظر في بنانا، الفكرية والتنظيمية، وفي تعالقاتنا، المحلية والإقليمية والعالمية، وفي أداتنا، وممارساتنا، وأساليبنا، وأشكال عملنا الجماهيري، دون أن ننسى خطابنا السياسي.

يبد أن ثمة ضرورة أكثر إلحاحاً للحرك السريع الجسور، من أجل مواجهة محاولات كسر إرادة أممتنا في المقاومة.

مجاهبة التطويق

فلاح سياسية كثيرة تهافت في وطننا العربي، على مدى العقود الثلاثة المنصرمة، فاندفعت القلعة الثقافية إلى خط المواجهة الأول. مما ضاعف للمهام المركلة للثقافة والمثقفين العرب الملتزمين بقضايا وطنهم وأمتهم.

تحاول ثقافة التطويق، جاهدة، تزيين وعيها، من خلال:

- إشاعة مفاهيم خاطئة حول التجديد والواقعية، كمرادف للاستسلام لإرادة العدو؛

- إظهار الوطنية والقومية وصون المبادئ وكأن الزمن قد تجاوزها؛

- الدعوة إلى تعايش الأديان السماوية، على حساب الدول الصغيرة المغلوبة؛

- تبهيت الفكرة العربية لصالح الشرق الأوسطية؛

- والترويج للصيغة الأمريكية للديمقراطية.

لذا تتقدم مهمة للتصدى لمحاولات التطويق على ما عدناها من مهامنا القومية. فثمة أهمية قصوى لرفض تطويق إرادتنا لصالح العدو، في شتى المجالات. حيث لازال الصهيونية عدونا، وسقط كذلك، مادامت تحتل ذرة

فيما كانت حصيلة إخفاقات المشاريع الوطنية والقومية والتقدمية في الوطن العربي فجوة واسعة، أخذت تشغلها مشاريع مشوهة، وجدت في أوضاع الوطن العربي المتردة خير حاضنة لها.

النقد والتجديد

يستحيل اللوج إلى هذا المشروع للهمسوى، دون إجراء مراجعة نقدية، علمية، وجسورة لمسيرتنا الثورية، في كل قطر على حده أولاً، وعلى المستوى القومي بأسره ثانياً، مراجعة تطال شتى مجالات حياتنا، بدءاً من الشأن الاقتصادي، ولتتهاء بالشأن الثقافي، مروراً بالاجتماعي، والسياسي، والعسكري، والثقافي، والنقابي. وعينا ألا نخشى شيئاً من جرم هذه المراجعة، فيأجرأنا لن نخسر إلا أخطاءنا.

بعد النقد، ثمة ضرورة تجديد قوانا، قبل أن نعد إلى توحيدها، مع

واحدة من تراثنا العربي؛ فلا تعايش بين الغاصب والمسرور، بين الجباني والضحية. بل إن المجابهة هي العلاقة الطبيعية الوحيدة في هذه الحالة.

لقد غدا المواطن العربي هدفاً لأوسع حملة ثقافية إمبريالية - صهيونية معادية، تبغي حرمانه من هويته الوطنية والقومية، ومن تراثه وتاريخه، واقتلاع جذوره الحضارية، وطمس ثقافته الوطنية، مع تجفيف منابعها؛ لإضعافه، وتركيبه، قبل تشييده، ونمذجته، وإرغامه على الاكتفاء بالثقافة، وحرمانه من القدرة على الإبداع، أي تعميق تبعيته، حتى الإلحاق الكامل في سائر المجالات، وفي المقدمة منها المجال الثقافي.

تتجه ضربة أعدائنا الرئيسة إلى ذاكرتنا الوطنية، في محاولة لمحوها، عبر تصفية تضالنا الوطني، وإهدار تضحيات شهدائنا. وفي هذا السدد، يسخر أعداء أمثنا آخر ما وصلت إليه ترسانتهم التكنولوجية من وسائل. ولحساب العولمة الأميركية، اقترح البث التلفزيوني الإمبريالي، بقوة، بروتنا، لإفساد حياتنا، وتدمير كل ما هو خير في قيمنا، وإشاعة القيم الرأسمالية الفاسدة في أوساطنا.

ولعلنا رهب أعداء الأمة بدينا، مادام لا يعمد إقامة الشعائر. كما استمره وأحرف قيمه الكبرى، وعملوا على تقييدها، بل دأبوا على محارلة تسخير هذا الدين لخدمة مصالحهم وتحقيق أطماعهم. بيد أن هؤلاء الأعداء سرعان ما كانوا ينقلبون على هذه الدين، إذا ما تم توظيفه، توظيفاً سليماً، ضد هذه المصالح والأطماع، وإشهاره في التعبئة الوطنية الجهادية.

في سياق محور هويتنا، ثمة تركيب صهيوني ملحوظ ضد مناراتنا

الدينية، في كل أرض عربية يحتلها الأعداء، من مساجد وكنائس، لتحويلها إلى دور لهو واسطيلات، فضلاً عن تدمير أضرحة وقبور رموزنا الوطنية.

في مواجهة هذا كله، ومن أجل تعزيز فعلنا المقاوم، لا بد من تشديد الحماية من حول ثقافتنا الوطنية، وتكوية روابطها بالثقافة العربية الجامعة. حيث علينا ألا نكتفي بالارتكان إلى القوة الكامنة في ثقافتنا الوطنية، فالدفاع عن هذه الثقافة لا تقوم به الملائكة، ولا يتم إنجازه بقوة الحتمية التاريخية، بل يحتاج إلى حماة نشطين، جسرين.

لذا علينا أن نرد الاعتبار إلى قيم التحرير والعداء ونجلو الذاكرة الوطنية، ونجترح مشروعاً الثقافي الوطني، الحميم الارتباط بالمشروع القومي، ونفصح شتى المشاريع الإمبريالية والصهيونية المعادية لأمتنا ووطننا، ونحشد أوسع جبهة ثقافية عربية، بادئين بجبهات ثقافية وطنية في كل قطر عربي

على حده، قبل أن تعتمد هذه الجبهات القطرية إلى التنسيق فيما بينها، فضلاً عن تضالنا الدؤوب من أجل إشاعة الديمقراطية، في شتى مجالات حياتنا.

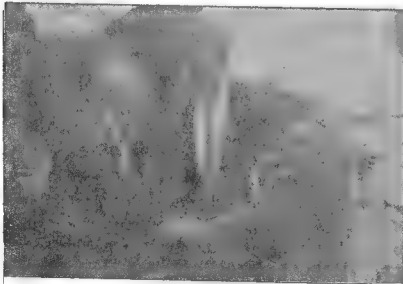
وبعد،

فلينا ألا تستصغر شأن الكلمة، فهي ليست مجرد «حجر على ورق»، بل «في البدء كان الكلمة»، وشأن بين الكلمة المجيدة والكلمة المضللة، وأما الزيد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض». صدق الله العظيم.

ملاحم المشروع

بعد مرور السنة الأولى على توقيع الاتفاق، والأشهر الستة الأولى على وضعه موضع التطبيق، غدا واضحاً أن الهجمة الإمبريالية - الصهيونية الشرسة الراهنة إنما تهدف إلى تهديد هويتنا، ومضاعفة معدلات نهب مواردها، وتعميق تبعيتها، وتفسير أبناء أمتنا لخدمة الاحتكارات العالمية، عبر المشروع الإمبريالي الجديد: «النظام الشرق

كليفين و رابين وياسر عرفات



المعاصرة، فمن الملح التسريع بتحديث المجتمع، وتنميته، مادياً وفكرياً.

بعد التخطيط وإنجاز المشروع على الورق، ثمة ضرورة لا مفر منها للنزول إلى الشارع، وعدم الاكتفاء بالعمل من النخب. مما يتطلب الوصول بدعوتنا ودعاتنا إلى قلب الريف، وأطراف المدينة، حتى نحول دون اغتيال هذا المشروع، بعد تحصينه بالوعي الشعبي، وتحويله إلى قضية شعبية.

غنى عن القول بأن كل ما سبق يتطلب التخلص السريع من عار الأمية، والجهل، مع إشاعة الثقافة والعلم.

أما المرأة، فلا بد من إطلاق سراحها، وتشغيل نصف المجتمع، بعد أن طال أمد تعطيله. وإلا ورثنا أجيالاً

مشوهة، فكرياً واجتماعياً؛ مما يجعل التحديث مستحيلاً.

أولويات التحرك

لا مفر من التحرك السريع، الجسر، من أجل العمل على وقف مظاهر الانهيار، وأغراضه، والكف عن الاستسلام لإرادة العدو، وصولاً إلى مشروعنا النهضوي، عبر ترافق خطوات ثلاث:

● إشاعة الديمقراطية، والصدى للانهيار، أولاً بأول؛

● توحيد قوى التغيير، في كل قطر على حدة، بادئين بالحوار، ثم التنسيق فيما بينها؛

● تشجيع كل خطوة تقريئنا من المشروع النهضوي، أو تراكم لصالح هذا المشروع، في مجال قطع دابر

للتبعية، والاستبداد، والاستغلال، والتمييز، والتجزئة القومية.

ويعد،

فقد أن الأوان حي ندخل العصر، بكل قوة، قبل أن يلفظنا، مرة وإلى الأبد؛ لننهضنا المجاعات الأفريقية والأريفة المنقرضة؛ بعد أن تكون الاحتكارات العالمية قد استنزفت، تماماً، مواردا الأولية، وخيراتنا الطبيعية. أما النفط العربي، فنستحوذ عليه الاحتكارات فوق القومية، بالكامل، ونحرم علينا أي استفادة منه. وسيف الوقت على رقابنا. ■

الهوامش:

● باحث ومؤرخ فلسطيني له صديد من الكتب والإصدارات المنشورة.

(1) يقصد بها توحيد العالم من خلف أمريكا، بعد أن استأثرت بالتكنولوجيا، وأحكمت سيطرتها على المراكز السهيمة على التحولات العالمية في العالم، والمراكز المقررة لاستخدام الموارد على صعيد كرنى، فضلاً عن مراكز الإعلام والاتصال، ومراكز للتدمير الشامل.



المقاومة .. أو الطريق

قا

«ما دخل اليهود من
حدودنا وإنما تمسرونا
كائنات من عربنا،
نزار قباطي»

«إن القضية الأساسية التي تشغلي منذ سنوات، هي مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي: الحياة والموت، الكيونة وانعدامها، الاستمرار والانقطاع.. تلك هي القضية التي تسبق في اهتماماتي.. ماعداها من قضايا، لأنها قضية المصير العربي في إطلاقة» (١) ..

وهذه القضية التي يحدث عنها محمد جبريل في أحد الحوارات التي أجريت معه، تبرز في عديد من رواياته وقصصه القصيرة. ولعل البداية في قصة عراف مجنون، (مجموعة انكاسات الأيام العصبية) .. فراوى القصة يتتبع رجلاً عرفه منذ كان طفلاً يوجب الشوارع، فالرجل له مشية مميزة، وأسلوب متميز في ارتداء ملابسه. حرصه الشديد على ارتداء البذلة، حتى في عز الصيف، تحدثت اللقاءات العفوية بين الراوى والرجل، وفي كل مرة، كانت أحوال الرجل تتغير، التفتت به في أماكن

كثيرة. السحنة المألوفة والمشية المميزة والتصريفات التي تثير الانتباه. غابت الصورة في إطار المألوف، فلم يجد يشدني (٢) تزيلا حالة الرجل سوءاً، فتبدو تصرفاته غريبة. اختار السير على الأرصفة، يرخي يديه ويرقعهما كأنه يرحب بصديق لا يراه. ثم نشعر بتوحد الراوى مع بطل القصة «شغلي التفكير في حياته وأنا في البيت، وأنا في المدرسة، وأنا في الطريق. كنت أبحث عنه - أحياناً - في شوارع وسط البلد، فلا أستريح حتى ألتقي به. بدت الحالة. تكرر على لساني كلمة واحد: الناصر. تزاحمت السراجل التي مر بها مع التطورات والأحداث التي مرت بها مصر: قيام الثورة، وإعلان الجمهورية. وتدهورت الحالة بعد مرور ثمانية عشر عاماً. حاول الرجل جاهداً - دون جدوى - أن يلفت نظراً للخطر القادم أن يتزعنا من اللحظة الآتية لاستشراف المستقبل، في نهاية القصة تحلت قدماء من الدرام، وطيائر الزيد من شذقيه، وتلاحقت الصيحات والكلمات التي لم يضح منها

إلا الكلمة القديمة: الناصر هل هذا هو واقعنا حقيقة؟! وشمل التغيير الراوى أيضاً، فقد مات والده، وباع أخوه الأكبر البيت، والدلالة واضحة على واقع سياسي عاشته مصر بعد سنوات من قيام الثورة. لا يكفى الفنان بالتلميح، بل إنه يصرح: «وطراً على الصورة تغير واضح، فالتحولات السياسية التي شهدتها مصر منذ أوائل السبعينيات، كانت تشي بالخطر القادم الذي لم نلتفت إليه أيامها» (يشير تاريخ كتابة القصة إلى ١٩٧٧، أي أنها كتبت قبل بداية مباحثات السلام واتفاقية كامب ديفيد) وإذا كان الناس قد أعملوا بطل «نبوة عراف مجنون» (٣) واعتبروه فاقد العقل، فإن محمد جبريل رفض اليأس، وما كان إرهاباً، أصبح كائناً مجسداً، وواقعاً على الحريش ضد الاستعمار الذي احتل أرضي بالحرب، لكنه يتجاوز ذلك إلى المستعمر الذي يسعى إلى احتلال أرضي، وتشويه حضارتي وقيمي ومورثاتي وملاحق شخصيتي، بواسطة أدوات قد يكون من بينهم معاهدة سلام (٤) .. ففي قصة



إلى الجـنـون

زينب السـال

مصحفة وكاتبة مصرية

ومخاوف وقلق، رد فعل يتسم بالتجاهل وعدم التصديق..

لقد قُدرنا قتلنا.. لقي الأب حتفه لأنه قاطعهم بعد أن عرف أسرارهم وزياتهم، لكن كانت مقاطعته فردية وصاجزة، ولم تلفت الأنظار للخطر المحقق للجميع، وخاصة الجيل التالي الذي يمثل في الأبناء. إن لنتهم هذا هي أطماعهم وتوسعاتهم التي أعلن عنها عديد من قانتهم في مناسبات مختلفة. يقول بن جوريون: «لوست المسألة مسألة احتفاظ بالوضع الراهن، فعلينا أن نقيم دولة غير متجمدة، دولة ديناميكية، نتجه إلى التوسع» (٨). ويضيف رئيس دولة إسرائيل الأسبق: «إننا نأمل بأن يؤدي السلام إلى زيادة الهجرة من الشتات، وإلى استثمارات متزايدة في الصناعة من الداخل والخارج، وإلى فتح أسواق كانت مغلقة أمامنا، والرغبة في تحقيق أهداف الصهيونية السامية بإقامة دولة نموذجية تندمج في دول المنطقة» (٩).

إن السمان في قصة «حدث استثنائي في أيام الأنفوشي» (١٠) «هو المقابل للرمزي الذي استخدمه المبدع بذكاء

مساراً آخر، ورمزاً مغايراً، في قصة، «تكوينات رمادية» (١١). فاللغة هنا هي أحد الأسرار التي يمتلكها بطل القصة، ومنها يستمد قوته في مواجهة العدو الذي يمثل في الخوافة ليفي. أحداث القصة قبل ١٩٤٨، أي قبل قيام دولة إسرائيل، سافر الخوافة ليفي - فيما بعد إلى إسرائيل، ضمن الأفواج الأولى لليهود المصريين) وهذه العبارة بعينها هي مفتاح قصتنا، «والسلاح الذي يملكه الأب في مواجهة المؤامرة هو الوعي المتمثل في مثابرتة على مراجعة القواميس الإنجليزية والفرنسية، وتدوين الجمل والملاحظات، فمسيان اللغة/ الوعي تهديد بلساني ما يعرفه من أسرار» (١٢) وما يسانيه الأب من هواجس

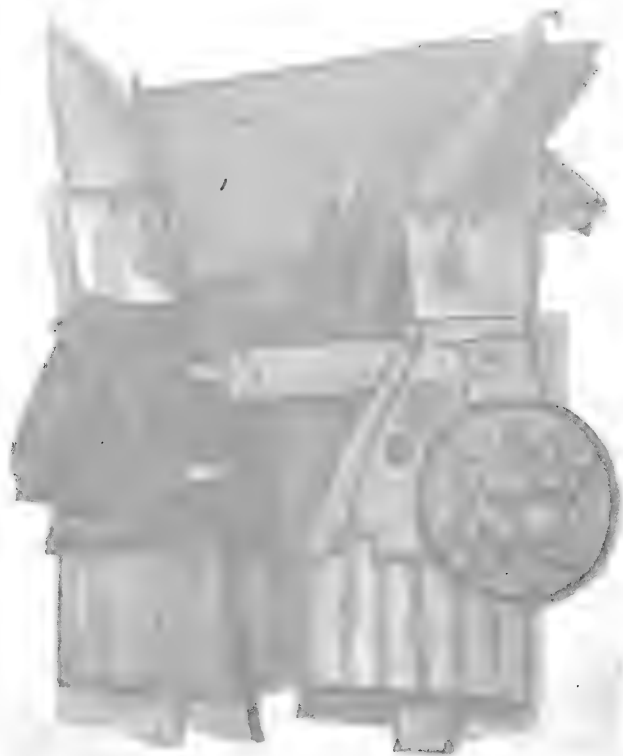
العودة (٥) «تتلازم الغربة الداخلية والخارجية مع الخطر القادم المتمثل في الطائرة المتجهة إلى إسرائيل. فاغتراب الإنسان خارج الوطن، تسلك إلى داخل الوطن، فقد بطل القصة الأمان، وفقد للتواصل مع الآخرين، اللغة القريبة تطارده، وتعلن عن نفسها، سواء في الغربة خارج الوطن، أو داخله كاليهمس، أو انعكاسات الأصوات في الأودية وقيعان الأبار، تناهت الكلمات إلى أذنيه. هز رأسه غير مصدق، ثم عاود التأكد. كان يقينه أن ما حدث في مسقط قد انتهى بإقلاق للطائرة، لغة ليست المصرية أو الإنجليزية أو الفرنسية. تنكشف لنا ماهية هذه اللغة عندما يصادف بطل القصة مجموعة من المساكين الإسرائيليين. بدوا سعداء بضاحكهم، وإن علت في أحاديثهم تلك المفردات التي عجز عن فهمها.. لكن البطل لا يجد سوى حزن أمه ملاً لمساناته وقزقه. وإذا كان انتشار الكلمات واللهجة القريبة على الأمسية، سبباً في عدم تواصل بطل القصة مع أهله.. فهذه اللغة بعيداً تتخذ



المراجعات

تكفير التكفير

IV نص مجهول للأخ الأكبر للإمام أبي حامد الفزائلي
«بوراق الإمام في تكفير من يحرّم السماع»: تحقيق وتعليق، هشام عبد العزيز.



للغرفة: فـاروك، بـرني



تكفير التكفير

نص مجهول

لأخ الأكبر للإمام أبي حامد الفزائى
بوارق الإلماع فى تكفير من يحرم السماع،

تحقيق وتعليق

هشام عبد العزيز

- عمل بالنظامية نيابة عن أخيه لما
تزهّد وكان يميل إلى الانقطاع والعزلة .
والمعروف عنه قليل مضطرب بين واعظ
وفقيه ومدرس بالنظامية ، ومتصوف ،
وخادم للصوفية وقد ذكر ابن العماد بيّتين
له .

وهان على اللّوم فى جلدوب حبها
وقبول الأعداءى إله لخليع
أصم إذا نوديت باسمى وإنلى
إذا قيل لى يا عبدها السّميع

وقال ابن كثير فى (البداية والنهاية) (١٢)
- أحمد بن محمد بن محمد أبو
الفتح الطوسى الفزائى أخو أبو حامد
الفزائى .

وقال صاحب شذرات الذهب : أبو
الفتح الفزائى أحمد محمد الطوسى ولم
يذكر أى منهم تاريخ مولده على حين
اتفقوا جميعا على أنه من وفيات سنة
(٥٢٠ هـ) وأصناف صاحب (شذرات
الذهب) توفى بقردين .

١- مؤلف الكتاب

ق - هو الشيخ أحمد بن محمد ابن
محمد الطوسى الفزائى . وقد ذكره ناسخ
النسخة (أ) باسم أحمد غزائى ، وأشار إليه
ناسخ النسخة (م) باسم أحمد بن محمد
الطوسى الفزائى وقد أشارت إليه
النسختان (ب) ، (هـ) باسم أحمد
الفزائى ، مثل النسخة (أ) وقال صاحب
(هنية العارفين) (١-٨٣) : أحمد ابن
محمد بن محمد بن محمد الطوسى أبو
الفتح الطوسى الفزائى الصوفى الشافعى .

تكفير التكفير

٢- مؤلفاته

- ١- بحر المحبة في أسرار العودة في تفسير سورة يوسف.
- ٢- بوارق الإلماع في تكفير من يحرم السماع .
- ٣- التجريد في كلمة التوحيد .
- ٤- الذخيرة في علم البصيرة .
- ٥- الرسالة العينية لعين القضاة الهاماني.
- ٦- كتاب الحق والحققة.
- ٧- لباب الإحياء : مختصر إحياء العلوم لأخيه أبي حامد الغزالي .
- ٨- المجالس والمواظ .
- ٩- مدخل السلوك إلى منازل الملوك.
- ١٠- لطائف الفكر وجوامع الدرر .
- هذه المؤلفات لم تجتمع المصاير على ذكرها جميعا .
- لم يتم تحقيق أى شيء من مؤلفاته .
- على حين تم طبع كتاب ولحد بمعرفة مطبعة مصطفى البابي الحلبي . وهو كتاب (التجريد في كلمة التوحيد) القاهرة سنة (١٩٦٠م) طباعة عادية ، بالقطع الصغير ، وكتب في النهاية : مصححا بمعرفة لجنة التصحيح .

ولجدهم الشكر على نشر المخطوطة على الأقل .

٣- نسخ الكتاب الخطية :-

(١) النسخة الأولى :- نسخة مخطوطة بقلم معناد مقروء ليس بها اسم الناسخ ، وهي على هامش مخطوطة أخرى عنوانها (رياض الأذكار وحياض الأسرار) لعبد الأحد النوري وتم الانتهاء من نسخ رياض الأذكار وحياض الأسرار في وقت الضحى من يوم الجمعة من شهر شوال سنة ست وعشرين ومائة وألف (١١٢٦ هـ) وبوارق الإلماع في الهامش يقع في (٥ ق) ورقة في حجم اللمن وقد حصلت منها على صورة ورقية تحت رقم (٢١٣٤١) من مكتبة جامعة القاهرة . وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (أ) .

(٢) النسخة الثانية :- هي النسخة رقم (٢٤٧) فقه تيمور) مخطوطة بقلم معناد ، غير واضح ، لكنه مقروء ، ليس بها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ في (٢٠ ص) ومسطرتها ١٤ سطرا في حجم الأربع ، وقد حصلت منها على صورة ورقية تحت ميكروفيلم رقم (١٢٤٣٨) من دار الكتب المصرية .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (س) .

(٣) النسخة الثالثة :- وهي النسخة رقم (٣٧٧) تصوف) نسخة مخطوطة بقلم معناد واضح ، منظمة ومقرؤة . تجد بهامش الصفحة الأولى اسم : محمد أبو جابر الخياط العاملي عفى الله عنه وتجد تاريخ (١١٣٨ هـ) ، أرجح أن هذا هو تاريخ النسخ . في (٩ق) ورقة . ومسطرتها ٢١ سطرا في حجم الأربع . وقد حصلت منها على صورة ورقية تحت ميكروفيلم (١٤٥٩٧) من دار الكتب المصرية .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (م) (٤) النسخة الرابعة :- هي النسخة رقم (٢١٩٦) تصوف) نسخة مخطوطة بقلم معناد واضح ، منظمة ومقرؤة . تجد بهامش الصفحة الأولى فوق العنوان مباشرة (ملك حاج محمد عسكر) ليس بها تاريخ النسخ . في (٦ ق) ورقة . ومسطرتها ٢١ سطرا في حجم اللمن وقد حصلت منها على صورة ورقية تحت ميكروفيلم () وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (هـ) .



مهریات إهداء



٥- منهج التحقيق :-

إن عملية ضبط نص الرسالة أثناء النسخ مع وجود اختلافات كثيرة بين النسخ الأربع كان أمراً شاقاً . رغم أن النسخ الأربع لم يكن بأى منها نقص إلا فيما ندر . والنقص أو الزيادة قليلا ما كان يتعدى السطر في أى نسخة . والخط واضح إلا في النسخة (ب) التى تفقر إلى التنظيم ، وخطها يقرأ بشيء من الصعوبة .

ورغم أن النسخ الأربع نُسخت فى فترة زمنية بعيدة عن زمن تأليفها - فعلى حين توفى الشيخ أحمد غزالى فى القرن السادس للهجرة (٥٢٠ هـ) . فأقدم للنسخ التى اعتمدت عليها نسخت حسب تاريخ النسخ المدون بها فى القرن الثانى عشر للهجرة (١١٢٦ هـ) . وهى النسخة (أ) . ومع ذلك فلم يكن أمامى إلا أن أعتبرها الأصل فهى أقدم النسخ المتاحة - كما أسلفت - كما أنها أصح النسخ وأكثرها تركيزاً ، رغم أنها كانت هامشا كما ذكرت .

أما النسخة (ب) : فقد عانيت من مشكلات عديدة بها كان أهمها : سوء الخط ، وعدم التصديق . حتى إنى فى بعض الأسطر كنت أقرأها على ضوء النسخ الأخرى .

أما النسختان (م) ، (هـ) فكانتا أكثر النسخ تنسيقاً ، وخطهما جيد ، رغم وجود بعض النقص فى كليهما . والنسختان لا تختلفان إلا فى البداية والفاضة . والاختلاف فى باقى الرسالة يكاد يكون معدوماً .

وفى ألفاظ الفناء الخاصة بالذات الطيبة مثل (سبحانه وتعالى) ، (تبارك وتعالى) (عز وجل) ... إلخ . فهى أيضاً مختلفة بين النسخ الأربع لكننى كنت أثبت ما هو مدون فى النسخة (أ) وقد أشرت إلى بعضها وتركت كثيراً منها وإلا امتلأ الهامش أكثر من ذلك .

وكذلك ألفاظ الفناء على اللبى ، وألفاظ الفناء والترحيم على الأعلام مثل: (رضى الله عنه) ، (رحمه الله) .. إلخ . كنت أثبت ما هو مدون فى النسخة (أ) وأشرت إلى بعضها فى الهامش . أما عن النقص أو الزيادة فى إحدى النسخ الأربع رغم قلة وجوده ، فقد أدخلت هذا النقص أو هذه الزيادة فى النص ، ووضعت ذلك بين قوسين مع الإشارة فى الهامش إلى النسخة التى بها الزيادة أو للنقص .

كان تخفى فى النص نادراً ومحسوساً ، فلم أتخذ بحذف أو زيادة إلا إذا اقتضى السياق ذلك ، مثل حذف حرف ، أو إضافته لضبط السياق ، وكنت

أفضل ذلك بعد الاطمئنان من النسخ الأخرى على سلامة النص كما أراد له مؤلفه ، وكنت أشير إلى ذلك فى الهامش .

فمت بنخريج الآيات القرآنية من المصحف الشريف ، والأحاديث الشريفة من كتب السنة معتمداً على المعجم المفهرس لألفاظ الحديث موضحاً صحيحة من موضوعه .

كتابه تعريفاً للأعلام غير المعروفين الذين ذكروا فى النص معتمداً على ذكر نبذ سرعة عنهم .

أحدث الكتاب بفهرس شامل كما يتطلب المنهج العلمى ، يتضمن الآتى :

- ١- فهرس الآيات القرآنية : مبيهاً اسم السورة ، ورقم الآية ، ومكية أو مدنية .
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية مرتباً ترتيباً أبجدياً ومخرجا من مظانه .
- ٣- فهرس الأعلام .
- ٤- فهرس للمراجع التى أعانت على التحقيق .

إن أحسنت فالحمد لله ، وإن أسأت فإله أسأل العون فى المرات القادمة ■

المحقق

هـ . ع

أكتوبر ١٩٩٤

تكفير التكفير

نص المؤلف (١)

هامش (١)

- بسم الله الرحمن الرحيم . (وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) . (٢)
- الحمد لله الذى أسمع العباد فى الميثاق الأول خطاب ألت بريك (٣) لإكمال رتبة العارف (٤) ، (وكممل عقول الطلاب لإدراك فوائد الأعمال واللطائف) (٥) (وأودع فى قلوبهم (٦) من أسرار كلامه الدقائق واللطائف) (٧) ، وأزال حجب أرواحهم التى تمنعها (٨) عن إدراك أسرار (٩) الصوارف ، والمصارف (١٠) .
- والصلاة والسلام على أشرف الرسل محمد (١١) ، الجامع بين المعاطف (١٢) ، والعواطف ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله (١٣) ، وأصحابه ، صلاة جامعة بين نواهي (١٤) البركات ، والشراف وبعد (١٥) .
- يقول (١٦) عبيد الله (١٧) ، المفتقر إلى رحمة الله تعالى ورضوانه أحمد بن محمد بن محمد (١٨) الطوسى الغزالي (١٩) - رحمة الله عليه (٢٠) : سألتى بعض إخوانى (٢١) أهل المواجيد (٢٢) - ثبته الله على مناهج (٢٣) الاستقامة - عن حقيقة السماع ، وفائدته ، والاستدلال عليه من .
- (١) من وضع المحقق .
- (٢) ما بين القوسين سقط من دء .
- (٣) المقصود بالآية رقم ١٧٢ من سورة الأعراف «وأشهدهم على أنفسهم ألت بريكم قالوا بلى» .
- (٤) فى دم ، دء ، المعارف .
- (٥) ما بين القوسين سقط من دء .
- (٦) سقط من دم ، دء .
- (٧) سقط من دم ، دء .
- (٨) فى دم ، يمنعها .
- (٩) سقط من دء ، دم .
- (١٠) فى دم ، دء ، السصارف والمعارف .
- (١١) سقط من دم .
- (١٢) فى دء الخوائف .
- (١٣) سقط من دء .
- (١٤) فى دء نواحي ، وفى دم ، دء ، دواعى .
- (١٥) سقط من دء ، دم .
- (١٦) فى دم ، فيقول .
- (١٧) فى دء عبد الله .
- (١٨) سقط من دم ، دء .
- (١٩) سقط من دء ، دم .
- (٢٠) سقط من دم ، وفى دء تاب الله عليه .
- (٢١) سقط من دء ، دم .
- (٢٢) سقط من دم ، وفى دء التوحيد .
- (٢٣) فى دم ، منهاج .

نص [٢]

الكتاب ، والسنة ، والإجماع . والرد على منكره ، وما يلزمهم شرعاً . فأجبت إلى ذلك لصدقه لطلب الحق ، وتوجهه إلى قبول نوازل الويق .^(١)

وسميته : (بوارق الإلماح في تكفير من يحرم السماع) ، ويتبين^(٢) شرفه بالإجماع .

نفعه^(٣) الله به ، ولمن^(٤) نظر فيه . إنه ولي الإجابة .

هامش [٣]

- (١) في دم ، ده ، الرد والردق هو السطر .
- (٢) في دم ، ده ، ويتبين .
- (٣) في دم ، ده ، نفعنا .
- (٤) في أله ، دس ، ومن .

تكفير التكفير

نص [٣]

هامش [٣]

- (١) سقط من داء .
- (٢) سقط من داء .
- (٣) سقط من دم ، داء .
- (٤) في دم ، يشهدا .
- (٥) في دم ، القول .
- (٦) في داء ، دم ، الموزونة .
- (٧) في داء مقرونا .
- (٨) في داء من وجد .
- (٩) في داء القلب .
- (١٠) سقط من دم ، داء .
- (١١) في داء ، دم ، بحملهم .
- (١٢) خلق المخلوق: أي المملاء . وهذا مثل لقضاء الممهلك في غيبه يقال: ألقي عنه جلباب المواء كما خلق الفرس الخمار فجمع فخلق لسان للرب السجل الرابع : ص ٥٥ .
- (١٣) سقط من داء ، دم ، وفي دم ، داء : ويحق الرسم : وصفق الرسم أي صوبها وهي من صباغة المسحق .
- (١٤) للتجرد عن رسوم الأغيار : أي خلا قتب البدن ورسره عما سوى الله .
- (١٥) في دم ، جانب .
- (١٦) في داء لهذا .
- (١٧) في دم ، المكان والزمان .
- (١٨) في دم ، محبوبهم .
- (١٩) في داء مخجل .
- (٢٠) في داء الأسرار .
- (٢١) في داء تجليات .
- (٢٢) في داء ، دم ، الاجتماع .
- (٢٣) في داء ، بصنهم .
- (٢٤) في دم ، داء ، إلى قلوبهم بل .
- (٢٥) في داء ، يهولهم .
- (٢٦) في دم ، داء ، فتلور .
- (٢٧) في داء ، دم ، فيميلوا .
- (٢٨) سقط من دم ، داء .
- (٢٩) سقط من داء .
- (٣٠) سقط من داء .
- (٣١) في دم ، داء ، للتويز .
- (٣٢) سقط من دم ، داء .

اعلم (وقفنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه ، وسلك بنا سبيل هداة) (١) أن سماع هذه الطائفة (قدس الله تعالى أرواحهم) (٢) عبارة عن إدراك (٣) الأسرار الغريبة من الأشعار الرقيقة التي ينشدها (٤) القوال (٥) بالأصوات المزوقة (٦) مترونة (٧) بالوجد (٨) الحاصل في قلب (٩) العارف العامل ، أو المريد (١٠) الكامل ، فيحملهم (١١) على خلع العذار (١٢) ، (ويحق الرسم) (١٣) والتجرد عن رسوم الأغيار (١٤) ، والانجذاب إلى جناب (١٥) الواحد القهار . ولا بد لمثل (١٦) هذا السماع من (الزمان ، والمكان) (١٧) ، والإخوان .

أما الزمان : ففي أوقات صفاء قلوبهم ، وطلب الاجتماع والازدياد من آثار تجليات محبوبهم (١٨) ، إذ الحق متجل (١٩) على قلوب عباده الأبرار (٢٠) ، لتتنور قلوبهم بآثار تجلياته (٢١) الذاتية فإذا اجتمعوا في زمان إرادتهم للاجتماع (٢٢) على الصفاء انعكست أنوار قلوب بعضهم البعض (٢٣) (إلى قلوب) (٢٤) (من هو دونهم) (٢٥) في الرتبة ، فتتنور (٢٦) قلوبهم أيضاً ، فيميلون (٢٧) إلى طلب (٢٨) عالم البقاء والخروج عن فضلات عالم (٢٩) الفناء ، فيكون (حينئذ زمان) (٣٠) اجتماعهم رحمة ، وكرامة ، لتتنور (٣١) قلوب البعض بالبعض (٣٢) .

نص [٤]

(١) أما المكان: ففي (الأماكن البينة^(٢)) للعبادة ، كالزوايا ، (والخوانق^(٣)) . فإن كل^(٤) مكان بنى للعبادة تتعلق به نور^(٥) من أنوار^(٦) عالم الغيب ، وصار محلا للواردات الملكية ، والأسرار الروحية (٧) لا^(٨) كالإصطبل مثلا . فإنه إذا^(٩) جعل مسجداً^(١٠) تعلقت (به الحرمة والإجلال^(١١)) ، وصار محلا للملائكة بعد ما كان محلا للشياطين^(١٢) .

فإذا اجتمعوا في ذلك المكان ، ازداد صفاء قلوبهم ، وتزينت^(١٣) نفوسهم ، وتحسنت أخلاقهم^(١٤) ، (فيتأيد حالهم^(١٥)) بنور ذلك المكان ، ويقوى^(١٦) على الانسلاخات ، والتجريد ، والتفريد^(١٧) .

وأما الإخوان : فهم على ثلاثة أقسام :

إخوان الإسلام مطلقاً^(١٨) ، و^(١٩) المشاركون في الاسم . كالعوام ، والجهلة . فلا يجوز^(٢٠) مصاحبتهم دائماً . بل يصحبون لمحة^(٢١) لإفادتهم (ما ينتفعون به^(٢٢)) في الدين ، ويحرم اطلاعهم على بعض أقوال^(٢٣) الفقراء^(٢٤) . (المختص بهم^(٢٥)) و^(٢٦) الوارد عليهم من الأمور الغيبية ،

هامش [٤]

- (١) سقط من دس ، ٢ -
- (٢) في دأ ، الأماكن البينة .
- (٣) في دأ ، الحوالمق .
- (٤) في دم ، دهم ، كان .
- (٥) سقط من دم ، دهم .
- (٦) في دم ، دهم ، أنواع .
- (٧) في دم ، دهم ، الروحانية .
- (٨) سقط من دم ، دهم .
- (٩) سقط من دس ،
- (١٠) في دأ ، المسجد .
- (١١) في دس ، الحرمة والإجلال به .
- (١٢) في دم ، للشيطان .
- (١٣) في دس ، وتذهب ، وفي دم ، دهم ، وتذهب .
- (١٤) سقط من دأ ، دس .
- (١٥) في دأ ، فتأيد حالهم ، وفي دم ، دهم ، فتأيد حالهم .
- (١٦) في دم ، دهم ، وتقوى .
- (١٧) زائدة في دأ .
- (١٨) في دم ، دهم ، يطلق .
- (١٩) زائدة في دم ، دهم .
- (٢٠) في دم ، دهم ، يجوز .
- (٢١) في دم ، دهم ، لصحبه .
- (٢٢) في دأ ، بما يكتفون .
- (٢٣) في دأ ، دس ، أحوال .
- (٢٤) في دهم ، الفقهاء .
- (٢٥) في دم ، المختصين بهم ، وفي دهم ، المختصين بهم .
- (٢٦) زائدة في دم ، دهم .

تكفير التكفير

نص [٥]

هامش [٥]

- (١) مابيين القوسين فى «أ» ومتابعته من حال النبى عليه الصلاة والسلام ، وفى «س» مع الله تعالى .
 (٢) «لى مع الله وقت» : لم أعتز عليه .
 (٣) فى «س» كالمُنسبين من ، وفى «م» ، هـ. كالمُنسبين مع .
 (٤) فى «م» ، هـ. الرفاء .
 (٥) زائدة فى «م» ، هـ .
 (٦) سقط من «م» ، هـ .
 (٧) فى «م» ، هـ. قلوبهم أعلى الفقراء .
 (٨) زائدة فى «م» ، هـ .
 (٩) فى «م» ، هـ. وهو .
 (١٠) فى «م» ، هـ. وإذا .

والأنوار الروحية . الحاصلة لهم ببركة متابعة النبى صلى الله عليه وسلم ، (ومتابعة من هو على حال النبى صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى^(١)) حيث قال: «لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ، ولا نبى مرسل»^(٢) .

وإخوان الإرادة والمحبة: (كالمُنسبين^(٣) فى) العوام ، وأهل الصدق ، والصفاء^(٤) إلى الفقراء ، وقبولهم ما يظهر منهم بالاعتقاد الصحيح ، والإقبال الصريح ، والاجتهاد^(٥) .

فيجوز الاجتماع بهم^(٦) ، وإحضارهم فى مواطن أذكارهم ، وساعهم وعباداتهم . لأنهم بقوة محبتهم ، وإرادتهم ، وصدقهم ، يكتسبون من أنوار (قلوب العرفاء^(٧)) . فإذا رجعوا إلى الخلق ، والعوام ، انتفع غيرهم بهم ، قولاً ، وفعلًا .

وإخوان (الأقوال ، بل^(٨)) الأحوال ، والمواجيد ، والمعارف ، والتفاريذ : فهم^(٩) المراد بالإخوان الحقيقى . فإذا^(١٠) اجتمع الزمان ، والمكان ، والإخوان على ما ذكرنا ، وجب السماع حينئذ لأهل العرفان ، والأذواق . واستحب فى حق المريرين .

نص [٦]

هامش [٦]

لأن السماع الحقيقي مركب (الروح يسرى به الروح^(١)) (من الحال الإنسانية إلى المواطن القدسية^(٢)). قال الله تعالى:

(ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم)^(٣).

أى المواعظ ، والحق ، والحكمة . (فى القرآن^(٤)) ، والحديث ، والأشعار ، وغيرها قال (عليه السلام^(٥)) :
«إن من الشعر لحكمة»^(٦).

فمن لم يعلم الله به^(٧) خيراً فلا^(٨) يسمعه الحق مطلقاً ، فلزم منه ألا يسمعه الفوائد . (والأنوار والمواجيد^(٩)) (من السماع^(١٠)) . إذ الخاص ينتفى بانتفاء العام . فإذا لم يجد شخص الفوائد ، (والأنوار^(١١)) والمواجيد من السماع (يحرمه ويحرمه^(١٢)) الصوت الموزون.

وفى ترك سماع الأشعار ، والصوت الموزون مخالفة للنبى عليه الصلاة والسلام ، وانحراف^(١٣) عن متابعتة ، ومن^(١٤) خالف النبى ، وترك ما فعله عليه السلام ، معتقداً تركه ، فقد^(١٥) كذب القرآن^(١٦) . حيث قال الله تعالى:

(١) فى «م» ، «هـ» للروح يسرى بالروح .

(٢) سقط من «أ» .

(٣) «ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون» الآية رقم ٢٣ ، من سورة الأنفال .

(٤) فى «م» ، والقرآن .

(٥) فى «س» ، عليه الصلاة والسلام .

(٦) «إن من الشعر لحكمة» . أخرجه

البخارى من حديث أبى بن كعب

فى كتاب العلم . وانظر المغنى

دج ، (٩) ص ٣٦ ، دج ،

(٧) ص ٢٤١ .

(٨) فى «م» ، «هـ» فيه .

(٩) فى «م» ، «هـ» لم .

(١٠) سقط من «أ» ، وفى «س» ، والأنوار .

(١١) سقط من «م» ، «هـ» .

(١٢) سقط من «س» .

(١٣) فى «م» ، «هـ» بتحريمه ويحرج .

(١٤) فى «س» ، «م» ، «هـ» ، والانحراف .

(١٥) سقط من «م» ، «هـ» .

(١٦) سقط من «س» ، وفى «أ» قد .

(١٧) فى «م» ، «هـ» ، بالقرآن .

تكفير التكفير

نص [٧]

هامش [٧]

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا^(١)).

ومن كذب القرآن فقد^(٢) كفر بالاتفاق^(٣).

روى^(٤) البخارى ومسلم عن الربيع^(٥) بنت عفراء .
قالت :

« جاء النبى عليه السلام فجلس على فراشى ، فجعلت جويرتان لنا يضرين بالدف ويتدبن من قُتل من آبائهن يوم بدر ، فقالت إحداهن القول . قالت إحداهما : وفيما نبى الله يعلم ما فى غد ؟ فقال عليه السلام :
« دعى هذا وقولى ماكنت تكذبن » .
فأشدت :

وكيف ثوى بالمدينة بعدما

قضى و رَأَ منها جميل بن معمر^(٦) .

فعلى هذا : من أنكر (سماح الدف)^(٧) ، والصوت الموزون ، والشعر ، فقد أنكر فعل^(٨) النبى عليه السلام ، ومن أنكر فعل^(٨) النبى فقد^(٩) كفر بالاتفاق . كيف لا^(١٠) ؟ وهو عليه الصلاة والسلام^(١١) قد^(١٢) أمر الجويرية^(١٣) (بالقول الذى كانت تقول غناء)^(١٤) .

والأمر (على الوجوب^(١٥)) إذا تجرد عن القرائن^(١٦)
نحو :

(١) الآية رقم ٧٠ ، من سورة المشر .

(٢) سقط من «س» .

(٣) فى «م» ، «هـ» ، بالتفريق .

(٤) فى «أ» ، «هـ» روى .

(٥) فى «م» ، و «هـ» ، ربعة .

(٦) الحديث فى البخارى من حديث

الربيع بنت معوذ . انظر المبنى

دج ، (٢) من ٢٦٤ .

(٧) فى «أ» السماع بالدف .

(٨) فى «س» على فعل .

(٩) سقط من «أ» ، «س» .

(١٠) فى «أ» ، «س» ، وكيف .

(١١) فى «م» ، «هـ» ، وهو رسول الله .

(١٢) سقط من «م» ، «س» .

(١٣) فى «م» ، «هـ» ، الجويرتان .

(١٤) فى «أ» كانت بقولها غناء ، فى

«م» ، «هـ» ، بالقول الذى كانتا تقولان

وهو غناء .

(١٥) فى «أ» هو الوجوب ، وفى «س»

للوجوب .

(١٦) فى «م» ، «هـ» ، القرآن .

نص [٨]

هامش [٨]

- (١) الآية في المصحح الأربع (أطيعوا الله وأطيعوا) والآية هي رقم ١٠٨ من سورة المائدة (وانقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين) .
- (٢) في «د» ، «م» ، «هـ» ، وللندب .
- (٣) سقط من «د» ، «هـ» .
- (٤) في «أ» ، وكتبتهم .
- (٥) الآية رقم ٣٣ من سورة النور .
- (٦) في «أ» الإباحة .
- (٧) الآية رقم ٢٠ من سورة المائدة .
- (٨) سقط من «د» ، «هـ» .
- (٩) في «د» ، «هـ» ، خاص .
- (١٠) في «أ» ، «د» ، «هـ» ، «و» .
- (١١) في «د» ، «هـ» ، لحضنا .
- (١٢) في «د» ، «هـ» ، عليه .
- (١٣) في «د» ، «هـ» ، ما .
- (١٤) سقط من «د» .

(أطيعوا الله واسمعوا) (١) .
 أو للندب (٢) بالقرينة (٣) نحو:
 فكاتبوهم (٤) إن علمتم فيهم خيرا (٥) .
 أو للإباحة (٦) بالقرينة أيضا ، نحو :
 وإذا حللتم فاصطادوا (٧) .
 فإن (٨) قال المنكر : إن (٩) هذا مختص (١٠) بالنبى
 عليه السلام ، إذ لم يأمرنا بذلك ، ولو (١١) كان واجبا ،
 أو مستحبا لحثنا (١٢) على فعله . (كما نص على صلاة
 الضحى) (١٣) .
 قلنا : لا يلزم ذلك ، فإن متابعة النبى عليه السلام
 فى جميع ما فعل مما لم (١٤) يكن مختصا به (١٥) بقرينة
 كشهادته (١٦) لنفسه ، وغيرها ، مستفادة (١٧) من قوله
 تعالى :
 (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه (١٨)
 فانتهوا) (١٩) .
 ومن قوله تعالى :

نص (٩)

هامش [٩]

(١) الآية رقم ٢١٠ من سورة الأحزاب.

(٢) زائده في دم ، دهـ .

(٣) سقط من دأ ، دسـ .

(٤) في دم ، دهـ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) في دم ، دهـ رأبى . والحديث رواه الترمذى : أحكام محمد بن حنبل ٥ :

٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٢ .

(٦) في دأ ، دسـ و .

(٧) في دم ، دهـ وكيف .

(٨) في دم ، دهـ الجويريكن .

(٩) في دأ من .

(١٠) في دسـ ، و دم بالطريق .

(١١) سقط من دم ، دهـ .

(نقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة (١) .

وهذا (٢) قولاً كان أو فعلاً .

وأيضاً لما بعث معاذاً قاضياً إلى اليمن ، قال (عليه الصلاة والسلام لمعاذ (٣) : بم تحكم) ؟

قال : بكتاب الله تعالى .

قال : فإن لم تجد ؟

قال : فبسنة محمد رسوله (٤) .

قال : فإن لم تجد ؟

قال : أجتهد برأى (٥) .

فصوبه عليه السلام على ذلك .

وهذا يدل على : أن كل قول أو (٦) فعل له نظير فى الشرع ، ولم يرد النهى عنه ، ولم يفعله النبى عليه السلام ، ولا قاله ، جاز فعله .

فكيف (٧) ؟! وقد سمع النبى عليه السلام الدف . والصوت الحسن من الجاريتين (٨) اللتين صوتهما عورة فى (٩) وجه . فإذا ن الإصغاء إلى سماع قول الرجل (بطريق) (١٠) (الأولى) (١١) .

نص [١٠]

وروى^(١) البخارى ومسلم بإسنادهما^(٢) أيضا^(٣) : عن عايشة رضى الله عنها أنها قالت :

« إن أبى بكر دخل عندها^(٤) وعندها جاريتان فى أيام منى^(٥) (عند النبى عليه الصلاة والسلام^(٦)) تدفان^(٧) ، وتضريان^(٨) . وفى رواية : تغنيان^(٩) بما تناولت به الأنصار يوم بعث ، والنبى عليه السلام يتعشى^(١٠) بثوبه ، فانتهرهما^(١١) أبو بكر رضى الله عنه ، فكشف النبى عليه السلام عن وجهه الثوب^(١٢) ، وقال عليه السلام :

دعهما يا أبى بكر ، فإنها أيام عيد^(١٣) .

وقالت عايشة رضى الله عنهما :

« رأيت النبى عليه السلام يستترنى وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد^(١٤) .

وهذا الحديث يدل على استحباب سماع الدف^(١٥) ، والغناء . فمن أنكر عليه فقد أنكر على^(١٦) النبى عليه السلام ، ومن أنكر على^(١٧) النبى فقد كفر^(١٨) ، وبإساءة بغضب من الله ، وماواه جهنم وبئس المصير .

هامش [١٠]

(١) فى دم ، ده ، فروى .

(٢) سقط من دأ ، دس .

(٣) سقط من دم ، ده .

(٤) فى دأ ، علينا وفى دس ، عليها .

(٥) فى دأ ، عيد .

(٦) سقط من دس ، دم ، ده .

(٧) وفى دس ، يدفان ، وفى دم ، ده ، تدفان .

(٨) فى دس ، ويضريان .

(٩) فى دس ، دم ، ده ، يغنيان .

(١٠) فى دس ، متعشى ، وفى دم ، ده ، متعش .

(١١) فى دس ، فانتهرهما .

(١٢) زائدة فى دم ، ده .

(١٣) الحديث فى الصحيحين البخارى ومسلم : انظر المظنى على هامش الإحياء دج ، طبع ٢٤٥ .

(١٤) سقط من دس ، دم ، ده .

(١٥) فى دس ، السماع .

(١٦) زائدة فى دس ، دم ، ده .

(١٧) زائدة فى دم ، ده .

(١٨) زائدة فى دم ، ده .

تكشير التكشير

نص المؤلف (iii)

هامش (ii)

- (١) زائدة فى دم ، دهـ .
- (٢) فى دم ، دهـ ، بالعيد .
- (٣) زائدة فى دم ، دهـ .
- (٤) الآية رقم ٢٣ ، من سورة الأسراء .
- (٥) سقط من دس ، وفى دم ، دهـ ، إلا .
- (٦) زائدة فى دم ، دهـ .
- (٧) فى دم ، دهـ ، ابن .
- (٨) فى دم ، دهـ ، عرفات والحديث لم أعثر عليه بنصه لكنى وجدت : إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته مسند الإمام أحمد (٧٢) ص ١٠٨ .
- (٩) فى د ، دم ، دهـ ، والخير .
- (١٠) فى دم ، دهـ ، المقوية .
- (١١) فى دم ، دهـ ، يستحب .
- (١٢) فى دم ، دهـ ، ما .
- (١٣) فى دأ ، سواد .
- (١٤) فى دأ ، فى السفر .

فإن قال قائل : (١) إن هذا مختص (بيوم عيد^(٢)) ، لأنه عليه السلام سمع يوم عيد . قلنا : الإجماع على : أن خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم .

كما فى قوله تعالى :

(وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه^(٣)) وبوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف^(٤)) .

الآن^(٥) الخطاب مع النبي عليه السلام ، والمراد به^(٦) الأمة .

وفى مسند أحمد عن^(٧) عتبة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«من لم يقبل رخصة الله تعالى كان عليه من الذنوب مثل جبال عرفة»^(٨) .

وسماع الحق ، والخبر^(٩) ، والمواظ ، المقوى^(١٠) للدين ، واجب من كلام الله ، ومن كلام رسوله مستحب^(١١) مما^(١٢) سواهما^(١٤) ، كالأشعار ، وغيرها .

فإذن : سماع فوائد الأشعار أكد من الرخصة ، إذ الرخصة نقص ضرورى بعد الكمال ، كالنقص (فى الصلاة فى السفر) ، والمستحب كامل فى رتبته ، كصلاة الضحى .

نص (١٤)

هامش (١٤)

والكامل تم من النقص، من حيث هو^(١) كامل ،
وذلك^(٢) ناقص . فإذا لم يقبل الرخصة كان عليه من
الذنوب مثل^(٣) جبال عرفة .
فلو^(٤) ترك السماع المستحب المفهوم من مطلق . قوله
تعالى :

(ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم)^(٥) .
كان عليه من الذنوب أكثر من ذلك .

وروى البخارى ، ومسلم بإسنادهما^(٦) عن^(٧) عمر ابن
الشريد ، عن أبيه قال :

ردفت^(٨) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت^(٩) شيء ؟
قلت^(١٠) : نعم .

قال : هيه فأنشدته بيتاً ، فقال : هيه ، حتى أنشدته
مائة بيت^(١١) .

وهذا الحديث الكريم^(١٢) يدل على سماع الشعر ،
والأحاديث التى ذكرناها دالة^(١٣) على جواز^(١٤) سماع
المغنى^(١٥) ، وسماع الدف .

(١) فى دم ، دهر ، أنه .

(٢) زائدة فى دم ، دهر .

(٣) سقط من دأ .

(٤) فى دم ، دهر ، ولو .

(٥) الآية سبقت .

(٦) زائدة فى دم ، دهر .

(٧) فى دم ، دهر ، إلى .

(٨) فى دم ، دهر ، نقيت .

(٩) سقط من دس .

(١٠) أمية بن أبى الصلت كان يخبر
بالنبى قبل البعثة فلما سمع به كفر
حصداً له ركان شاعراً حكيماً :
المعارف : أين قتيبة .

(١١) فى دم ، دهر ، قالت .

(١٢) الحديث فى دم ، دهر ، وقال
فأنشدته بيتاً فقال فقله حتى أنشدته
مائة بيت ، والحديث : رواه مسلم :
انظر المغنى دها ، ص ٢٤٢ .

(١٣) زائدة فى دم ، دهر .

(١٤) فى دم ، دهر ، دلت .

(١٥) سقط من دم ، دهر .

(١٦) فى دم ، دهر ، الغناء .

تكفير التكفير

نص [١٣]

هامش [١٣]

فإذن : الجمع بينهما أكد ^(١).

وكيف وقد سمع النبي عليه السلام مجموعاً ،
حين ^(٢) . قالت جويرية بين يديه ضاربة الدف ^(٣) :

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المرسل حقاً
جئت بالأمير المطاع
جئتنا تمشى نبياً
مرحباً يا خير داع
وعلى يثرب فخرنا
وهب الرسم وقسمت
شرعة الدين المطاع

رواه الترمذى

فاجتمع ^(٥) فى حضرة النبي عليه الصلاة والسلام
سماع الشعراء ^(٦) . والدف ، والغناء .

(١) فى «م» ، «هـ» ، ليس الجمع .

(٢) فى «س» ، حين ما .

(٣) فى «م» ، «هـ» ، للدف .

(٤) ما بين القوسين سقط من «س» ،

«م» ، «هـ» . والحديث أخرجه

البيهقى فى دلائل النبوة من حديث

عائشة معضلاً وليس فيه ذكر

للدف والألحان . انظر المغنى

(٧ـ) من ٢٤٤ .

(٥) فى «م» ، «هـ» ، فأجمع .

(٦) فى «م» ، «هـ» ، الشعر .

نص [١٤]

هامش [١٤]

(١) في دم ، ده ، فعل يحضرته .

(٢) في دم ، ده ، فعل .

(٣) في دم ، ده ، م ، ده ، ظله .

(٤) في دم ، ده ، فعل يحضرته .

(٥) زائدة في دم ، ده .

(٦) في دم ، لزم .

(٧) في ده ، بالموزون .

(٨) في دم ، ده ، بالذخ .

(٩) في دم ، ده ، ويحرمه .

(١٠) زائدة في دم ، ده .

(١١) سقط من دم ، ده .

(١٢) في ده ، والفسق .

(١٣) في دم ، ده ، فعل .

(١٤) سقط من دم ، ده ، فعل .

(١٥) في دم ، ده ، وما .

(١٦) الآية سبقت .

(١٧) سقطت من جميع النسخ .

(١٨) في ده ، كدفون .

(١٩) في ده ، محمد عبد الصالح .

(٢٠) في دم ، بالحبة .

(٢١) في ده ، محمد عبد الصالح .

(٢٢) الحديث في دم ، ده ، له صيغة

أخرى (كانت الحبة يدفون وفي

رواية يردفون ولم أعثر لها عن

أصل لغوي ، بين يدى النبي صلى

الله عليه وسلم قولهم وهذا الحديث

يدل على استحباب الضرب بل

ويرقصون ويقولون محمد عبد

الصالح . فاستحسن اللبني صلى الله

عليه وسلم قولهم . والحديث لم

أعثر عليه .

فمن حرم هذه الثلاثة ، كان ذلك اعترافاً منه أن
النبي عليه السلام . فعل^(١) محرماً . ومن^(٢) اختلج في
بطنه^(٣) أنه عليه السلام فعل^(٤) محرماً فقد^(٥) كفر
بالاتفاق .

فإذن يلزم^(٦) لمترك السماع بالصوت الموزون^(٧) ،
والدفع^(٨) ، ومحرمه^(٩) أيضاً^(١٠) :

إمسا^(١١) الكفر ، إن اعتقد تحريم السماع ، أو^(١٢)
الفسق إن أعرض عنه ، ولم يسمعه . لتركه فعل ما
(فعله)^(١٣) النبي عليه السلام ، وإعراضه عن العمل
بالقرآن .

حيث قال (الله تعالى)^(١٤) :

(وما^(١٥) آتاكم الرسول فخذوه)^(١٦) .

وروى أحمد بن حنبل في مسنده (....)^(١٧) قالت :

«كانت الحبة يدفون^(١٨) بين يدى رسول الله عليه
الصلاة والسلام ، ويرقصون ويقولون : ؟ محمد عبد صالح^(١٩)
بالحشية^(٢٠) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«ما يقولون ؟ قال : يقولون : محمد عبد^(٢١) صالح^(٢٢) .

وهذا الحديث يدل على استحباب الضرب بالدفع ،
والرقص . لأن ذلك فعل .

نص [١٥]

هامش [١٥]

بين يدي رسول الله عليه السلام، وأصفي إليه. (١)
فمن أنكر سماع ضرب (٢) الذف، وحضور الرقص، فقد
أنكر على النبي عليه السلام، (ومن أنكر على النبي
عليه الصلاة والسلام (٣)، كفر بالاتفاق.
وروى (٤) البخاري ومسلم، عن عائشة رضي الله
عنها، أنها قالت:

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

«ما يال أقوام يتنزهون (٥) عن الشيء (٦) الذي صنعته،
فوالله (٨) (أنا أعلمهم) (٩) بالله، وأشدهم خشية (١٠)
وفي هذا الحديث (دليل واضح (١٢)، وإنكار على من
اجتنب ما فعله عليه الصلاة والسلام، ومن أنكر على
النبي (١٣) فهو فاسق (١٤). لأن الله تعالى أمر (١٥) بالعدل
والإحسان (١٦). والعاقل لا يستحق الإنكار عليه من
حيث هو (١٧) عادل. فلزم من هذا الحديث، وغيره
مما (١٨) ذكرنا من الأحاديث: أن من اجتنب حضور
السماع، و (١٩) حضور ضرب الذف، وحضور
الرقص (٢٠)، كان فاسقا.

فإن قال شخص: (نهائي شيخى، حرم
السماع (٢١))، إما مطلقا، أو على (٢٢) البعض، فأنا
أتابعه (في ذلك) (٢٣).

- (١) في «أ» إليهم.
- (٢) سقط من «س»، «م»، «هـ».
- (٣) سقط من «أ».
- (٤) في «أ»: ومن، وفي «س»: وعن.
- (٥) سقط من «أ».
- (٦) في «م»: أعرضوا بخط مغاير لبقية النسخة.
- (٧) في «أ» شيء وفي «م»: «هـ» الشيء.
- (٨) في «م»: «هـ» الله.
- (٩) في «م»: «هـ» أني لأعلمهم.
- (١٠) زائدة في «م»، «هـ».
- (١١) الحديث: لم أجده بهذا النص بل وجدت شطره الثاني فقط: والله أنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية. للشيخين من حديث عائشة: انظر المقتنى (ج٤) ص ١٥٦.
- (١٢) ما بين القوسين زائد في «م»، «هـ».
- (١٣) سقط من «أ».
- (١٤) في «س»: كافر.
- (١٥) في «س»: أمرنا، وفي «م»، «هـ»: أمره.
- (١٦) زائدة في «م»، «هـ».
- (١٧) في «س»: «م»، «هـ» أنه.
- (١٨) في «أ» لما.
- (١٩) في «م»: «هـ» بل.
- (٢٠) في «م»: «هـ» والرقص.
- (٢١) سقط من «س»، «هـ»، وفي «م»، «هـ»: عن تحريم السماع.
- (٢٢) في «م»: «هـ» عن.
- (٢٣) في «م»: «هـ» على.

نص [١٦]

قلنا : لزمه ترك متابعة النبي عليه السلام^(١) ،
(والإعراض على ما فعله عليه السلام) وسمعه ،
ومتابعة غيره ، ومن أعرض عما فعل^(٢) النبي عليه
السلام ، رغبة عنه ، كفر بالاتفاق وروى^(٣) أحمد ابن
حنبل في مسنده أيضاً ، عن علي رضي الله عنه ،
قال :

«أتيت النبي عليه السلام (أنا وجعفر وزيد)^(٤) ، فقال
لزيد :

أنت (أخونا مولانا)^(٥) ، فحجل^(٦) . وهو نوع من
الرقص .

وقال لجعفر : أنت أشبهت^(٧) خلقي ، وخلقي ، قال :
فحجل .

وقال لي : أنت منى وحجلت^(٨) .

وهذا الحديث دال على جواز الرقص عند طيبة الباطن
(للسماع) ، إذ فيه بشارة لأمر أخروي^(٩) وما فعل على
رضي الله عنه وجعفر وزيد تواجد ، فمن أنكر الرقص ،
والتواجد ، فقد أخطأ^(١٠) الصحابة ، ولزم من ذلك إقرار
النبي عليه السلام على^(١١) رؤية الخطأ ، واعتقاد
تقريره عليه السلام على الخطأ ، كفر بالإجماع .

هامش [١٦]

(١) في دم ، ده ، فيما فعله .

(٢) في دم ، ده ، فعله .

(٣) في دم ، وقال .

(٤) في دم ، ده ، أنا وزيد وجعفر .

(٥) في دم ، ده ، مسواي دون
أخونا .

(٦) زائدة في دم ، ده .

(٧) في دم ، شبهت .

(٨) الحديث : عذرت عليه بنص آخر :

«اختصم على وجعفر وزيد ابن
حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي
أنت منى وأنا منك فحجل . وقال
لجعفر أشبهت خلقي وخلقي فحجل ،
وقال لزيد أنت أخونا ومولانا
فحجل . الحديث لأبي داود من
حديث علي بإسناد حسن وهو عند
البيهقي دون فحجل . انظر المغني
(ج ٢) ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٩) ما بين القوسين في دم ، لسماع
بشارة الأمر الآخر ، ولي دم ،
ده ، وتصفيه بسماع أمر فيه بشارة
لأمر أخروي .

(١٠) في ده ، أخطأ .

(١١) سقط من دم ، ده .

تكفير التكفير

نص [١٧]

هامش [١٧]

فإن قال : سلمنا جواز التحجيل ، ولكن لا نسلم التكثير منه^(١) ، لأنه لم يفعل بحضرته عليه السلام .

قلنا : إذا فعل بحضرته عليه السلام (فعلا قليلا)^(٢) ، ولم ينكر هو عليه السلام (على)^(٣) ذلك الفعل ، دل ذلك على جواز كثرته ، إذ لولا جوازه لوجب عليه السلام (أن يبينه)^(٤) . كما في قوله تعالى^(٥) :

(وإذا أخذ الله ميثاق^(٦) الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)^(٧) .

ولما لم يتعرض عليه السلام لذلك ، دل على جوازه . وكيف وقد أقر عليه السلام الحبشة على الرقص بين يديه ، كما ذكرنا .

وقال أبو طالب المكي في «قوت القلوب»^(٨) : - وهو ثقة عند أهل الإسلام كلهم ، ولم يزل أهل المدينة مواظبين ، (وأهل مكة)^(٩) على السماع هذا . وقد سمع من الصحابة : (عبد الله)^(١٠) بن جعفر ، وابن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاوية ، وغيرهم ، فمن^(١١) أنكر السماع ، فقد أنكر على^(١٢) الصحابة ، ومن أنكر على الصحابة ،

(١) في «م» ، «هـ» فيه .

(٢) في «م» ، «هـ» فعل قليل .

(٣) سقط من «م» ، «هـ» .

(٤) في «س» ، «م» ، «هـ» بياته .

(٥) في «س» ، «م» ، «هـ» لقوله تعالى .

(٦) سقط من «أ» .

(٧) للآية رقم ١٨٧ ، من سورة آل عمران .

(٨) أبو طالب المكي : وهو محمد ابن

علي بن عطية أبو طالب المكي ،

الزاهد ، الورع ، المتعبد صاحب

كتاب (قوت القلوب : أول موسوعة

صوفية . وكتاب (علم القلوب) . مما

جعل حجة في هذا الباب توفي سنة

٣٨٦هـ . انظر (البداهة والنهاية)

لابن كثير . وانظر دول الإسلام)

ص ٧٤٣ .

(٩) سقط من «س» .

(١٠) في «م» ، «هـ» عبد الرحمن ابن

جعفر .

(١١) في «م» ، «هـ» ومن .

(١٢) سقط من «أ» .

والقول^(١) أعم (من^(٢)) أن يكون قرآنًا^(٣) ، (أو) حديثًا ، أو حكاية حال الصالحين ، أو^(٤) الأشعار الحسنة. وقد ورد في الخبر:

(زينوا القرآن بأصواتكم^(٥)) .

وفيه أيضًا :

(من لم يتغن بالقرآن^(٦) فليس منا)^(٧).

أراد به (آداء القراءة)^(٨) بالصوت الحسن^(٩) الموزون^(١٠) ، فإن ذلك أكثر تأثيرًا في القلب وقد ذكر الماوردي^(١١) في (الحاوي الكبير) كلاماً معناه :

أن معاوية بلغه أن عبد الله بن جعفر مكب على السماع ، مستغرق أوقاته فيه فقال لعمر بن العاص^(١٢) : قم بنا إليه ، فقد غلب هواه على شرفه^(١٣) ، فأتيا إليه ، وطرقا^(١٤) عليه الباب ، وجواريه تغنيه ، فأمرهن بالسكوت ، وأذن^(١٥) لهما بالدخول ، فلما استقر معاوية ، قال : مرهن يا عبد الله ، فليرجعن (إلى ما^(١٦)) .

- (١) في دس ، فالقول .
(٢) في دأ ، في .
(٣) في دس ، القرآن .
(٤) في دأ ، و .

- (٥) في دم ، هـ : « زينوا أصواتكم بالقرآن أو بالعكس » : والحديث رواه أبو داود وحده ، ص ٢٣١ وانظر أيضا المغني على هامش إحياء علوم الدين ، ص ٢٥١ .

- (٦) في دأ ، بالقرآن .
(٧) الحديث في البخاري : د ٢٥ ، ص ٢١٩ من حديث أبي هريرة . وانظر المغني ، ص ٢٤٩ .

- (٨) مابين القوسين في دم ، آداب القرآن .
(٩) سقط من دم ، هـ : وفي دأ ، للحسنة .
(١٠) في دأ ، الموزونة .

- (١١) الماوردي صاحب الحاوي الكبير : أبو محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي توفي سنة ٤٥٠ هـ عن ست وثمانين سنة ودفن بباب حرب . له تصانيف كثيرة . انظر البداية والنهاية د ١٢ ، ص ٨٠ .

- (١٢) في دم ، هـ : أحمد بن العاص .
(١٣) في دأ ، عرقه .
(١٤) في دم ، هـ : قطرقا .
(١٥) في دأ ، فأذن .
(١٦) في دم ، هـ : لما .

نص [٣٠]

هامش [٣٠]

(١) فى «س» ، «م» ، «هـ» كن .

(٢) فى «م» ، «هـ» فيه .

(٣) فى «أ» فجعل نظمين .

(٤) فى «م» ، «هـ» ويكنى .

(٥) سقط من «أ» .

(٦) فى «م» ، «هـ» الاستداه يحبه .

(٧) الحديث سبق .

(٨) فى «أ» والتولجيد .

(٩) الآية سبقت الإشارة إليها .

مَكَّن^(١) عليه^(٢) ، (فَجَعَلَن يَفْعِلَن^(٣)) ، ومعاوية يحرك رأسه ، ويهز^(٤) رجله من فوق السرير فقال له عمرو بن العاص :
إن من جنت تلحاه أحسن خلاصك منه^(٥)

فقال معاوية :

يا عمرو إن الكريم لطروب .

ومعاوية من كبار الصحابة ، وكاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخو زوجته أم حبيبة ، ومتابعته توجب الاهتداء^(٦) . حيث قال عليه السلام :
«أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(٧) .

فمن أنكر السماع بالصوت الحسن ، والأشعار الحسنة ، مع فهم أتباع الأحسن ، والتواجد^(٨) ، فيكون قد رد على القرآن ، ومن رد على القرآن كفر .
فإن قال : أراد بالقول فى قوله :

(يستمعون القول)^(٩)

القرآن ، والحديث ، والمواظ ، دون الأشعار بالغناء ، والدف .

قلنا : قد ذكرنا : أن النبى عليه الصلاة والسلام قد سمع الدف ، وسمع الشعر .

تكفير التكفير

نص [٢١]

هامش ٢١

- (١) في «أ» والجويريتين .
 (٢) في «أ» ، «س» قوله .
 (٣) في «م» ، «هـ» يستمعون القرآن بل القول . والآية سبقت الإشارة إليها .
 (٤) سقط من «أ» .
 (٥) في «س» ، «م» ، «هـ» من .
 (٦) سقط من «م» ، «هـ» .
 (٧) في «س» ، «م» ، «هـ» .
 (٨) الحديث: من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ترمذى تفسير
 (٩) أحمد بن حنبل ٥ : ١١٥ .
 (١٠) في «م» ، «هـ» وإنما ورد في الحديث
 (١١) في «م» ، «هـ» مشبهات والحديث:
 أخرجه البخارى كتاب ٢ : باب ٣٩ ،
 أحمد بن حنبل ٤ : ٢٦٧ .
 (١٢) زائدة في «م» ، «هـ» .
 (١٣) في «أ» ، «س» ، «هـ» .
 (١٤) الآية في «أ» ، «س» ، «هـ» ولا تقولوا لما تصف
 ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام
 لتفتروا على الله الكذب وهو كما
 أوردناها في المتن وشامها (إن الذين
 يفترسون على الله الكذب لا يفلحون
 وهي الآية رقم ١١٦ من سورة النحل
 (١٤) هذا الهامش غير موجود .
- وسمع الغناء من الحبشة ، والجويريتين (١) .
 وقوله (٢) : (يستمعون القول) (٣) ، (يتناول الكل) (٤)
 (فإذن) (٥) : إخراج بعض الصور في (٦) تناول اللفظ
 من غير قرينة ، و (٧) وتفسير القرآن (٨) بالرأى وقد ورد
 في الخبر:
 (من فسر القرآن برأيه فقد كفر) (٩)
 وأيضاً ورد في الخبر : (١٠)
 «الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور
 متشابهات» (١١)
 فإذا : لا يحل لأحد أن يحرم السماع (١٢) ويحلل
 باقى (١٣) الشرع . مالم يرد النص .
 قال الله تعالى :
 (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا
 حرام لتفتروا على الله الكذب) (١٤) .
 فمن قال : إن السماع حرام ، فقد حرم في الشرع
 مالم يحرم الشارع ، ومن حرم في .

نص [٢٢]

الشرع ^(١) حكماً برأيه، فمن غير نص، معتقداً ذلك، كفر. إذ لم يرو في كتاب الله، ولا في سنة رسوله، ولا في كلام الصحابة، ما يدل على تحريم السماع أصلاً. بل بعض الصحابة كانوا ^(٢) مواظبين على فعل السماع. كما قال أبو طالب المكي في قوت القلوب ^(٣) فإن ^(٤) استدلووا بقوله تعالى:

(وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية) ^(٥)

وهو الصغير، وهو ضرب إحدى راحتين بالأخرى ^(٦)، يخرج ^(٧) منهما صوت.

قلنا: هذا تأويل، و ^(٨) تحريف، لأنه تعالى قال:

(وما كان صلاتهم، وما قال سماعهم) ^(٩) عند البيت. وأيضاً قد يكون الشيء حراماً في حالة، ^(١٠) وحلالاً في أخرى، كالنظر إلى الأجنبية: حلال في حالة الإشهاد عليها، حرام في غيرها ^(١١).

واستدلوا أيضاً بقوله تعالى:

(ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها

هامش [٢٢]

(١) سقط من «م»، «هـ».

(٢) سقط من «م»، «هـ».

(٣) أبو طالب المكي سبق.

(٤) في «س»، قال.

(٥) الآية رقم ٣٦ من سورة الأنفال

(٦) في «أ»، الأخرى

(٧) في «م»، «هـ»، ليخرج.

(٨) سقط من «م»، «هـ».

(٩) ما بين القوسين في «أ»، وما كان

سماعهم.

(١٠) سقط من «س»، وفي «أ»، أو

(١١) في «م»، «هـ»، غيره

نص [٢٣]

هامش [٢٣]

هزوا أولئك لهم عذاب مهين^(١)

ولهو الحديث: هو^(٢) الأشعار بالغناء.

قلنا: ليس هذا على الإطلاق^(٣)، بل هو مختص بالغناء الملهي^(٤)، المضل، المشتغل على الأكاذيب^(٥)، لما ذكرنا أن النبي عليه السلام سمع الغناء^(٦)، والشعر، وضرب^(٧) الدف.

وقال عليه السلام:

إن من الشعر لحكمة^(٨).

وهو الحديث. [ويغهم من قوله لهو^(٩) الحديث]: أنه يجوز سماع حق الحديث بل يجب العمل به، إذا تعلق به بعض الأحكام.

فإن قال: سلمنا سماع الدف بغير الصنوج^(١٠)، ولكن لا نسلم سماع^(١١) الدف بالصنوج^(١٢) قلنا: لما ثبت جواز^(١٣) سماع^(١٣) الدف من غير صنوج^(١٤)، ولم يرد^(١٥) نص^(١٦) في تحريم^(١٧) صوت الصنوج، ولا في^(١٨) كراهيته، فبقى على الإباحة. فإذا انضم مباح لا يسمع.

(١) للآية في «س» بدون ويخذها هزوا

أولئك لهم عذاب مهين والآية هي

رقم ٦ من سورة لقمان

(٢) في «أ» لهو.

(٣) في «أ» إطلاق.

(٤) في «أ» المهمل.

(٥) في «أ» للأكاذب.

(٦) في «د»، «هـ» المغنى.

(٧) في «د»، «هـ» صوت.

(٨) الحديث: سبق للإشارة إليه.

(٩) سقط من «أ».

(١٠) في «د»، «هـ» صنوج.

(١١) في «أ»، «س» جواز.

(١٢) في «د»، «هـ» بصنوج.

(١٣) سقط من «د»، «هـ».

(١٤) في «د»، «هـ» بغير.

(١٥) في «د»، «هـ» الصن.

(١٦) في «أ» يرد.

(١٧) في «د»، «هـ» تصريح.

(١٨) سقط من «د»، «هـ».

نص [٢٤]

إلى مباح يسمع؛ صار الكل مباحاً قطعاً، إذا لم يرد^(١) النص بتحريمهما^(٢).

كالجمع بين الأختين (فإن زواج)^(٣) كل واحدة^(٤) على انفرادها مباح، والجمع بينهما معاً^(٥) حرام بعض آخر. ومن قال بتحريم المباح فقد^(٦) أدخل في الشرع ما^(٧) ليس منه ومن أدخل في الشرع (ماليس^(٨) منه)، فسق، وخرج عن العدالة.

فإن قال: (سماع العوام^(٩)) حرام، وسماع الفقراء، وأهل المواجيد مباح.

قلنا: سماع العوام، وتواجدهم (على الصوت الموزون يشبه سماع الحبشة^(١٠)) يعني: (غناءهم بين^(١١)) يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورقصهم، ولا منع ورد على الامتناع (به^(١٢)) فبقى على الإباحة.

فإذن: سماع العوام، كتفرجاتهم^(١٣) فى البساتين. ولا خلاف فى إباحة ذلك، فسماعهم مثلها.

فإن قال: لو تواجد إنسان على صورة شخص، أو على محبته؛ كان حراماً^(١٤)

قلنا: قد^(١٥) ورد فى الخبر:

هامش [٢٤]

(١) فى «أ» ، «س» يرد

(٢) فى «أ» بتحريمها

(٣) فى «م»، «هـ» فإذا تزوج

(٤) سقط من «أ»، «س»

(٥) زائدة فى «أ»

(٦) زائدة فى «م»، «هـ»

(٧) فى «س»، «م»، «هـ» شيئاً

(٨) فى «أ» العوام

(٩) فى «أ» ماليس منه

(١٠) فى «م»، «هـ» على الصوت

الموزون سماع بل يشبه سماع الحبشة

(١١) من صياغة المحقق إذا سقطت من

جميع النسخ

(١٢) سقط من «م»، «هـ»

(١٣) فى «س» مثل راحتهم

(١٤) فى «م»، «هـ» كان حراماً له

(١٥) سقط من «أ»

تكفير التكفير

نص [٢٥]

هامش [٢٥]

- (١) في «م»، «هـ» التحاب.
- (٢) سقط من «س»، «م»، «هـ».
- (٣) الحديث : لم أعثر عليه.
- (٤) في «س»، «هـ»، «م» حيث قال عليه الصلاة والسلام.
- (٥) زائدة في «م»، «هـ» .
- (٦) في «م»، «هـ» فيضبطهم.
- (٧) الحديث : لم أعثر عليه بهذا النص وجدت: أين المتحابين بجلالي اليوم أظلمهم بظلي يوم لا ظل إلا ظلي مسلم: كتاب ٤٥ حديث ٣٧، أبو دارود كتاب ٣٩ باب ٢ أحمد بن حنبل ٣٧٠، ٣٣٨، ٢٣٧، ٢ : (٨) (جامع الأصول في أحاديث الرسول) للإمام محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير في عشرة مجلدات.
- (٩) في «م»، «هـ» وإذا.
- (١٠) في «س» تحاب.
- (١١) في «أ» لله.
- (١٢) في «س» والشهوات.
- (١٣) في «أ» لا.
- (١٤) في «م»، «هـ» متواجد.
- (١٥) في «س» يعترف.
- (١٦) في «أ»، «س» بالباطل.
- (١٧) زائدة في «أ».
- (١٨) سقط من «أ».
- (١٩) في «م»، «هـ» الأقوال.
- (٢٠) في «أ» لما وفي «س» سالما وفي «م»، «هـ» لالم.
- (٢١) ما بين القوسين في «م»، «س» بدر.
- (٢٢) في «أ»، «س» لهما .
- (٢٤) الحديث لم أعثر عليه .

«الحث على التحاب^(١) في الله (حَبِّ إِلَى)^(٢)»
(وقال عليه السلام)^(٣) .
ينادي الله تعالى يوم القيامة ، فيقول:
«أين المتحابون بجلالي؟ فينصب^(٤) لهم مناير من نور، يغبطهم^(٥) النبيون، والشهداء وهذا الحديث في (جامع الأصول)^(٨) .
فإذا^(٩) تحاب^(١٠) شخصان في الله^(١١) تعالى، وتواجد أحدهما على محبة الآخر، كان ذلك مباحاً وأما التواجد على الهوى، والشهوة^(١٢)، (فلا)^(١٣) يطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى .
فإذا وجد شخص عامي متواجداً^(١٤)، ولم يعرف^(١٥) هو بباطل^(١٦) محمله^(١٧)، وجب حمله^(١٨) على أحسن الأحوال^(١٩) (ما لم)^(٢٠) يظهر منه ما يخالف الشرع (حملا على قوله)^(٢١) عليه السلام:
«إذا بدأ^(٢٢) من أخيك كلام فلا تحمله على محمل السوء وأنت تجد (له)^(٢٣) محملا حسنا^(٢٤)» .

نص (٢٦)

هامش (٢٦)

فظهر (بما ذكرنا) ^(١) أن السماح مباح للعوام، و^(٢) أشد استحباباً للمريدين، واجب في حق أولياء الله تعالى. لأنهم ^(٣) يسمعون الخطاب من الله، (فيقربون بذلك) ^(٤)، ويتذكرون بالسماع الخلقى سماع خطاب الحق تعالى في وقت: (ألست بريكم) ^(٥).

ويتواجدون على ما يرد على بواطنهم من أنوار عالم القرب، المؤدى لهم إلى الانسلاخات عن النواميس الجسدية، والعوايق الحسية ^(٦). (فالدفع عندهم) ^(٧) إشارة إلى دائرة الأكوان (والجلد المتراكب) ^(٨) عليه إشارة إلى الوجود المطلق المحيط بالكائنات، (والضرب على) ^(٩) الدفع إشارة ^(١٠) إلى ^(١١) ورود الواردات الغيبية من باطن البطون على الوجود المطلق، لتحريك الأشياء، وإخراجها من القول إلى الفعل، والجلال الخمسة إشارة إلى المراتب الإنسانية، والمراتب الملكية ^(١٢)، والمراتب النبوية، ومراتب ^(١٣) الولاية، والمراتب الروحية إذ فيض الحق تعالى لا يظهر بالنسبة إلى ما وجدناه من الغيب الأعلى ^(١٤) (إلا) ^(١٥) بواسطة .

(١) في د، هـ، هـ، فما ذكره .

(٢) سقط من د، هـ، هـ .

(٣) في د، هـ، هـ، إذ هم .

(٤) زائدة في د، هـ، هـ .

(٥) الآية سبقت الإشارة إليها .

(٦) في د، هـ، الحسية .

(٧) في د، هـ، هـ: قلت وعندهم في

ضرب الدفع .

(٨) في د، هـ، هـ، والجلد الراكب، وفي د، هـ، هـ، فإن الراكب .

(٩) في د، هـ، هـ، قال الضرب في .

(١٠) في د، هـ، هـ، إشارة صح أصل .

(١١) سقط من د، هـ، هـ .

(١٢) في د، هـ، هـ، للملايكة .

(١٣) في د، هـ، هـ، د، هـ، والمراتب .

(١٤) سقط من د، هـ، هـ، وفي د، هـ، هـ، الاعلا .

(١٥) سقط من د، هـ، هـ .

تكفير التكفير

نص [٢٧]

هامش [٢٧]

هذه المراتب الخمسة .

والقصب (١) عندهم (٢) إشارة إلى الذات الإنسانية،
(والنفس النافذ) (٣) فيه إشارة إلى نفوذ حياة (٤) الحق
في قصب (٥) ذات الإنسان. وأثقاياه (٦) التسعة إشارة
إلى: منافذه التسعة في ظاهره. وهي:

الأذنان، والعينان، والمنخران، والفم، والقبل، والدبر
(فكل منها يظهر حكمة من الحكم) (٧) وسراً (٨) من
الأسرار.

وتسع في باطنه وهي: الصدر، والفؤاد، والروع،
والجنان، والخلد (٩)، والشغاف (١٠) والقلب، (والعقل،
والروح) (١١)

فإذا نفذت حياة الله في قصب (١٢) ذات الإنسان،
ظهرت في كل (١٣) رتبة منها) بوصف من الأوصاف.
فتظهر (١٤) في الصدر بالإسلام (١٥)، لقوله تعالى:

(أقمن شرح الله صدره للإسلام) (١٦)

وفي الفؤاد بالرؤية (١٧) لقوله تعالى:

(١) في «م»، «هـ»: فالقصبه

(٢) زائدة في «هـ»

(٣) في «م»، «هـ»: فالتكفير النافذ

(٤) سقط من «هـ»

(٥) في «م»، «هـ»: قصبه

(٦) في «م»، «هـ»: وأثقاياها

(٧) ما بين القوسين في «س»، «م»، «هـ»

وكل منها مظهر ظهور حكمه،

(٨) في «س»، «م»، «هـ»: وسر

(٩) في «هـ» والجلد

(١٠) في «س»، والسفائف

(١١) في «م»، «هـ»: والروح والعقل

(١٢) في «م»، «هـ»: قصبه

(١٣) في «هـ»: ومنها رتبة

(١٤) في «س»، «م»، «هـ»: فظهر

(١٥) سقط من «م»، «هـ»

(١٦) الآية رقم ٧٧، من سورة الزمر

(١٧) في «م»، الرؤية

نص (٣٨)

(ما كذب الفؤاد ما رأى). (١)

وكذلك البواقي.

وصورة المغنى (٢) إشارة إلى ظهور خطاب الحق بواسطة النبي، (والولي، على العبد في الابتداء، فيهيجه إلى تذكّار عالم القدس، والانجلاء) (٣)، فإن كان عارقاً رقص (إذ) (٤) الرقص هو الانتقال من محل إلى آخر، كما أن (للعارف رتبة الانتقال من مرتبة إلى أخرى) (٥) فإن (٦) كان محققاً قبل (٧)، إذ المحقق (٨) حقق الأشياء بالله، ووقف عند مركز (٩) الوحدة، (ويحول بعقله) (١٠) حول دائرة الكائنات.

وإن كان موحداً (١١) ارتفع إلى فوق، (إذ حال الموحد) (١٢): (التجرد، وهو التجرد التام (١٣) والكشف العام، فإن خرج عقله عن الحجاب، كشف رأسه، وإن تجردت (١٤) روحه عن العلايق الجسمانية (١٥)، خلع ثيابه، وإن دخل في حال علوي، والمغنى يتكلم في مقام سفلي؛ ألقى إليه بيتاً مناسباً لحاله، كي لا يتقهقر (١٦) بذلك عن

هامش (٣٨)

(١) الآية رقم ١١٠، من سورة النجم.

(٢) في «س»، «م»، «هـ» الفداء.

(٣) سقط من «م»، «هـ».

(٤) في «م»، «هـ» لأن.

(٥) مابين القوسين في «م»، «هـ».

«العارف رتبة الانتقال من رتبة إلى أخرى».

(٦) في «م» وإن.

(٧) في «م»، «هـ» وقف.

(٨) في «هـ» المحقق.

(٩) في «م» مركزه.

(١٠) في «هـ» ويحول بمقل، وفي «م»، «هـ» وتحول بعقله.

(١١) في «م»، «هـ» موجوداً.

(١٢) في «م»، «هـ» الموجد.

(١٣) مابين القوسين في «هـ» وهو التجرد التام.

(١٤) في «س»، «م»، «هـ» تجرد.

(١٥) في «م»، «هـ» للجسمانية.

(١٦) في «هـ» يتقهقرى.

نص [٢٩]

هامش [٢٩]

- (١) في «م»، «هـ» مكانه .
 (٢) سقط من «م» .
 (٣) ما بين القوسين في «هـ» سكروى أخذ،
 وفي «س» شكوى أخذ .
 (٤) في «هـ» وحال .
 (٥) في «س» يحل، وفي «م»، «هـ» محل
 (٦) ما بين القوسين في «م»، «هـ» شاميل
 النبي صلى الله عليه وسلم .
 (٧) في «هـ»، «س» إذا قيل
 (٨) البيت في «هـ» بذى الحال ... وحسن
 جمال فايز سارب العقل وفي «س» :
 بدا الحال ... سائب العقل وفي «م»،
 «هـ» بذى الخلل ... وحسن جمال فايز
 سارب العقل وقد أوردت البيت من
 النسخ الأربع كما رأيت حسب سياق
 الكلام .
 (٩) في «س» على سامله ، وفي «م» ،
 «هـ» على معاملته .
 (١٠) في «هـ» كما إذا قيل .
 (١١) البيتان في «هـ» (صبرت وتلت متى ...
 وبشرت منه بفتح قريب كأن سره العين
 بالملق ... فيا طالما عذبت بالحبوب
 وفي «م»، «هـ» فأطال ما ..
 (١٢) في «هـ» حالة
 (١٣) في «هـ» فظهرما .
 (١٤) سقط من «س»
 (١٥) في «هـ» وسماع
 (١٦) زائدة في «م»، «هـ»
 (١٧) ما بين القوسين زائد في «هـ»

مقامه^(١)، و^(٢) إن أشكل عليه أمر (شكوى أخذ) ^(٣)
 غيره، وجمال^(٤) معه، لحل^(٥) (عقدته وما سمع من
 المغنى من وصف الحسن، والخال، والخذ حمل على
 شمائل النبي عليه السلام)^(٦) (كما قيل)^(٧)
 (بدا الخال في وجهه وجل عن المثل

وحسن جمال فاتن سائب العقل)^(٨)
 أو حمل (معاملته)^(٩) مع الحق تعالى . (كما قيل)^(١٠)
 (صبرت وتلت بصبرى منى

وبشرت منه بفتح قريب

لئن سُرَّت العين بالملق

فيا طالما عذبت بالنعيب)^(١١)

فهذا (حال)^(١٢) السالك في سلوكه، فيتواجد بسمع
 ما وجد في الباطن عياناً .

(فيظهر بما)^(١٣) ذكرنا من التقريرات، والآيات،
 والأخبار:

أن محرم السماع مطلقاً كافر بالإجماع . إذ من
 مطلق السماع، سماع^(١٤) كلام الله وكلام^(١٥) رسوله ،
 وسماع كلام الحكمة من الأشعار، وغيرها^(١٦) ،
 (والصوت الموزون والدفع . فذلك رد على النبي عليه
 السلام). ^(١٧) وإن حرم سماع الفقراء بالأشعار .

نص [٣١]

فإن أفتى شخص: بحل ما أصله حرام (أو بتحريم)^(١) ما أصله (حلال)^(٢) ولم يشهد (له)^(٣) بذلك نص من كتاب الله، أو سنة رسول الله، (أو)^(٤) إجماع أهل الحل، والعقد قاطبة. أخطأ في فتواه، ويجب (زجره)^(٥) عن مثل ذلك^(٦). فلا يجوز (سماع قوله)^(٧) أصلاً. (والمفتون)^(٨) بتحريم السماع من هذا القبيل، فلا يجوز سماع قولهم، ولا العمل به، ويجب زجرهم عن ذلك.

إذ لم يرد بتحريم السماع (لا)^(٩) نص من كتاب الله، ولا (من)^(١٠) سنة رسول الله، بل النصوص، والأخبار، والآثار دالة على إباحته^(١١). كما ذكرنا^(١٢)

(اللهم أرنا الحق حقاً، وأرزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد؛ خاتم النبيين، وعلى آله، وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تم، بحمده تعالى مع الإتمام)^(١٣)

- (١) في دم، ده، وتحريم
- (٢) في دأ، مباح
- (٣) سقط من دس،
- (٤) في دم، و
- (٥) في دم، ده، أن يزجر
- (٦) سقط من دأ،
- (٧) في دس، السماع لقوله
- (٨) في دأ، والمفتون
- (٩) في دأ، هذه وفي دأ، في
- (١٠) سقط من دم، ده،
- (١١) في دم، ده، إباحة السماع
- (١٢) سقط من دم، ده،

(١٣) ما بين القوسين مطلق بين دأ، دس، سوى في اللهايم فهي في دس، وصلى الله على سيدنا محمد، خاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً الحمد لله ونعم الوكيل... ثم أما هذه الخاصة في دم: اللهم أرنا الحق حقاً ففتنهم، وأرنا الباطل باطلاً فنجبتهم، وارزقنا اجتنابه. والحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويكافي مزيده ويدافع نقمه، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الكواوين، وإمام القانتين وشيخ السائدين. صلاة تصل بها القصد وتفرج بها الكرب وترزقنا بها الكرامة والرحمة والبركة والسلامة والسفيرة والإكرام والإجلال والإقبال. ووفقنا لما فيه وترضاه بهاء سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد رضي الله عنه وعن التابعين ومن اتبعهم إلى يوم الدين. اللهم اغفر لي وإخواني وأحبابنا وأصحابنا ولما بيننا وبينك من حق علينا، وأمرانا.

اللهم وفقني للمعبر. وأعان عيبي. آمين يارب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم ثم روي دس: اللهم أرنا الحق حقاً فتنهم يارب العالمين وأرنا الباطل باطلاً فنجبتهم وارزقنا التمس التمس الحق، وارزقنا اجتناب الباطل يارب العالمين. والحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعم ربه، ويكافي مزيده، ويدافع نقمه. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد الكواوين، وإمام القانتين وشيخ السائدين صلاة تصل بها القصد وتفرج بها الكرب، وترزقنا بها الكرامة، والرحمة والبركة والسلامة والسفيرة والإكرام، والإجلال، والإقبال. ووفقنا لما فيه وترضاه بهاء سيد الأولين والآخرين رضي الله تعالى عن الصحابة والقراية أجمعين ومن تبعهم إلى يوم الدين. اللهم اغفر لوالدينا ولأحبابنا ولأصحابنا اللهم وفقهم للخير وأضهم عليه وكفا (في النسخة وكفينا) ولهاهم شر الأعداء والعاشرين يارب العالمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. كفت بحمد الله وعونه.....

فهرس الآيات القرآنية

اسم السورة	مكية أو مدنية	رقم الآية	الآية	مسلسل
الزمر	مكية	٢٢	أفمن شرح الله صدره للإسلام	(١)
الزمر	مكية	١٨	الذين يسمعون القول فينهيمن أحسنه	(٢)
الأعراف	مكية	١٧٢	أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى	(٣)
النور	مدنية	٣٣	فكانبوهم إن علمتم فيهم خيرا	(٤)
الأحزاب	مدنية	٢١	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة	(٥)
النجم	مكية	١١	ما كذب الفؤاد ما رأى	(٦)
المائدة	مدنية	١٠٨	وانتقوا الله واسمعوا	(٧)
آل عمران	مدنية	١٨٧	وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه	(٨)
المائدة	مدنية	٢	وإذا حلطم فاصطادوا	(٩)
			وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا	(١٠)
الإسراء	مكية	٢٣	نقل لهما أف	
النحل	مكية	١١٦	ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام	(١١)
الأأنفال	مكية	٢٣	ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم	(١٢)
الحشر	مدنية	٧	وما آتاكم الرسول فخذوه	(١٣)
الأأنفال	مكية	٣٥	وما كان صلاتهم عدد البيت إلا مكاء وتصدية	(١٤)
لقمان	مكية	٦	ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله	(١٥)
النساء	مدنية	١٥٠	ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين	(١٦)
			ذلك سبيلا	

١١- حديث:

محمد عبد صالح...
الحديث.
لم أعر عليه

١٢- حديث:

من فسر القرآن برأيه
فليتبوأ مقعده من النار
الحديث
أخرجه الترمذى: تفسير:

١ ومسلم: مناقبين: ٤٠
أحمد بن حنبل: ١٢٥: ٥
وهو عند الترمذى من
حديث ابن عباس وحسنه،
وهو عند أبى داود من
رواية ابن للمبد، وعند
النسائى فى الكبرى
انظر المغنى: ج-١:
ص ٣٧

١٣- حديث:

من لم يتغن بالقرآن...
الحديث.
رواه البخارى: من حديث
أبى هريرة
ج-٢٥: ص ٢١٩ حديث
رقم ٧٠٧٤

انظر البخارى بشرح
الكرمانى.
وانظر أيضاً المغنى ج-١:
ص ٢٤٩.

١٤- حديث:

من لم يقبل رخصة الله
تعالى... الحديث لم أعر
عليه
ولأحمد بن حنبل: ٢:
ص ١٠٨

إن الله يحب أن تؤتى
رخصه كما يكره أن تؤتى
معصيته.

١٥- حديث:

هل معك من شعر أمية
ابن أبى الصلت شىء...
الحديث رواه مسلم. انظر
المغنى ج-٢: ص ٢٤٢.

١٦- حديث:

والله أنا أعلمهم بالله
وأشدهم له خشية الحديث.
رواه البخارى من حديث
أنس وللشيخين من حديث
عائشة: والله إنى
لأعلمهم بالله وأشدهم له
خشية.

انظر الحافظ العراقى فى
المغنى تخريج أحاديث
الإحياء. ج-٤: ص ١٥٦

١٧- حديث:

ي نادى الله يوم القيامة: أين
المتحابون بجلالى...
الحديث. لم أعر عليه كما
ذكره المصنف.

ولالإمام مسلم: ينادى الله
يوم القيامة: أين المتحابون
بجلالى؟ اليوم أظلمهم
بظلى يوم لا ظل إلا ظلى
الإمام مسلم: الكتاب ٤٥:
الحديث: ٣٧، ٣٨

أبوداود: الكتاب ٣٩:
الباب ٢
الترمذى: الكتاب ٢٠:
الباب ٥٣

الدارمى: الكتاب ٢٠:
الباب ٤٤

أحمد بن حنبل: ٢: ٢٣٧/
٣٣٨ / ٣٧٠ / ٤٠٨ / ٤٦٢

٣: ٨٧ / ١٤٠ / ١٥٠/
١٥٦ / ٢٤١

٤: ١٢٨ / ١٦٥ / ٢٨٦/
٣٨٦

٥: ١٤٥ / ١٧٣ / ٢٢٩/
٢٤٧ / ٣٢٨.

فهرس الأعلام

- ١- أبو طالب المكى ١٧،
٢٢
- ٢- السرى ٣٠
- ٣- الجنيد ٣٠
- ٤- الماوردى ١٩
- ٥- أمية بن أبى الصلت ١٢
- ٦- ذوالنون المصرى ٣٠
- ٧- سفيان الثورى ٣٠

قاطنا رأيتهم، يأتون، يعبرون
 ما بين وعى وموتى يجذبون
 خصلات شعرى، ويترجم رأسى ثم يرتطم
 جسدى بكل شيء ويتناثر فوق المسافات.
 يقع دموية دالكة، ثم أراها فى المرأة تكبر
 وتكبر وتتفجر ويأتى، يلممه، يعقفه،
 ويحملنى بين ذراعيه، ثم يفرد عباؤه
 ويطويبنى. قلت له ذات يوم إني أريد أن
 أصبح عالمة قضاء، فضحك، وقالت أمى
 إنك دلتكى، وأفسدت كل شيء، ولم تعأ،
 حملتنى بين ساعديك، وضممتنى،
 وأشرت بيدك للزهرة ساهمة فى فلك
 السكون وضممتنى، قلت لك «ذلك
 تؤلمنى، وما زالت بصيلات الشوك على
 وجنتيك تخدش لحمى الطرى، والفصل
 طوب أخضر لين، عالٍ وفوق هامته
 سقيفة من الأخشاب المسقوفة، والنوافذ
 واسعة، تفتح صدرها للسماء، قال وهو
 يمسك بمعصم كفى، «انظرى، وكان
 وديعاً وحافياً، وتعلق الصببية حولى
 وحوله، كان طويلاً أيضاً، اضطر لأن
 يترقص حتى يكون فى مستوى طولى،
 ولمحت عينيه لأول مرة عن قرب، كانتا
 صافيتين، وكانت بصيلات الشوك تبهيم
 لى، والعرق يفيض فى معصمى، يقره
 بأصبعه، ويحمس البيض، وأنا أضحك،
 وأحير فى كل العوالم الخفية التى كنت
 أحلم بها، والبيض والدقات تتعالى، هذا
 الشيء يرقص فى دمي، يتوتر ككفترات
 بدائية، وحين أغلق كل النوافذ الخشبية،
 واختبأت السماء، وعاد الصببية إلى
 مقاعدهم، وساد الصمت، وأشعل القناب
 ثم عود البخور، وتساعد الدخان الدالكن،



منامات

ميرال الطحاوى*

* من مواليد عام ١٩٦٨، حاصلة على ماجستير
 فى الأدب العربى، نشرت قصصها فى «الهلال»،
 «القاهرة»، «أدب وتقد» لها مجموعة «يوم البرارى
 المستحيلة» عن هيئة الكتاب.

فكان البيخان يتراجها في
السول الرائع بين النهر والجبل.
تولفد صغيرة مرتفعة، أرباب متيقة،
وكثير من آثار السنين بين شقوق الطين
الذى فقد بهاءه حين احترق، على التوافد
قمصان من حديد سدئ وخلف القمصان
عيون تعودت التأمل فى أوقات العصر
وقبل الغروب. كان الطفلان قد تصادقا
منذ زمن مجهول، ربما قبل الميلاد، حين
امتلت بهما الأحشاء وأمسيات السمر
الهادئة. أحدهما يكبر الآخر بشهرين
لثنين، لأنه «ابن سبعة» كما تعودت أن
تطلق عليه فى شيء من الفخر أمه
المانية. والآخر يبلغ الآن أكثر من أعوام
ثلاثة. تلهزه أمه حين يدس يده فى
سرواله وتقول فى غير اقتناع حقيقى «كل
الرجال سواء»، وتبتسم الأخرى حيث
يفعل فعل الرجال فيروى الأرض
بفضلاته الصفراء الباهتة، مصيبا برذاذها
الخطيرة وأعواد العطب القرية. كان
الزوجان أجيرين، يخرجان ويعودان فى
رتابة الأيام المعهودة. يحتاجان
زوجتيهما فى ميعاد موقوت ولا يعرفان
التقبيل. صباح يوم الجمعة تتطايروا راحة
الصابون فوق أسطح البيوت مع أطراف
الملابس المبتلة فى حياء. وفى المساء
تكون الملابس قد جفت فطوى أمام
أكواب الشاي كما يطوى الصمت الليل
القادم بعد ساعات.

حتى كان اليوم الذى امتلعت فيه عن
إحداهما عادتها الشهرية وانطلقت
زغرودة صياحية من البيت إذناها بيوم
جديد من أيام الأشهر الثمانية القادمة.
أصطك خشب النافذة المقابلة وتبادلت



الحشرت من التلمسانى*

* من مواليد ١٩٦٥، مدرس مساعد للأدب
الفرنسى بمركز اللغات والترجمة بالأكاديمية
الفرنسية، نشرت قصصها فى «أدب ونقد»،
«الكاتب»، «نصف الدنيا».

صلاة الميت ودموع تهمر بلا توقف وأساور من البلاستيك تصطك في حركة اليد المساعدة الهابطة بين الأرض المثرية والرأس الممتشج بالسواد. ترك الرجل النسوة يتوافدن على البيت وقبع في الغرفة حتى حل المساء. كان السكن يلب الطريق حين خرجت الجارة إلى دارها، تحمل في أنفها رائحة دموع صاحبها المختلطة بالملح والعرق والتراب في جوفها شعور مزير بالفقد.

■

حملت بعض ثياب الصغير وقمصين من للفطير المقدد وسطلا من اللبن الطازج ابتاعته لحوها، وغربت صوب الجبل، مازال صوت تكبير الشيخ لصلاة العيد يذوي قادمة من المسجد البعيد. تكاد تستعثر، لم يعد الخطو قادرا على طي المسافات، كلما عبرت أرضا تفتحت أمامها سهول ووديان وحاصر ناظرها شموخ للجبل.

تعلقت عينا الأخرى بالظهور المنعنى إلى الأمام، كمن يجاهد أرضا عثرة حتى غاب للذوب الأسود عن النظر ولم يبق في الأفق المغمم سوى شبح برج الحمام الذي يطو سطح دوار الحمدة. الرجال

يصلون والأولاد يباهون بجلبابيههم ونعالهم التي لا تظهر إلا في الأعياد. صار البيت بلا أنيس سوى أفكار تأتي وتروح - قريبا يعود الرجل وابنه ويأكلان اللريد. ترى متى تعود صاحبتهما؟ تذكرت مسورتها في مرآة الصوان بجدارها للخشنة ويطنها المتكرر أبدا وثديها الذي صار كأنداء حيوانات العقل. قبضت بيدها على بطنها المتوتر أسفل الذوب الزاهي وراحت تحديق في غبش الصبح بلا هدف.

●

اقتلع لهم أحشاء صاحبتهما من جوفها ففقدت الإحساس بطعم الأشياء. ذهب الرجل ولم يعد من رحلته الأبدية، تزوج إسماعيل وهو بعد في السابعة عشرة ورحل مع عروسه إلى بيت أبيها الواقع على الجانب الآخر من للنهر. وتطوع التكبير في الجيش مع صديقه الوحيد فابتلتهما المدينة بلا رجعة. أما الصغير فقد بلغ أعراما تمصى تسعة عشر حين جاء أمه ذات صبح خريفي يطرق بديه الناعمين الباب الخشبي الطيق. نهافت طرف جلبابه للتظيف فوق كومة الحطب المستندة إلى الحائط وتعلقت به بعض

كسرات من القش. حين رفع جلبابه قليلا تبحت ساقاه وقد غطاهما شعر كدحيف كساقى شجرة نمت حديثا عند باحة البيت الحزين.

الفتت إلى نافذة البيت المقابل فوجدتها مغلقة. تردد قليلا.. طوق ثانية ثم صار متحملا صوب البيت الآخر. نافذته البحرية تطل في تلاوب على الساحة لفاصلة بين البيتين. دفع للخشب المتهالك خلف القصبان، وأصدر صوتا يشبه النداء الخافت.

لم يأت له الرد. توقف برهة ثم عقد عزمه على أن يرسل الخادمة لتخبر أمه نبأ زواجه القريب. ورحل.

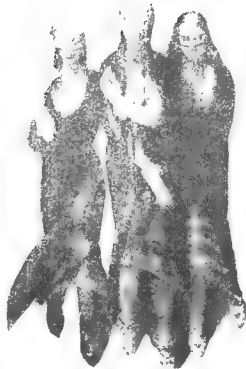
في ذلك الفجر الباهت كانت أمه قد اعترتها ثورة بكاء عارمة لعبعت إلى البيت الآخر ردت الباب الموصد. طالعها وجه الزوج قبل أن تبصر وجه صاحبتهما عند باب الحجر. دخلت. شربة ماء بارد. وكسرة خبز جافة تكسر شهقات الفزع المتوالية دونما انقطاع. احتضنتها وأدخلتها الغرفة وأغلقت الباب على أسرارهما كان الصبح وشيكا حين راحت صاحبة الدار تهدد صديقتهما وتلق في صمت مرارة الشعور بالفقد. ■

قاعدا تتجاوز صور خيال المآنة
مع أبو قردان والديك الرومي،
تبعث الحياة في ذاكرة الحلم .. الخيال ..
الطفولة .. ويتبدل الخوف طمعا .. فاستعيد
نفسى .. أمسى .. أبى وأمى ويكتب الطوم.
كانت تأثرنى قنقاسة رأسه المستديرة
وجزرة الأنف والأذنين، وجسده
المصلوب وملابسه الرثة الممزقة ..
يطوف صديق الفلاح الذى تعلمت كيف
أحبه كإخوتى لأنه كان عليما بهواضع
الثود فى أجسادنا .. وجسده .. وبين
قدميه.

كنت أتعجب لتلك الابتسامة البلهاء
التي تلو شفتيه طوال العام .. رغم تكالب
الطيور والأطفال عليه نقرأ والتهاماً
وتعزيقاً .. كم أشفق على جسد الصيد
المسيح وصاحب السجن .. وعلى نفسى
من كل هذا الضعف الخفى.

أتركه وحده .. هاربة من أسراب
الطيور النهمة .. فتمتلئ قدمائى وملابسى
بالوحل .. كم أخاف من أمى .. أتسلل إلى
سطح المنزل لعلى أنظفهما .. تعجز
أصابعى الصغيرة عن اجتلاب الأكم.

يفاجئنى بريشه المنفوش .. فتأثرنى ..
كم أحبه وأكرهه وأخافه .. تماماً كأمى ..
أبحث حولى عن سر هذا السرور الذى
يطو هامته، وأجلس الساعات أرقبه وأقلده
وهو يكركر .. ويكركر .. حتى تنكفخ
أوداجه الحمراء فيملأنى الفزع، والشوة،
فأجدرى، ويطاربنى كرجل حتى يمسك
بطرف جلبابى الكستور، أنهب إلى أمى
باكية أشكر نزقه عفى ..



الحجرات المفلقة

أمال كمال*

* من مواليد ١٩٦٤، مدرّس مساعد علم النفس
بكلية الأدب جامعة المنوفية، نشرت
قصصها فى الكاتبة .

أنزع من الدولاب بعض الملابس التي
لاأحتاج إليها..

ألمح أبى عاريا إلا من قطعة واحدة..
يملاؤنى شغف أحرق بمعرفة ماخلف تلك
القطعة البيضاء الفريدة.

- ألفت أن أراه بجوارها يعبث بجسدها
البض المتعدد فوق الفراش صامتا
مستسلما.. لا روح فيه.. بينما تحدثنى
هى عن القسيل المنشور أو تسألنى: هل
ملأت أم صلاح الزير؟!

تتخطر إليها عيناى مجيبة (أنت
أعلم..) على حين يخبرنى أبى بما يود
أن يأكله على مائدة الإفطار..

أستمع إليه بينما تلتصص عيناى
على أصابعه وهى تعبث بما فى داخل
فخذيهما وقدمه اليملى تمتطى بطنها..
أتركهما وأخرج.. فيعاود امتصاص
لبنها.. وأيام عمرها.. وعمرى.

- كم من النار أضرمت فى جسدى
الصغير حتى امتطانى الهزال.. كم من

الأفكار تضاربت فى رأسى عن الرجل ..
المرأة .. الجنس .. للحجرات المغلقة..

كانت صديقة طفولتى تغزغ بشدة
تجعلها ترتجف وأنا أخبرها بأن الزواج
معناه أن يصير كل جسدك تحت إمرة
أصابع رجل..

- شكراً يا أبى .. شكراً يا أمى.. على
عبثكما اللذيث بجسدى .. وعقلى
ومقدرات حياتى. ■

ف يجلس فى غرفة ضيقة مستطيلة الشكل.. يمد أصابع يده اليمنى ثلاثة.. أربعة خمسة.. ستة.. سبعة..

ثم يبدأ يشبك أصابع يديه فتبدو مثل حبال غليظة معقودة ومفككة.. يزيد من اشتباكها فتوجعه.. فيخلف من قبضة الأصبع فوق الأصبع.. ويرتخى للحظات.. يأتي بحيل طويل.. يبدأ يلفه فى دوائر صغيرة حول يديه.. تدور يده اليمنى مع دوران الحبل وكأنهما يطاردان بعضهما بعضا بينما كانت عيناه تنصحبان خارج حدود النافذة فتصطدمان بالأجسام الخرسانية وتعودان من جديد..

يعود يفكر..

يحلم باصطباح شيء ما.. غزال برى.. نعجة.. عصفور.. أو ربما حمل صغير.. تبدأ الدوائر صغيرة ثم تتسع كدوامات مائية ثم تنصغر وتتسع بتلقائية شاردة نحو البعيد..

السك الحائر فوق جبينك يا حبيبى يفزعنى يؤلمنى عندما يطير هكذا ويحط ولا أقدر على اصطياده.. فهل تفهمنين جبينك أم أحاول أن أسبح أنا ناحية الماء؟..

— أريدك وسط هذا العالم.. أريدك وأشب على أطراف أصابعى ولا تطول يدى شيئا..

يخفض رأسه فى استكانة وتظل يدها تبحثان بالحبل فى محاولة يائسة للخروج بشيء ما.. يتوقف.. يقضم أنامله ببطء..

ويفكر..



إشـتـبـاه

رأية خلاف*

* من مواليد عام ١٩٦٧، صحفية بجمهورية
الأهرام نشرت قصصها فى «نصف الدنيا»،
«الكاتبة»، «أدب ونقد»، «الأهرام للسائى».

في حيلة الإمام الشافعي من كتاب د فرح
للشع، أن رجلاً سأل قائلاً: هلقت بالطلاق ثلاثاً
إن أكلت هذه اللبنة أو رميت بها، فقال الشافعي:
تأكل نصفها وترمي بالنصف فلا تكون قد أكلتها
ولا رميت بها.

وحلف رجل بالطلاق وزوجته على ملم فقال
لها: أنت طالق إن ذلت أو صحت أو حمله أحد.
لما خلاصها كما يشير القاضي فهو أن يمسب لها
سما آخر تمر له وإن تشأ تصد وإن تشأ تزل.

قال لي الطبيب: عدى من واحد
لثلاثة... قلت واحد، اثنان،
ثلاثة... ولم أكن على يقين بأن حسان
هو ابن رحيمى... ذلك السلوك الذي
تخاطفته وأخواتي البنات... وكلما عدت
من سفره أغرقته هدايا، ملابس ولحيا لم
يعرف كيف يتعامل معها تأخر نطقه
وبطرت استجاباته وتصر فهمه...

يحبسوني في غرفة الأوفيس كالكتب
الأجريب... أين أنت يامى... ليبتك
تعودين مثلاً كذا أنا وأنت لوجدنا والست
لم عبده (التي لا تخفي عن غيابك
بضع ساعات)... جسمي أرزق من كثرة
الحقن التي يغزونها في لحمي.

قلت لأم عبده: يالك من عجوز
مخرقة، فجنالك يقول إنى سأفقد جنيناً...
أجملت يارولة وأنا لم أتزوج بعد، فغرت
فأها: أليس اسم الله عليه يبقى ابك؟

- باللبى .

- استغفرى الله يالبتى... التلبى
حرام.

- حسنا... أنا أريه لوجه الله .

- عموماً أنا أرى حمامة ترقد على
بيضنة مكسورة.



بطن مى

نجوى شمعان*

* من مواليد عام ١٩٥٩ تعمل صحفية
بوكالة أنباء الشرق الأوسط، نشرت
قصصها في الشرق الأوسط، نصف
الدنيا، الجمهورية، الأحرار، الوفد.

١ - بلا شىء

قا دجلة فواكه الزمالك، محل
العصور الملون على الجانب
الأخر من الشارع، وأنا وصديقتى نمشى
فى عصر أحد الأيام منسجمتين مع
خطواتنا... نثرثر غير عابدين بما
سيأتى.

كان الكابوس قد أفزعنى فى اللجر:
مشهد جنسى حار ينتهى بأجساد مقطعة
ومرصوصة داخل اللاجة.. بلا نقطة دم
دوت فى البيت أبحت عن زجاجة المياه.
شريت كوباً آخر ولم أرتو. كنت تحت
سابع أرض. ألوم مستقطع والكابوس
تقول.

أحاول تحريك جسدى فلا أستطيع.
بكل قوتى مرة أخرى حائط حجرى
منخم استقر فوقى.

اليوم ٣١ أكتوبر: أين أبى؟

مريت على المستشفى فى باريس،
حيث يرقد..

إذا بى صغيرة أصعد فوقى كرسى
نافذة حجرته..

تسكت قليلاً أمام لحظات الخريف
الغامر. تكتم:

Papa Meurt Comme Les Feuilles

بابا يموت مثل أوراق الشجر.

٣١ أكتوبر ١٩٩٤



ثلاث قصص

سها النقاش*

* من مواليد عام ١٩٦٩، تعمل بالقسم الفرنسى
بمكتبة الدليل الأدبية بالتليفزيون المصرى نشرت
قصصها فى «أدب ولقد»، «روزاليوسف»
«نصف الدنيا».

٢ - العش

شَاءَ أَخْرَبَ يَمْرُ بِدُونِكَ .

جريس اللاتيفون يزن مرات بجانب السرير الخالي .. وفي المجرات الأخرى ثم يسكت ، تتردد أصداؤه الظلمة في موجات تصلدم بساعة الحائط .

وجهي صباحاً : من الوسادة إلى الفوطة . صورتني خاطفة في مرآة الحمام .

يدى في الحذاء اليومي والبنطلون أخذتُ دخل الحاكت الشوى الكبير . حقاً ، في الشاي مادة قابضة .

شوارع وسيارات تؤدي إلى الشغل .

ملفات رمادية ومكاتب كثيفة لم يكتمل ما أكتبه وأخذ ورقتي وأنهض أبحث عن أحد .

- من فضلك ما شفتي مصطفى ؟

في المكتبة ؟ عند باب الخروج أو في المكتب الجانبى . ليس هنا .

خطواتي مزيفة وصامتة . أعيد رأسي للأوراق .

بذلتُ جرياً من تحت الكرسي كحكوت أصغر صغير .

ينظر فيكشف اختفاء المظلة من فوقه فيسرع مرفقاً إلى أخوته . خالد ألقى لم يكن يبرح الفراش أبداً وماما تطلق له كذاكته الفمسة تلعب على السرير .

العبه يدق الثواني على الكمبيوتر بجانب زجاجة الدواء وللملعة الصغيرة ، عندما يتحب ، ينام للكحكوت في جيب بيجامه خالد .

ديسمبر ١٩٩٣

٣ - ليلة الوحدة

أول الليل .

أحاول إخفاء توجسى من مواجهة هواه تلك القرية الصغيرة التي أعرف أنها قرية أبى : عنية سمود .

في رأسي صور تتشكل : للبيوت الأسعدت والأشواء الصارخة التي ربما غيرت ملاحح الزيف .

لم يكن الأوتوبس قد تحرك بنا بعد . قريعتي تشرشر وتعرض على مجلات لتتلى . تحرك الحياة في المحطة ببطء . شباك التذاكر ، الرصيف ورائع الحوى والمناويل . يكون المشهد شيئاً فشيئاً بلون السماء .

من وسط الكلام : حكاية .

أخذ أقاربنا في البلد ، عم إسماعيل النقاش كان قد تسال وحده منذ حوالي عشرين سنة وفتح قبر أبى . أخذ الصدوق الخشبى الذى جاء للجلمان فيه من باريس ونهب .

فحنت عيني وأغمضتهما . سلطان النوم يتخاقل . تترأى لى أخيلة بشر بمعاطف واسعة من بعيد . كانوا بين الخمسة أو الستة ، يواصلون السير حاجبين معظم الضوء الذى تسمح به فتحة آخر الممر خطواتهم تكبر النظار . لا أسمع منهم سوى همهمات - مكتنبة تخفت تدريجياً إلى أن تختفى . ■

فبراير ١٩٩٥

ق مذكورة تعدو في بهو الفندق..
تدلف إلى العمر الضيق بين
الغرف.. خلفها يجري زميلها محارلا
تهدئتها.. من البعيد لمحتة واقفا أمام
الباب، وعامل الفندق خارجا من الغرفة
حامل حقيبته.. أسرعت نحوه.. أطاحت
بحقيبته يدها خلفها.. هزت رجلها
تخلصت من الحذاء.. تسمر حين لمحا
تطير كالطير نحو.. ففتح ذراعيه..
اندفعت إلى صدره لاهثة.. عانقها..
غمرت رأسها في غابة المشائش التي
رطبها زخات المطر.. طوقت عنقه
ببديها.. الدموع تفر كلماتها.. للمرة
الثانية ستمضي دون أن أودعه..»

اخطلت قسما وجهه.. قرب شفتيه
من أنفها.. وبدأت الدموع تنسرب من
عينيه.. وبصوت مرتعش همس..
«حبيبتي.. يجب أن تفهمي أنني أقل
ذلك من أجلك أنت.. وأني أضعف من
احتمال لحظة وداعك».

اندفعت أكثر إلى صدره متشبثة به..
«إنك تتصور هذا، لكن عليك أن تكمل
العمل الذي من أجله دعيت إلى القاهرة..
والذي ظلت تعلم به زمنا..»

- سأرحل يا طفلي تاركا كل شيء
ورائي، لأبرهن لك بحلم عمري أنني
أحبك، وأخشى عليك حتى من نفسي..

بحنو تخلص من بديها المتلفتين حول
عنقه.. أحاط وجهها ببديها.. «تلاقت
الانظرات دون كلام.. هربت عيناها إلى
زميلها المشغل بحمل حقيبتها وحذاءها..
«ألم أقل لك لا تخبرها حتى أظن..»



ستظل معي

وفاء حلمي*

* تعمل مراسلة لمعدن الصحف المصرية،
نشرت في الأمانى، أدب ونقد، القبس

ردّ زميلها بصوت مهذج: «معدرة لم أحتمل عذابها.. لا تنس أن قصصكما ولدت بين يدي.. كما أني لا أتصور ذلك العمل المسرحي الرائع يحوقف وهو في القمة دون مبرر، لهذا أخبرتني برحيلك ربما استطعت أن تفعل شيئا..»

فتح الباب نصف المطلق.. أحاطها وزميلها بذراعيه وأدخلها الغرفة.. نقلت زميلها تاركا أشياءها، ومضى صامتا مكنس الرأس..

الفوضى تسيطر على الغرفة.. حقائق صغيرة تتناثر في الأرجاء.. حقيبة كبيرة فوق السرير الذي تراكمت عليه أغراضه.. انحنى على الحقيبة يكمل ترتيبها وفي عينيه دموع صغيرة يحرص ألا تبدو.. جلست على المقعد بهجران السرير وعينها لا تكفان عن البكاء.. بطيئة هي الثواني.. تزحف كالجبال.. يرفق جلبابه الأبيض.. يطويه.. دعنى منه.. تجذبه من بين يديه.. «دعنى أحفظ به..»

رفع رأسه وأداره نحوها قليلا ثم ناولها الجلباب صامتا متفنتا في إخفاء دموعه.. ضمت الجلباب إلى صدرها.. انداحت في نهر الحلم.. ثم حملت على شاطئ الذكرى..

شامخ كقديس في جلبابه الأبيض.. لحيته مصفاة أسقط عليها قمر الخريف ضياءه في نعمة عذبة.. قامته الفارعة ورائحته التي تصلها عبر أمواج صوته الهادر حتى مقدمها بأخر المسرح تذكرها بأشجار الموز في أول ساعات النهار.. في تلك الليلة تذكرت آلهة الأولمب.. وراحت

تتكلم جويتر عندما ارتشت خلاياها على ارتجاجات صوته «جوالين من منى إلى منى.. من موت إلى موت.. وصبرا طفلة تريد أن تبكي لكن لا عين.. لو أن لها أسننكم لزعت حتى انشق أديم السماء..»

سفتت.. صاحت «ازعقوا».. لم يلبثه لها أحد حتى جازها في المقعد.. رفع إصبعه شارة النصر.. نظرت حولها.. التصفيق يدوي ولا أحد يبالي ما يقصد.. رفعت له إصبعها.. حاولت الصعود على خشبة المسرح، لكن الزحام حال دون ذلك تسقط أنبئة الأزهر.. قامت لتلقطها.. لكنه التقطها قبل أن تعدد دها إليها.. قبل جبينها.. لم تكسر.. ساحتف بها ماحيت..

.. أحتفظ بهديتي ولم تحتفظ بي..!!
لم أحتفظ بك لأني أحبك.. ولا أود امتلاكك.. فهذا ليس من حقى.

.. أرجوك لا ترحل..

.. بلهجة حاسمة أجاب:

.. مادمت سأرحل يوما ما فليكن اليوم..

.. خذنى معك..

.. ما تعبت شيئا أكثر من أن تكونى معى.. لكن لو حدث ذلك، ستدعين لأن وطنك هنا..

.. ما أروع أن تكون وطنى!

.. كيف يا حبيبى وأنا في العراق.. هنا يجب أن تعيش.. دون أن أكدر صفو براءتك.

رجعت لمقعدنا ترقبه.. وقد انتهى تقريبا من ترتيب الحقيبة..

تداول بضعة صور ووضعها في جيب الغطاء العلوى.. تلك الصور التي التقطها له زميلها أثناء اللقاء الصحفي معه، خلال الزيارة الأولى للفرقة بالقاهرة قبل أشهر في اليوم التالي لعرض المسرحية.. يوم أن رتبت أسلحتها وجلستها.. سألته عن المسرح.. عن المعالم المحترقة والخيام التي أنهكتها الدرجال.. لكنها لم تعرف كيف ترفقت عن الكتابة ولا كيف انتقل من حديثه عن المسرح، إلى رحلته من قريته الصغيرة الدائمة في أحضان الجبال وحتى مخيم بلا عنوان.. ولم تعرف كيف حدثته عن أسرتها التي لا ترى منها غير أنثى.. لكن ماترفة جيدا

إنها كانت تحلق في عنان السماء العاشرة دون أن تشمر ببداية الرحلة ولا عناء السفر.. يوما لم تفعل من عينيه اللتين لهما بريق العمل وفعل الخمر وهما لتحسان ملامحها وجسدها برله.. ولا عندما تجاسرنا وجردتاها من زيفها قطعة.. قطعة.. ثم انزلتنا على جليدها لتحيلنا نارا تسعها وهما لا تباليان، فقد كانتا أكثر جرأة مما كانت تظن.. لذلك حرضت عينيها على مقاومته.. جعلتهما أنزعا تحضن ملامحه الزاحفة.. وتركتهما تجولان في غابة العفائش.. تشمان عطر الموز.. نشربان من نهري عذبة حد الترنخ.. ثم تغفوان في ظل المصفاة في نشوة لذبة كانتا شريت كل خمور الأرض.. يوما لم تعترض

ق كنت أجلس في أحد أطراف حديقة النادي الراضية، وعلى مقربة من مجلسي لمحتها فقلت انتباهي ووجدتني أدق النظر إليها فألحظ ملابسها الضيقة، وحذاءها المرتفع عن الأرض بمسافة خلتها أمتارا، وزينتها المبالغ فيها .. وعندما أشبهت فضولي قررت تصويل بصري لأي شيء آخر ونسيت كل شيء عنها .

تكررت رؤيتي لها في النادي ولكن نظراتي لها صارت عبارة، غير مبالية . ولا أدري لماذا روادني إحساس بأنها كانت تعود إلى، ففي تلك المرات القليلة التي التقت فيها نظراتنا مصادفة كنت أتحيز ظل ابتسامة ترتسم على شفاهها وصوتها الراسمين واللحن اعتقدت أنها أخذت تخطيها مرات حتى نظهرا بهذا الاتساع . والحقيقة إنني لم أأخذ ابتسامتها مأخذ الجدة، بل لم أبه بتفسيرها على الإطلاق، فلم تكن الفتاة من النوع الذي يجذب انتباهي، قد تكون ممن يلفف حولهن الشباب لزيولتهن وتبرجهن، ولكن ما شأنني أنا ؟ ومن تكون سوى واحدة من الفتيات اللاتي يكتظ بهن النادي .

ذات يوم كنت أستاذ العالقة إلى طريق عودتي إلى المنزل كنت أجلس بجوار النافذة أحمق إلى الطريق والمساء، وشمرت بشخص يحل السعد المجاور لي، فلم أبال . وبعد فترة لا تتجاوز الثانية اشتممت عبقا فنادا يتصل إلى أنفي، فحسنت أن فتاة تجلس بجواري، وراودني الفضول أن أخلس النظر إليها .. نظرة مختصة واحدة وعرفت فيها فتاة النادي، فقررت تجاهلها زهدا في التعرف إليها . وفيما يبدو أنها عرفتني هي الأخرى، بل ويبدو أن حدسي بأنها تكويد كان صادقا، فإذا بها تبادرتني قائلة :



لقاء حافلة

أريج إبراهيم*

* موليد عام ١٩٧٧، متخصصة في الأدب المقارن وتعد لرسالة الماجستير.

١-

قا عندما أراد أن يأكل رجم ارتفاع
النخلة بالقطع الصخرية الصغيرة
فتنزل عليه رطباً جافاً ندياً، ظل يأكل
حتى امتلأ، شعر بالظما، بسط جسده عند
حافة للنهر ومد بوزه، ظل يرتشف الماء
العكر حتى امتلأ..

ملأه إحساس بالضياع وبالمرارة فرفع
عقيرته بالنفاه حتى كسر سرقة طيقات
الصمت عندها توالت الصفعات على فقا
فأدرك حقيقة الأمر.

٢-

للتأبى شعور بأننى قد استنزفت
أفكارى فصمت رجم أنى نعلت دوما أن
أفعل شيئاً ذا قيمة حقيقية.

- لن تستطيع أن تقول للدكتاتور فى
صوته أنه دكتاتور.

أجابنى بسرعة وثقة

- ربما لأنه يسانى ديكاتورى
الأخرين.

وبالسرعة نفسها قلت

- ولما أعانى ديكاتوريتك..

٣-

الفكرة كانت بناء جدار يقيهم خطر
الحيوانات الضالة.. فاصطف كل بجوار
الأخر ولم يدرك أحدهم أنه حلقة فى
دائرة واسعة.. انهكموا فى نقل الكتل
الحجرية ونقلهمها أخذة شكل قوالب
متساوية.. فى كل يوم تزداد الحاجة إلى
الشعور بالأمان فيبلغ الجدار ارتفاعاً آخر



صفحات يومية

أمينة إبراهيم زيدان*

* من مواليد ١٩٦٦، تعمل موظفة بوزارة
المالية، نشرت قصصها فى «إبداع، القصة،
الثقافة الجديدة، الأخبار، الجمهورية،
السماء. أخبار الأدب، الحياة، لها مجموعة
«حدث سرى». «المصادرة عن المجلس
الأعلى للثقافة ١٩٩٥م».

جديدا يضاف إلى الارتفاع السابق . وفي غمرة هذا العمل الذهوب اختفت المسور الدائري المعكم سبحانه السماء البيضاء .

..٤..

رأيت أننى أكره هذا الوجه فأشحت به بعيدا عن المرأة ثم عدت وغطيته بالنساجيق أغلقت الباب من خلفى بعنف .

عندما رأيته فى الطريق تذكرت أنى كنت أحبه وأنه قال لى يوما إننى أصل

ببينه وبين الحياة . ابتسمت وشعرت أنه أبله .

سرت فى طريق الكورنيش وتمنيت لو أنى لم أعقف شعري .

ارتجف ما بداخلى لما وقع بصري على القارب المقلوب على الشاطئ واللعن للمزوج بالزيت يصبغ مؤخرته المتأكلة . قلت إن نزول البحر سهل ولم أنزل .

..٥..

ثم اثنى الضوء بعد أن ارتج الصدى بجدران رأسى وكيلى، شعرت بجسدى

يهتز كأنه على وشك الانهيار، وضعت كفى خلف رأسى أتمسك موضعها، كدت ألتصق آثار الأصابع الغليظة رفعت ياقة سترتى حتى ملبت الشعر من خلف رأسى، تحفزت لهم جميعا، انتهت إلى خاطرى أنه لابد وأن يكون أحدهم .

نقلت عينى عليهم جميعا، ولكنهم كانوا يصنعون أكفهم خلف رؤوسهم يتحسسون موضعها، يرفعون ياقات ستراتهم حتى مذابت الشعر خلف رؤوسهم . ■

قا بعدما تذرق جسدى.. أعلنه
ملطقة نفوذ.. ويرهن بإعلاني أن
التعطيل أنصب وسائل الحفظ.. كي لا يضطر
أن يقرر لو لمع أحد ما أنظر قدمي.

لمعت شعري الطيب في طافية كورشيبة
شغلها أختها سريما لتشاركه بمجاملة..
غطيت الطاقية بطرحة طويلة.. قال إن
الشرع رسمها هكذا.. فكله ثبايات فساتيني..
وأقلت الخصر من المعقود فحوت أقدامي
لرباب الشوارع.

في أول يوم قال - وقد مضيتي أتمس
جسدتي أمام المرأة - لك أن تغفري.. إني قد
أسبغت علوه من روعي وإلك إلى الجنة
دليلة في ركابي.. وإليك أنا في الجنة..
ورعيتي أنت في الدنيا.. أولست زوجك وأنت
حرمتي...؟

لتصبت إلى جسدتي مرارا.. وسبغت..
أبدعتي الله وكان حرا أن يبقيني كهيتي
بذلك الأكناس التي تحرق روعي.. بارك أبي
وأخوتي له.. على حين غضبت من المرأة
لأنها لم تمكنني كما أنا امرأة أخرى - فلما
- غيرتي تلك التي تتشح بالاستحلال دون
وعي.

في مساء اليوم نفسه.. شذني حنين
شامض هوتسارت فأدريت الكاسيت الصغير
الوحيد الذي ملكي.. أغمضت عيوني
نشوتي.. ورفرفت على حواف السديم حرة
وخفيفة للغاية.. وصغعة على وجهي هوت
قال: الموسيقى من الشيطان.. ففكرت
روحي.. وتناثرت مشاعري مع بقايا
لكاسيت اللثرة الوحيد الذي كنت أملكه..

لم أملك.. فقلأ شيء يبقني بعد تهدير
الإنسانية.

جمعت أفرامتي المدلنشة.. وتوكت
شعري.. وقلم رقيق كان هدية من
صديقتي يوم ميلادي الثالث منذ أشهر..



ناقصات عقل

عفاف السيد*

* من مواليد الصرب، ١٩٦٢، ماجستير في
التصرف الإسلامي/ جامعة القاهرة، بتد رسالة
الدكتوراة عن «الفراي»، لها مجموعة قصصية
عن الهوية المصرية العامة للكتاب بعنوان «فتر
من العشق»، وصباح المشق لها لقرصان،
تحت الطبع.



القطار لا يصل إلى البحر

منار حسن فتح الباب*

* من مواليد القاهرة ١٣ / ٢ / ١٩٦٤. لها مجموعة قصصية صادرة عن الهيئة العامة للكتاب (لمبة التشاب).
- حاصلة على درجة الماجستير من كلية الآداب - جامعة عين شمس - قسم اللغة العربية بدرجة ممتاز.
- تخدم الآن لمرحبة الدكتوراه في الرواية المصرية.

قا كنت أرد أن أنتهي اليوم من رسم القطار، وقجأة تذكرت أنني طالما أجزت نفسي أن أصفها بأنها مجنونة .. ترى كيف سيظهر الجنون في لوحتي؟ .. وكيف سأبدو بعد قليل بعد أن أترنم باللحن الجديد الذي ألفته؟

لقد بدت عيون جهاز المسجل الصغير المضاحكة الواسعة كعيني رجل يراقب جسداً عارياً في خيمة سيرك .. إني أجيد معرفة المسافات بين فساتين السيدات للحرامل ويملونهن المتلفحة وطلاء كل الأيام المجردة التي لا تغطي شيئاً بألوان ما، وتضيئ البلهاء في الشوارع.

حين اتحد الماء الساخن في جو هذا الصيف اللقائظ على وجهي، وقفت أمام مشهد الماسورة الصندلة وهي تحب ما بين النافذة المطلة على البحر وعينيّ اللتين غمرتا بالماء قابلتنا - ولم تعودا تناسبان حجم زراعي - وصارتا طريقتين، وصرت بعد ذلك تمثالا مطاطيا يهتز يومياً لرؤية عناكب الأركان وهي تجر أشياء وهمية ومشاهد حركة الغروب.

كانت ماسورة المياه تشبه الرصيف الذي وطلت ترابه قدما ذلك الرجل المجهرل الذي ظل يلاحقني اليوم في شوارع الإسكندرية، وكان يخال شعري طويلا ويدهرنى وأنا أفقز من شاطئ لآخر ، وأفقتن مشاهد للروحاني الجديدة.

زبت من حركة الماء المتدفق بينما كانت الشمس تصفر شرائطها وتجمع ثدييها وتنتثر مياهها لتستعد للاستلقاء الأبدى قبل أن تفض بكارتها ويجرحها نصل شراع بعيد.

يلون البحر ويدت رأسه كنتوء ملحلب
شرس.

أتخيل أنى أطيح به مفككا إلى
الحقول، وأقود القطار وأوقفه أينما أشاء،
أعيد تركيب جسد السائق وألصقه جليابا
وأجعله يلاحقنى على طول الكورنيش،
فيزداد تغير السيارات سخبا حتى يطغى
على صوت أوتار جيتارى الضعيفة التى
تعزف للموسيقى الكلاسيكية فأكسره
وأهرب مرة أخرى إلى رذاذ الماء المتدفق
من الماسورة الصلدة، قبل أن يحس
للناس بوجودى، ثم يضحوا بحركاتى
السرعية غير المفهومة. ولكن... لا بد لى

أن أنتهى من رسم القطار قبل أن -
يجرفنى فى منعطف الوجة.. تقويهها
الصلدة هى نوافذ القطار المهترئة..
جدران الغرفة هى صنلوعه التى تميد بى
حيث أكون الراكبة للوحيدة والسائق،
فأخصص العريات الكبرى للسيدات
الحوامل والعريات للصغرى للمواليد
الصغار. وحين يصرخون فى دفقة واحدة
و يسمون أننى فتزداد سرعة الخط
الحديدى وعلف ارتطام السحب فوقى،
وأخذ قرارا مفاجئا بأن أمضى لأحفر
اسمى الذى نسيته منذ فترة بعيدة على
إحدى الصخور المشهمة وأخلق معه اسما
آخر لسهول ثم أضحك.

كم كنت أود أن أنتهى اليوم من رسم
القطار.. لكن العريات تنفقت وتكدست..
توقفت المواليد لحظة.. كسرت أنوف
الحوامل والتصقت ببعضها.. الماء أغرق
الحقول المجاورة.. الأرضفة اكتسحت
جدران المحطات والموج يعلو كالحريرق
والرجل الذى كان يطاربنى قد جن،
فصار يمشى إلى الوراء وأنا أمامه...
الريشة فى يدى كمجذاف عجوز يهتز ولا
يوقف سير شراع مركب، والألوان تتلافر
وتصهل فلا تقبل ولا تصغر فى اتجاه
واحد محدد. ■

٣١ يولية ١٩٩٤

١- السكر النبات

ق أمام حديقة الحيوان بالجيزة.. تقف بشوبها المهنرى.. تدور بعينها فى أنحاء المكان.. الرزاق المتناثر من النافورة بلطف صهد الشمس.. تطول النظر فى الوجوه المأبشة المنتظرة.. الوجوه يخيم عليها.. ترجوهم بعينها أن يشتروا منها قطع السكر النبات.. الوجوه الرخامية لم تحرك أمام توسلاتها ونظراتها المتعبة.. استدارت للخلف تنادى «السكر النبات».. ظهر من بعيد أتوبس (٥٥٥) المتجه إلى كلية البنات.. أسرع المنتظرون ليلحقوا به.. تداخلوا.. اصطدموا بها.. وقع كيس السكر للنبات.. جلست لتعلم القطع المبعثرة والأقدام المسرعة تدوسها.. تدهرجت دمعات من عينيها.. فزلت إلى فمها الملح بدلاً فيها.. مسحت الدمعات المنحدرة بظهر يدها.. تلفتت حوالها.. لا فائدة من وقوفها.. أتوبس آخر قادم من بعيد.. أسرعت إليه.. صعدت إليه.. حاولت أن تسير بين الكتل البشرية المكدمة.. الرجل الواقف خلفها والقباض بيده على العاود الممدد بطول الأتوبس يضربها بكوعه.. تتأوه.. تحاول المرور.. تتحاشى الكلمات المسددة إليها.. يرتفع صوتها بالدعاء السكر للنبات.. السكر النبات.....

٢- مطر (١)

فى ذلك المساء كان المطر غريرا
أسرعت إلى دولاى ملابسها.. سألتها
والدتها ماذا سنفعل قالت سأخرج..



ثلاث قصص

هويدا صالح*

* تعمل مدرسة لغة عربية، نظرت قصصها فى
«أخبار الأدب» و«الثقافة الجديدة» و«جريدة
الحياة».

منعتها من الخروج.. بكت وازداد ارتعاش قلبها.. احتضنتها وقالت لها بعد أن يحرق المطر.. أتمنى أن أرقص تحت المطر.. هكذا قالت أمس.. ضحك وشدها من يدها.. وفضت دخول قاعة المؤتمر.. الشرطي الواقف أمام القاعة والذي يحاول الاحتماء من رذاذ المطر المتساقط يرمقها في استنكار.. رجته أن تقف قليلا لكنه رفض.. لف نزاعه حول جسدها ودخلا قاعة المؤتمر.. توقف سقوط المطر.. أكملت ارتداء ملابسها، والدتها ترجوها أن تأخذ مملها الجلدي.. تقبلها وتخرج مسرعة.. قالت لها البنت اللبنة (لماذا تأخرت؟ ذهب للاتصال بك،.. أسرعت في الاتجاه الذي أشارت إليه.. من فضلك التليفون فين،.. أسرعت إلى الواقفين.. نظرت في وجوههم.. أسلاك التليفون تكاد تحترق من لهفتهم.. لم تجده.. تلفت حوالها.. هو فيه تليفون ثانى لو سمعته.. عادت إليهم.. سزلتسها البنت اللبنة (أوجدته؟).. ابتسمت ابتسامة منهزمة ولم توب.. هو جالس على الرصيف

الآخر.. في لهفة الشوق إليها.. ترحلق.. سقط الأرض.. الرجل للجالس بجانبه بذلك له رجله.. رأها تبحث عنه.. تركها تعود حزينة.. تعاود البحث مرة أخرى وهو يرقبها.....

٣- مطر (٢)

كل شيء بارد وحيد: الحجرة الزجاجية.. الأشجار العارية.. الرصيف المغسول ببيكاء السماء.. قالت: السماء تكى من أعلى.. دموعها تغسل كل شيء إلا القلب البارد المزين.. الشبابيك المغلقة.. للمسبح الوحيد المرتفع على عهود صدى.. تنصت لأنين الأشجار العارية.. تنفست منها أه ممزقة.. تبرد.. تلصق بالأغطية.. الرياح تضرب بعنف.. يحدث فرقعة يخفق لها القلب.. ويزداد حزنا.. السماء تقترب من الأرض في تلك اللحظات الباردة.. الأرض أم حنون تحتضن الأشياء وتخفيها عن أعين السماء البكامة.. الناس تسرع في الشوارع والطبوع تمن إلى أعشاشها.. إلى لحظات دفة تغسل الروح.....

الناس تلجأ إلى الحوائط هربا من الأمطار التي أزداد تصاقطها.. القطرات الصغيرة تتكرر على نافذتها تساقط إلى أسفل.. ماذا لو تسقط إلى أعلى.. ماذا لو فتحت نوافذ الحجرة الزجاجية ويتمكن كل الأمطار المتساقطة عليها تغسل حزن الروح.....

أعجبها الفكرة.. هلت وألقت بالأغطية وأسرعت بفتح النافذة.. القطرات تلعب على الأشجار الموشاة بالمطر.. ترتدى ملابسها وتسرع إلى الشوارع المغسولة تنفض عن جسدها الموات والعن.. تلصق ذراعها.. ترفع وجهها إلى أعلى تمتص القطرات الباردة وتتساءل أن تسمع من العيون اللتين امتلأتا رذاذا وحياة.. الحنان والشوق وملآن الروح يزيلان ما تبقى في القلب من حزن.. تسرع إلى الهاتف.. يأتيها صوته دافئا وحونا.. تعرف أنها أخطأت باتخاذ قرار البعد.. تسرع إلى شقتها.. تنفض عنها الغفن والزوجة التي التصقت بها طويلا وتجلس في انتظاره.. وتخفق الروح لأى حركة على السلم خسارج الحجر الزجاجية..... ■

قا اثنان.. واحدة اسمها هبة
نبيل، والأخرى هبة أيضا لكن
أبوها اسمه «على حلمى» الأولى.. لها
عينان من الصعب تجاوزهما.. الثانية
فريما كان السر يكمن فى طولها البائن،
وقوامها اللحيل، ذلك الذى ينبئ عن نيل
يشير إلى.. أهمية قصوى.

صاحبتنا التى لا أذكر اسمها كانت
تصبح يوما على «هبة نبيل» وأحيانا
كانت تقرر حسب هبة حلمى فتلتفت
أو كانت تفعل ذلك - ثم تفعل شيئا مثل
الابتسام.

صاحبتنا تذكر جيدا كيف ارتعشت
حيما شاهدت ابنة العم «نبيل» وهى تبكى
بحرقه الثائنين.. وكيف أن عينها كانتا
وقتها قديمتين وعجيبتين.. تذكر أيضا
أنها شاهدت حولها شيئا مثل السكون.. أو
قطن الغيطان.. لكنها حين علمت من
إحدى الوسيطات كيف أن ابنة «على
حلمى» كاد يغمى عليها حين تغير لون
جبينها.. بعدما تبرعت بدماغها «الحمة
التبرع بالدم» بالرغم من أنها فقيرة
لدم.. ضحيحة، لكن البنت اللعيلة هذه
حيما واجهت الجميع برغبتها فى رسم
العمرة.. كان فى صوتها قوة.. قديمة
جدا.. وقتها فقط ترففت صديقتنا..
لحسب المسافة.. بينهما..

بالمقاييس الحسابية.. يمكننا الجزم..
بأنهن كن ثلاث فتيات.. جلسن على
مقعد حجرى طويل.. بجوار شجرة
الجوافة.. تلك التى لم تثمر بعد سوى
الرائحة.



أساء

منال محمد السيد*

* تخرجت من كلية الفنون الجميلة، نشرت
قصصها فى جريدة «المساء» ومجلى «إبداع»،
وتلصق الدنيا.

قا تتخلين من الشوب الملكي
عندما تهبطين إلى الأسواق
متخفية، تمرين ببصرك بين الحوانيت
المعملة بالبضائع من بغداد وبلاد المغرب
يتراى إلى سمعك أصوات التجار في
سوق النخاسة، يصيح المنادي فحمر
أمامك دابة وقد وضع عليها رجل من
خلف حليق الرأس نظراته غائصة في
اللقيد الذي يقبض على يديه، عرفته على
الفور، كاتم السر لشهريار وأن الرجل كان
في القصر منذ أن كان شهريار طفلاً
حتى عندما كان يبذل فوقه كان ينظر
إليه مطلق الوجه.

تساءلت في سرّك: هل تعيبه؟
شعرت بوخز صمق متكرر، قررت
عرض نفسك على طبيب القصر..
تغممين... هل حقاً ساجد الدواء الشافي؟
الماضي يتمثل أمامك بكل دقائقه..
رغبة ملحة كانت تدفك كي تعرفه بأن
الموت عندك ليس بالشيء العسير.. لكن
خوفاً قديماً يطل.. أحياناً كثيرة تفتيقين
مذمومة... ويظل السؤال يتأرجح بلا
إجابة هل ملمس السيف على الرقبة
مفرع؟

المايات أعلى التاج تمكس بريفاً على
وجهه، يضع سيفه المرصع بجانبه،
نقات قلبك كقصر الطبول قبل بدء
الحرب، يتسرب دماء سامن مسامك
فتصفق للجوارى، يتصاعد الطرق
خفيفاً هادئاً، يتمايل الجسد ترتفع
الإيقاعات، فيضطرب الجسد كانتفاضة
أجراس صغيرة، الأصابع المجنونة تجرى



شهر زاد

عزة أحمد أنور*

* مواليد ١٠ / ٦٨ - القاهرة - إسكندرية
أدب وديوان مسرح - نشرت في الثقافة الجديدة
- الميمنة - أخبار الأدب - الأهرام المسائي -
النساء



جاذبية

﴿٢٦﴾ جاذبية سرى - المعنى في فن التطوير: عبد الرحمن أبو عوف.

﴿٢٧﴾ ما بعد التعدد - قراءة في نصوص شعرية جديدة: أمجد ريان.

جاذبية سرى المعنى فى فن التصوير

عبدالرحمن أبو عوف

قا للممرض الذى أقدم فى أبريل ١٩٩٤ للفنانة التشكيلية القديرة

(جاذبية سرى) تكميل لرحلتها العذبة والواحة مع عالم الألوان والظلال والتكوينات وأيا كانت تغيرات وتحولات نسب الزوايا وتفصيلات الموضوع والجوهر والمعنى فى لوحاتها الأخيرة. إلا أن الرؤية والخلفية الفكرية والجمالية التى ظلت دائما وراء إبداعها منذ أرائل بداية طريقها الفنى وعمره يقدر من الأربعين عاماً، هذه الرؤية تكاد تكون موحدة ومتعددة، ليست بالطبع جامدة بل هى أصيلة، لأنها اعتمدت على استيعاب التراث الحضارى لفن التصوير المصرى والعربى فى حلقته المتداخلة الفرعونية والقبليّة والإسلامية، غير أنها زاوجت بين رواسب ومكتسبات هذا التراث فى لغة المنجز المرئى والتجسيد واللون والمساحات والظلال وكل عناصر فن التشكيل، زواجت بينهما وبين أحدث المنجزات الفنية لمدارس واتجاهات ومذاهب فن التصوير العالمية المعاصرة، غير أنها وأروعها وأصلتها لم تفرق فى نواصة التجريد بل ظلت مخلصاً لأصولها الشعبية، بحيث حوت الأشياء والإنسان وواقعها إلى حركة مخيلة تجسد وتتخلل وتجاوز هموم واقعنا الاجتماعى من المسؤوليات وحتى الآن بكل ما اضطرح فى داخله من تناقضات سلبية وإيجابية سياسية واجتماعية وحضارية.

■ إنسانة بسيطة محددة، تلهم الدنيا بعقولها، ثم تفرزها بيدها، وبين الحين واليد يحترق قلبها وعقلها ترائفاً مدركاً ومكتسباً، يشكل نوعية المصور الفذ فى عالمنا، بحيث تتوقف أساساً نوعيته على كمية المعانى التى يحملها فى حياته، بالإضافة إلى معاشته اللامحة والمناصفة لتناقضات واقعه.

■ لذلك وعبر رحلتها الطويلة كانت هناك تيمات وتريدات تتكرر فى وجود الأطفال الفقراء، كالمصافير الطائفة بلا أجنحة فى حواري القاهرة الفقيرة وبيوها الشعبية.

■ بل إن البيوت نفسها تتحول فى مرحلة من أبرز مراحل إبداعها إلى سيمفونية بصرية فيها خيالات وأحلام ورؤى ومستقبل، البيوت تكاد تصبح حيوات لها قلقها الإنسانى ومصيرها الإنسانى الذى هو مصير من يعيشون فيها من صناع حياتنا ورغم ذلك تطلهم البرجوازية، غير أنها وفى مرحلتها الناضجة الأخيرة تغنى باللون والتكوين والظلال، أغنية البحث عن جديد، عن صدام مع واقع جامد متهرئ مهان مختلف غير إنسانى، فوجد التجمعات الشابة تنطلق إلى أين؟ ومن أين؟

■ هذا الحوار الذى ينتقل إلى وجدان المشاهد ويغرقه فى التفكير معها وتصوير الممكن والخيالى ليس سوى امتداد لتصوير الواقع ولما هو معداد فى حياتنا اليومية، وهذا التصوير لا يترك الإنسان على حاله بل يصنّف إليه جديداً.

● من يتابع السمات الفكرية والجمالية للمراحل التشكيلية التى قُدمت خلال الأربعين سنة الماضية، يصل لشبه يقين أن ثمة محاولة طموحة فى الرسم للتوصل إلى حل مبتكر، وموقف تقدمى يتمشى مع عقلية القرن العشرين نواحدة من قضايا التصوير الأساسية، وهى الإيحاء على قماش اللوحة أو على معدن فقط، لا بالمعنى الخادع، ولكن بمظاهر الأشكال المتحركة فى آن واحد فى الحيز والواقع، وهذه المظاهر وهى الأهم مرتبطة ببحوث ونظرة نقدية

لقد حدثتني بصديق عن طفولتها
وقيها وبقياً أثر الوالد وثقافته ومكتبته في
تشكيل وجدانها، أما دور الأم والخال فهو
بارز في توجيهها، ورغم أن أسرتها
تتسبب لما يمكن أن نسميه الطبقة
المتوسطة الكبيرة إلا أنها عاشت وتعلمت
في جناحها الفقير حتى وصلت إلى أساتذة
قسم التصوير بالمعهد العالي للتربية الفنية.

لقد أعدتها عبر أكثر من حديث
تلقائي لنوع طفولتها الذي ما زالت تعود
إليه في لوحاتها البارزة، فحدثت عن
البيوت القديمة المتأكلة للضخمة الجدران
واللوحات في حي الحلمية، وكيف كان
الحلم والواقع، للكابوس واللاوعي يلعب
دوراً كبيراً في تشكيلات وتسميات هذه
البيوت في ذهنها الصغير حتى قبل أن
تمسك الفرشاة وتصور وتكشف نفسها

كرسامة موهوبة، جعلها في قمة نصحتها
فخانة اللوحة الواحدة التي تلخص كل
النشوة الصادقة التي تصادفها في لوحات
الحياة الشعبية وفي صور المدرسة، وفي
الفن الشعبي، وأرض اللوحة، وأساطير
الماضي وأحلام المستقبل رغم كل القيود،
ويقينا فهذا العمل يحمل في النهاية اسماً
له مغزاه وهو (نشوة الحياة). ■



لوحة للفنانة: جاذبية سرى



لوحة للندن: جاذبية سرى

أولا -

لم تعد هناك إمكانية للنظر إلى الإبداع الشعري بشكل إجمالي لأن هذا يفقده خصوصيته، ويفقدنا القدرة على فهم هذا الإبداع فهماً حقيقياً يتسق مع السياقات الأكبر والأكثر جذرية، في الوقت الذي نحتاج فيه إلى تجديد تصوراتنا عما تفرزه النتاجات الإبداعية والفكرية دائمة التطور واللمر يوماً بعد يوم.

نشرت «مجلة القاهرة» في عددها ١٤٦٦ - يناير ١٩٩٥ ملفاً تضمن قصائد لمجموعة من الشعراء المصريين ممن طرحن إنتاجهن في الفترة الأخيرة، وسيكون من الظلم بمكان ونحن نحلل نصوص هذا الملف، أن نعتبر قصائده منتمية إلى نوع شعري واحد، لأن هذا من سبيله أن يفقدنا القدرة على فهم هذه النصوص، وفهم السياق الجمالي الذي تنتمي له. ونحن لا نريد أن نظل هكذا نصرب في الظلام، دون تمييز أو تحديد في واقع ثقافي عسوائي، غارق في الضلالت والغموض، وبخاصة أننا بإزاء سيل من الإبداعات الشعرية التي تنشر كل يوم.

إن نظرة أولى ستجعلنا نفرق بين حاسبيين شعريتين مختلفتين، الحساسية الأولى، تضم قصائد: سهير المصايدة، وأمل جمال، وعزة حجاج. أما الحساسية الشعرية الأخرى فهي التي يدرج تحتها بقية الملف: قصائد فاطمة قنديل، وإيمان مرسال، وهبة عادل عيد، وعالية عبد السلام، وغادة عبد المنعم، وهدي حسين

لما هنا يصعد تقييم أو تصنيف، سواء بين الحاسبيين الشعريين المتطوعين، أو بين قصائد كل حسابية منهما، ولكننا بإزاء توصيف الطبعة الجمالية التي ميزت هاتين الحساسيتين. الحساسية

الشعرية الأولى التي ميزت قصائد: سهير، وأمل، وعزة، هي حسابية تستقي رؤيتها، وبالتالي تعتمد أنوثتها، من خلال النموذج الشعري الذي ساد في السبعينيات والثمانينيات، حيث الرؤية الشعرية التي تبحث عن التعدد أساساً جمالياً، بداية من تعدد الرؤى، وانتهاء بتعدد كافة المعطيات الشعرية، لغة [دلالية] وتشكيلية وإيقاعية] وبداية.

ولنتأمل السعي نحو تعدد مستويات الرؤية الشعرية، وتعدد دلالات الرموز التي طرحها تجربة الشاعرة سهير المصايدة، فالشيد هنا على سبيل المثال هو رمز لمستويات دلالية متعددة معنى الشهادة، فالشيد هنا هو شهيد الوطن، وشهيد الرجل، وشهيد الجمال... إلخ.

كما نراقب هذا الالتزام الموسيقي للتفعيل الصارم في قصائد الشاعرة أمل جمال من خلال بحر المتدارك الذي تم استغلاله على مدى أربعة أو خمسة المقود الماضية، بما يجره الالتزام الموسيقي أصلاً من زيادات غير شعرية، يجرها الوزن جرفاً لتدخل إلى النص على غير حاجة، ولتتعرف على مثال بسيط لمثل هذه الزيادات التي تفرض فرضاً في إطار الاستخدام الموسيقي الملزم بالتفعيلة فإن (كل) هنا مثلاً زيادة غير مبررة شعرياً إلا لاستكمال التفعيلة الموسيقية لتوالي التفعيلة:

فلماذا يخبئ بسدرى كل

فراش المنفى ويبتلى بالجوم

أما قصائد الشاعرة عزة حجاج فهي تمثل نوعاً من الاجترار للسطر الشعري البلاغي السابق في السبعينيات وما قبلها، وإن تعبيرات من مثل: تماخض اللحظة - أمزق صمتك - أنوب في أنفاسك - نجوم عارية - تحرق ألبانبي - سراج طفولتي - وغيرها] إن لم تكن موجودة بلصها في

ما بعد التعدد قراءة في نصوص شعرية جديدة

أمجد ريان

القطط للرضيعة
طوبس الصلاة في المعابد القديمة
الدولة الرومانية
ملبس الخشب
وبر للحيوانات
طيف الهواء البارد
الأشياء التي أسخر منها
الأشياء التي لا أحدث بها أحداً

لقد صنعت هذه القصائد مناخاً شعرياً جديداً، لا نستطيع أن نقيمه الآن، لأن الظاهرة الشعرية الجديدة، لم تستقر الاستقرار الذي يسمح باستخلاص تصورات متكاملة بعد، ولكن حسبنا أن نشير إلى بعض خصائصها الجمالية.

ومن المهم أن نلفت الانتباه أيضاً إلى أن نقد مثل هذه القصائد سيتناقض مع طبيعة هذا الملف أصلاً، لأن قضية تجميع قصائد لشاعرات إناث، يختلف عن قضية تجميع قصائد تعبر عن رؤية بعينها سواء أكان كتابها شعراء أو شاعرات، لأن القضية الأهم في هذا الملف، هي قضية هذه الحساسية الشعرية الجديدة شديدة

الاختلاف عن التجرية السابقة عليها، لأن تجميع قصائد أو نصوص شاعرات أو أدبيات هو هم ينتمي فكرياً إلى منظومة سابقة، وطبيعة النصوص المنشورة في هذا الملف ترتبط برؤية فكرية وجمالية مختلفة عن هذه المنظومة. وأياً كان هدف الملف، وسبب تجميعه، فقد كان فرصة نتعرف من خلالها على توجه شعري جديد، لعل أبرز ما فيه هو التناقض مع [التعمدية] و[الجمالية] و[المجازية]، لطرح إبداع شعري وثيق الصلة بالحياة أولاً، وبمعطياتها المحايدة، قبل الدخول في أي تركيب معرفي من أي نوع. ■

المصادر

١. نصوص لشاعرات: قباطمة قنديل.
إيمان مرسال - هبة هادي سعيد.
عليه عبيد السلام - هادة عبيد المنعم.
هدى حسين - سهير المصايدة - أمل جمال - هزة حجاج - نشرت في ملف بعنوان: شاعرات من مصر - مجلة للقاهرة - العدد (١٤٦) يناير ١٩٩٥.
٢. د. صلاح قصصه - ما بعد الحداثة.
محاضرة ألقاها في بيت د. عبيد المنعم تكلمة - مساء الخميس ٥ يناير ١٩٩٥.

٣. مارجريت روز - ما بعد الحداثة - ترجمة أحمد الشامي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٩٤.

٤. مجموعة مؤلفين مدخل إلى ما بعد الحداثة. إعداد وترجمة أحمد حسان - مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة - سلسلة كتابات نقدية - الكتاب رقم ٢٦ - القاهرة ١٩٩٤.

٥. تزيهستان تودروف - مدخل إلى الأدب المجانبي - ترجمة الصديق بوعلام - مراجعة محمد بركة - دار شرقيات - القاهرة ١٩٩٤.

٦. جاك فريدا - الكتابة والاختلاف - ترجمة كاظم جهاد - دار توبقال - لدار البيضا - ١٩٨٨.

٧. أطراف ماركس - ترجمة منار هياضي - مركز الإنماء الحضاري - سوريا ١٩٩٥.

٨ - فريدة النقاش - قضاي ما بعد الحداثة في الأدب والفقد - مقالة - مجلة أدب ونقد - العدد ١١٢ - القاهرة ١٩٩٤.

٩ - أمجد ريان - مقدمة مجلة الفن الشعري - العدد ٢ بالقاهرة مارس ١٩٩٤.

١٠ - من المجاز للفرى إلى المجاز المشهدى - مقالة - أمجد ريان مجلة الجراد - العدد الثاني - القاهرة، يوليو ١٩٩٤.

الانتشارات والتوزيعات

٢٤٨ مصر قلب توتف عن الخفتان: حسنى عبد الرحيم. حصاد المعرض

السابع والعشرين للكتاب: كريم عبد السلام. لئلى أيام قرطاج، توجه عربى

أفريقى وأيضاً عالمى: فوزى سليمان. إيطاليا اللحظة الشعرية، فتحنى عبد الله.

